طقت في دماغي

يوسف معاطي



طقت في دماغي

يوسف معاطي



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
١٥٢١ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى
٣-٥٣ - ٦٠٨١ - ٩٧٧

الطبعة الثالثة

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع ابن سينا

الكتاب : طقت فى دماغى
المؤلف : يوسف معاطى
الغلاف : للفنان إلهامى عزت
صورة الغلاف : البستان فوتوشوب
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش. م. م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

للنساء فقط

لـــولا المـــرأة مـــا كتبنـــا ولا انفعلنـــا ولا تأثرنـــــا ..

لولا المـــــرأة مـــــا ثرنـــــا.. ولا غضبنـــــا..

ولا خبطنـــــا رؤوســـــنا في الحـــــائط ..

لولا المرأة .. ما أكلنا من الشجرة ولا خرجنا من الجنـــة..

ولولا المرأة .. ما دفعنا فواتـــير التليفونـــات المرعبـــة ..

ولا اقترضنا مـــن البنـــوك .. ولا قتلنـــا ولا ســـرقنا ..

ولا ذهبنـــــــــــا ولا أتينـــــــــــا ..

لولا المرأة ما كانت طقت في دماغي وكتبت هذا الكتـــاب

ولا كـــانت طقـــت في دمـــاغك واشـــتريته

يوسف معاطي

يعني !!!

الورقة لا تزال أمامي بيضاء ناصعــة.. أهــرش في رأســي.. أسـتحث الكلمات على الخروج.. السبابة والبنصر يقبضان على القلم الذي هو في حالة شلل مؤقت.. بعد فترة من العذاب تولد الكلمة.. أكتبها.. ثم أشطبها.. فقد نزلت مشوهة لم يكتمل نموها في رحم الدمــاغ.. الكلمـة التي ننطقها.. التي نقولها لبعضنا البعض أسهل من الكلمة التي نكتبها فالكلمة التي نقولها ننساها.. ننكرها.. أما الكلمة التي نكتبها.. مستند.

ولذا فمهم جدا في الزواج حكايـة الورقـة هـذه.. لـو كـان الـزواج كلمة ننطقها فقط لسادت ظاهرة (الاستهبال) بين كثـير مـن الرجـال.. فيقول أحدهم لزوجته بعد الصباحية: معقولة!! أنا قلـت لـك زوجيـني نفسك!! ازاي؟! أكيد معرفتش أعبر ساعتها.. أنا ما كنتـش أقصـد كـده خالص.. أنا كنت باقولك زرريلي القميص.. أكيد أنتي سمعتيها غلــط!! وعلى مدى سنوات من التعاملات اكتشفت أن كل الذيــن أعطونـي كلمة لم يلتزموا بها فصارت عقدة عندي.. فإذا دخلت عليا في الصبــاح متهللا.. بشوشا وقلت لي صباح الخير أقولك معلش يــا ريـت تحـط ده على ورق.. ولذا حينما غنى عبد الحليم زمان قوللي حاجة.. أي حاجـة.. قول بحبك.. كانت القوالــة أيامـها لهـا قيمـة.. الكـلام كـان لـه سـحر..

النهاردة مهما قال.. في ثانية تلاقيه خلع منك.. واستطاعت المرأة عبر العصور أن تروج إشاعة خبيثة وهي أن الراجل كلمة.. حتى تلزمه بعدم التراجع عن أي وعد يعطيه أو كلمة يقولها لها.. وأعفت نفسها من هذا الالتزام حتى يتيسر لها أن تخلص منه إذا توفر لها البديل الأفضل.. قالت جي جي لخطيبها وهي تخلع الدبلة وتعطيها له في هدوء.. أنا آسفة يا طارق أنا حاسة أننا مش حنقدر نستمر مع بعض أنا حاسة إنك زي أخويا.. لم يكن طارق يعلم أنه بقى زي أخوها لأن عمرو بانتظارها بالخارج في سيارته البي إم. ولم تكن جي جي بالتأكيد تشعر أن عمرو بالنسبة لها زي أخوها فلا يجتمع شعور الأخوة والبي إم في وقت واحد.. ولا أحد يلوم جي جي حينما تفعل ذلك.. فالمرأة ليس لها كلمة.. أما لو كان قد فعلها طارق لأصبح من وجهة نظر الجميع ندل ومالوش كلمة.. سيأتي علينا وقت سنتعامل فيه بالأوراق فقط فنحن نعيش الآن أزهى عصور الفوضى وعدم تنفيذ الكلمة.. فإذا أخذت موعدا من أحد أنصحك ألا تذهب لأنه لن يأتي.. وإذا قالت لك حبيبتك بأموت فيك لا تصدقها.. حتى تثبت لك ذلك عمليا فإذا ماتت ونفذت وعدها.. تزوجها فورا على ضمانتي.. قالت الزوجة الشابة لزوجها إذا مت قبلك هل تتزوج من بعدي؟! فاغرورقت عيناه بالدموع وقال لها ليه بتقولي كده؟.. هوه انا بعدك أقدر أبص لواحدة ست وللحق لم يرجع الرجل في كلمته. لم يتزوج بعد موتها.. تزوج قبل موتها.. اتجوز عليها يعني .

والكلمة كالرداء الذي نلبسه فيها اختيار وفيها ذوق وفيها أناقة.. والناس في ارتداء الكلام أصناف متباينة ولكن المرأة تتميز على الرجل بقدرتها على إخفاء عيوبها الكلامية كما تخفي عيوبها الجسمانية.. ولذلك فالمرأة دونا عن سائر الكائنات أنعم الله عليها وحدها بصوتين.. صوت لفترة الخطوبة.. ناعم.. خلاب.. قطيفة مخملي.. أحلى ألو تسمعها في حياتك.. صوت ينافس نجاة وأسمهان أما الصوت الثاني (بعيد عن السامعين) بعد الزواج.. لا تعرف هل الباب بيزيق.. أم أن هناك ماكينة فيشار شغالة في البيت.. ويقال إنه من هنا قيل إن صوت المرأة عورة.. (صوتها بعد الزواج يعني) والمرأة أكثر قدرة على خداع الرجل من أن تخدع امرأة مثلها فيمكن لواحدة من المدبح أن تقنع رجلا بأنها ولدت في نادي الجزيرة في ملعب الكروكيه حيث التقى أبوها بأمها لأول مرة وأن السبوع عملوه في التيرو في نادي الصيد.. هذا ينفع معك أنت يا عزيزي.. إنما نفس الكلام لو قالته لواحدة مثلها.. تجيبها من شعرها.. خلقهم ضيق مع بعض قوي.. وبعض الناس أيديها سايبة في الكلام فيعبر عن الفكرة البسيطة بأكبر عدد من الكلمات وإذا قرر أن يحكيلك حكاية.. يبدأها بكلمة (اسكت)!!! وكلمة اسكت هنا فعل أمر غرضه البلاغي ألا تفتح بقك لإنه هو بأه سيفتح المكلمة التي لا تنسد.. وقد أرسل لي أحد القراء ذات مرة قصة حياته يطلب مني أن أقرأها وأعطيه رأيي فيها.. قصة حياته في ثلاثة آلاف صفحة.. وأدركت أنه يريد أن يضيع حياتي أنا في حياته هو.. وظلت قصته الضخمة على مكتبي أسبوعين متصورا أنها

دليل التليفون.. وأخيرا.. طلبته.. وحدث ما توقعت.. كانت نمرته مشغولة طبعا.. كان يحكي قصة حياته في التليفون.

وليس معنى هذا أنني في صف المقترين في الكلام الذين يطلعون الكلمة بالتيلة.. هؤلاء أيضا يرفعون الضغط.. لي صديق حريص على زيارتي والتودد لي يأتي لي مرتين في الأسبوع يسلم عليا في صمت ويجلس.. ساعتين .. ثلاثة.. كالصنم ولا حرف.. يبحلق في الأرض وينقر على ركبته بأصبعيه.. ثم ينصرف في هدوء كما أتى.. وكل محاولاتي لفتح مكلمته وإطلاق لسانه تبوء بالفشل الذريع.. فهو عنده كلمة تصلح إجابة لكل الأسئلة.. يتحفني بها ميت مرة في الجلسة هذه الكلمة هي (يعني) إذا قلت له أخبارك إيه يقول.. يعني.. أسأله هل لا يزال مديرك يضطهدك؟ يرد.. يعني.. هل نويت أن تفسخ خطبتك.. فيجيب.. يعني.. وعبقرية صديقي هذا إن كل يعني يقولها غير الثانية.. فهذه يعني (نعم) وهذه يعني (لا) وهذه يعني (يعني) .

أعزائي تعالوا ننتقي الألفاظ ونختار الكلام.. إذا كنا نقف ساعة كاملة أمام عربية الفاكهة.. لننقي كيلو جوافة.. فلماذا لا نعامل الكلمة معاملة الجوافة على الأقل لن يطلع لنا واحد من مجمع اللغة العربية يهب فينا قائلا.. مفيش نقاوة يابا.. الكلمة السليمة ع الكلمة البايظة.. ألستم معي في هذا ؟!

أستحلفكم بالله ألا يرد عليّ أحد قائلا.. يعني !!

ست مجدع !!

لم يكن يتصور على الإطلاق (جورباتشوف) ذلك الرجل الطيب الجالس على عرش أكبر دولة في العالم وأثناء وجوده في حجرة مكتبه بقصر الرئاسة وهو يهرش في وحمته التي على رأسه ويفكر.. لم يكن يتصور أن هناك من سيدخلون عليه ويهددونه بالسلاح ويقتادونه هو وزوجته رايسا إلى تلك الفيلا المنعزلة ويغلقون عليهما الباب بالضبة والمفتاح.. كل هذا حدث في أقل من لحظة وقبل أن ترمش العين ونظر (جورباتشوف) إلى زوجته رايسا الجالسة أمامه تبكي في صمت وأخذ يتأملها.. ها هي شريكة العمر والكفاح والنجاح والحكم والمعتقل أيضا وبدأ يتفرس ملامحها التي شعر بأنها تغيرت كثيرا.. لم تكن المهام والمسئوليات تسمح لجوربي أو تمنحه الفرصة أن ينظر إلى زوجته، قال لها وهو يلهو بوحمته التي على رأسه كالمعتاد.. أعتقد أنهم سيقتلوننا.. أليس كذلك؟ كان شريط في نفس اللحظة يمر في عقل رايسا يعيد إلى الذاكرة لحظة اللقاء الأول مع هذا الشاب (اللي على قده) الذي قابلته في الجامعة.. وكيف تحابا وتزوجا وكيف واجها معا كل العقبات وذللا كل العراقيل.. كان جوربي قد بدأ ينفجر في البكاء ويتمتم في أسى (كتاب حياتي يا عين ما شفت زيه كتاب.. الفرح فيه سطرين

والباقي كله عذاب).. هنا وقفت رايسا ومسحت دموعها بقوة وقالت له.. اسمع يا جوربي.. لن يخذلنا الرب (أنا عندي أمل!!) كان هذا هو عنوان الكتاب الذي ألفته رايسا بعد ذلك في الأيام الثلاثة التي قضياها في المعتقل.. وقام العالم ولم يقعد وهال وصال وجال على موقف هذه المرأة الخالدة بجوار زوجها .

ونسى الجميع أن (نبوية اوعى رجلك) كان لها في نفس الوقت موقف مماثل مع زوجها تاجر المخدرات الشهير (سلطان التمن) حينما قبض عليه البوليس وكيف كبت على نفسها صفيحة جاز وأقسمت أن تولع في روحها لو لم يتركه الظباط في حاله.. وكيف ردحت وشتمت وقبحت وخلت اللي ما يشتري يتفرج ويستمتع بهذه المسرحية التي قامت ببطولتها.. ولما أجبرت نبوية على الأمر الواقع وسيق المعلم سلطان إلى السجن.. كانت نبوية اوعى رجلك قد أجرت السيارة الميكروباص بتاعة الأسطى جمعة ودعت نخبة من نسوة الحارة وانطلقت الميكروباص خلف البوكس في موكب مهيب لتشيع الرجل أثناء ذهابه للسجن وحتى لا يطلع من الحارة فطيس بدون حس.. في النيابة أقسمت (نبوية اوعى رجلك) أن زوجها المعلم سلطان مظلوم ولما حكم عليه بربع قرن من الزمان أشغال شاقة مؤبدة.. رقعت بالصوت وشتمت الظباط والقاضي ووكيل النيابة وممثل الدفاع وعادت إلى البيت لتطبخ وتغسل وتنشر وتحمي العيال وتتاجر في الصنف لتكمل مسيرة المعلم سلطان.. تلك هي (نبوية اوعى رجلك) وقصتها مع زوجها التي أغفلها التاريخ فغرقت في بحر النسيان .

أما شوشيت ابنة نادي الجزيرة وخريجة مدارس اللغات والتي أثبتت أنها أكثر من تجيد العربية بين صديقاتها.. إذ تستطيع هذه البنت العبقرية أن تركب جملتين عربيتين متتاليتين بدون خطأ وتستطيع أن تعبر باللغة العربية عن أي من الموضوعات العامة.. شوشيت هى أيضا لها مع الرجل حكاية أخرى .

فحينما فشل تامر صديقها في مباراة البنج بونج النهائية في النادي وتحطمت معنوياته اتخذت قرارا نهائيا بأن تقطع علاقتها بتامر مدى الحياة..!! ولكن جي جي صديقتها (الأنتيم) الصدوقة يعني.. قالت لها وهما واقفتان بجوار البيسين يا شوشيت تامر محتاجلك تامر بيمر بأزمة ومحدش غيرك ح يخرجه منها وكان تامر مختفيا عن أعين الشلة في أحد الفنادق الفايف ستارز وكم كانت سعادته حينما وجد شوشيت أمامه تمسح دمعة سقطت من عينيها وتقول له.. تومي.. لازم تخرج من الحالة اللي أنت فيها دي.. ومد تامر يده المرتعشة وأمسك بمضرب البنج بونج وشوشيت تشجعه.. أيوه يا تومي.. ح تلعب تاني.. وح تغلب كمان.. واتفكت العقدة.. سيلعب تامر الماتش.. صدقوني يا أعزائي وراء كل رجل عظيم ست مجدع .

الفشر والاستهبال عند النساء والرجال

كانت جدتي تجلس في الكوخ لترضع الوليد بينما كان جدي يخرج ليكتشف الدنيا بأسرها بعواصفها وحيواناتها وغاباتها ليعود في النهاية لجدتي ومعه العشاء ومعه أيضا حكايات أسطورية - اختلقها هو - عن ديناصورات قابلها في طريقه ولم يتحمل غلاستها عليه فاضطر إلى أن يلقنها درسا قاسيا وكان يصف لها كيف أمسك الديناصور من ذيله وطوحه في الهواء وكيف توسل له الديناصور الأكبر أن يترفق بالديناصورات عملا بالقول الشائع (العفو عند المقدرة) هذا غير التنين الذي يخرج من فمه ألسنة اللهب والذي حينما رآه - التنين يعني - حينما رأى جدي أخذ ذيله في أسنانه وقال يا فكيك.. والغريب أنه برغم كل هذا الفشر والجخ والمعر والأونطة والتي كان جدي أستاذا فيها جميعا.. برغم هذا.. صدقته جدتي.. أو قل أخذته على قد عقله يعني.. وهذا بالطبع كان يحدث في عصور ما قبل التاريخ ولكن جدتي يرحمها الله بأه.. كانت تعلم بناتها وحفيداتها الدرس جيدا قالت لهن جدتي الأروبة.. عاوزاه يبقى خاتم في صباعك استهبلي عليه.. الراجل عامل زي العيل الصغير.. يكدب.. ولو انكشف يكسر الدنيا كلها.. اعملي نفسك مصدقاه.. ولا أنسى ذلك

الرجل (القزعة) الذي كان واقفا بجوار امـرأة فارعـة الطـول كـالفرس وسمعتها تقول له في هيام .. (صدقني أنا أول مرة في حياتي أقابل راجـل كله.. انت بتفكرني بالضبط بفـارس الأحـلام اللـي قعـدت منتظـراه علشان يخطفني على فـرس ويطـير) أيتـها الكاذبـة بـالله عليـك كيـف سيستطيع هذا القزم أن يخطفك ويقفز بك على الفـرس.. والرجـل لا يستطيع أن يطول ماسورة الأتوبيس إذا ركب واقفا إلا إذا وقـف فـوق الكرسي.. والمرأة برغم أنها كـانت تكلمـه مـن أعلـى لفـارق الطـول بينهما إلا أنها كانت تشعره برغم نظرتها العلويـة بأنـها تكلمـه مـن أسفل.. كيف استطاعت أن تقنعه بذلـك.. قـالت لـه.. أنـا عمـري مـا حبيت الراجل الطويل.. تعرف بحس إنه هايف.. إنمـا الرجـل القصـير بحس إنه تقيل وثابت على الأرض وعلـى فكـرة.. أنـا لابسـة كعـب.. والأهبل يصدقها..

وكل رجل تعرفه المرأة تشعره بأنه الرجـل الوحيـد في هـذه الدنيـا وأنه لا قبله ولا بعده وأنه معجزة عصره وأوانه وأنه يأتي بالأعـاجيب فإذا قال صباح الخير.. تصرخ مندهشة ياي شفتوا.. بيقـول صبـاح الخـير ازاي!! وإذا حط لسانه في بقه وما نطقـش خـالص تقـول يـاي شـفتوا قاعد ساكت وتقيل ازاي؟!

وجدي الذي كان يصارع التنين - كله وكـله يعـني - ويحكـي هـذه القصص الوهمية لجدتي ترك حفيدا فشارا مثلـه يقـول لزوجتـه بعـد عودته من العمل : أما النهاردة مسكت المدير بتـاعي وعرفتـه مقامـه.. شتمته ورميت المرتب في وشه.. أصل أنا ما بيهمنيش ولمـا بـاتنرفز مـا

باشوفش قدامي.. وترد الزوجة.. يا حبيبي ده رابع مدير تضربه في الشركة.. حرام عليك كفاية كده.. الاثنان يكذبان ولكن كذب الرجل أعبط.

والمرأة لا يعجبها العجب فإذا تمنت شيئا وحصلت عليه تتمنى الشيء الآخر الذي ليس عندها ، وخذ مثالا بجدنا آدم فهو لم يأخذ لها شقة في فيصل.. ولم يحجز لها في المساكن الشعبية في مدينة السلام فتنمردت عليه.. بل أخذ لها جنة بمنافعها.. جنة!! لكن تقول إيه.. إذا تملكت المرأة وأخذت وضعها وأمسكت نقطة ضعف على الرجل يا ويله يا سواد ليله.. هل تعرفون من الذي أخرج الحملة الفرنسية من مصر؟! لا ليست ثورة القاهرة الأولى أو الثانية وحدهما.. إنها جوزفين التي كان الأخ نابليون ينحني ليقبل قدميها ويمرغ رأسه في التراب أمامها وكنت أعتقد أنه وصل لهذه الدرجة من الذل والهوان في حب جوزفين لأن المصريين كانوا عاملين له عمل وحاطينه له في الأوبليت اللي على كتافه.. ولكنني اكتشفت الحقيقة وهي أن نابليون يعني حينما كان يختلي بجوزفين يعني.. (راجع تاريخ الحملة الفرنسية على مصر).

واستطاعت المرأة أن تدخل في دماغ الرجل فكرة أنها تعطيه برغم أن العطاء صفة مرتبطة بالرجل وليست بغيره.. ولكن المرأة الناصحة استطاعت أن تنطور في الأفلام جملا هنا وهناك على ألسن البطلات مثل (الخاين أخد اللي هو عاوزه وسابني).. أو (بعد ما اديتك أغلى ما عندي) وغيرها من هذه الجمل المغلوطة.. العلاقة بين الرجل والمرأة يا ناس عطاء متبادل يعني كما تعطي المرأة.. يعطي الرجل أيضا.. والرجل

يعطي أكثر.. وإذا أردت توضيحا أكثر من ذلك.. وحتى لا أتعرض لزيارة لطيفة من بوليس الآداب راجع أنت تاريخ الحملة الفرنسية على مصر وخلصني..

لماذا وقع قابيل مع أخيه هابيل ومسكوا في بعض.. أولا دول من بيت واحد ومتربين نفس التربية.. يعني ما نقدرش نقول إن قابيل كان واد صايع ومقطع البطاقة وماشي مع جماعة من شبرا بعد ما ساب الدراسة.. المسألة كلها كانت تكمن في تلك المرأة التي بينهما يعني قابيل ح يتخانق ويقتل أخوه عشانها من غير ما تكون هي عشمته.. ببصة حتى.. ملاغية.. أي حاجة.. وإلا يبقى قابيل ده هابيل بقى.

اسمحوا لي أن أضيف أنه لم يخلق إلى الآن ذلك الرجل الفتك الذي يعلق المرأة.. إنها هي التي تعلقه في الواقع أو بتعبير أصح تتركه يعلقها.. وإلا لماذا اعتادت المرأة أن تقف في النافذة وهي على سنجة عشرة بينما ينظر الرجال الجالسون على المقهى المقابل كلهم إلى أعلى في اندهاش وبلاهة.. كما لو أنهم يرون طبقا طائرا في السماء.. ولكنها كما كانت جدتها تفعل تتركه يتوهم أشياء في نفسه وقوى خارقة جعلتها (قال يعني بأه) فقدت المقاومة أمام نظرة عينيه الساحرة بمجرد أن رأته والمرأة هي التي روجت لهذه الأكذوبة التي أسمها الحب من أول نظرة ولكنها في رأيي طريقة خبيثة لتنشيط وتشهيل الزواج في مصر .

حطي كالونيا !!

إذا بصيت لك بصة على جدران المقابر الفرعونية وبالذات في الدولة الحديثة ستجد المرأة المصرية القديمة جالسة في أناقة في أبهى ثيابها وحليها وفوق رأسها ستجد حاجة كده مكببة.. ليس هذا ورما والعياذ بالله.. هل تعرف ما هذا الشيء المكبب القابب فوق رؤوس النساء الفرعونيات.. إنه العطر الفرعوني.. ولكن في صورة جيلاتينية.. إنه مثل ربع كيلو سمنة بلدي وضعتها فوق رأسها تسيح تدريجيا على شعر ووجه المرأة وبفعل حرارة الجو تنثر شذاها وأريجها الجميل في المكان.. وهكذا كان للمرأة المصرية فضل السبق في تدويخ الرجالة.. والرجل مننا يفرفر إذا اشتم رائحة من يحب ولأن المرأة تعرف ذلك جيدا فهي تتفنن في وضع برفانات قاتلة ليس لها حل.. وطلعت لنا برفانات بأسماء غريبة Poison يعني سم.. وopium يعني أفيون وكلها تعكس رغبة المرأة في القضاء على أي نوع من أنواع المقاومة للرجل.. والتفكير في البارفان الذي تستخدمه المرأة يشبه إلى حد كبير التفكير في المبيدات الحشرية وغدا تستخدم المرأة عطرا اسمه ديكسان أو

سوكس وستضع في جيب جونلتها القصيرة أقـراص كيتـو.. بمجـرد أن يشتم الرجل رائحتها سيرتجف ويرتعش رعشة غريبة وستتقوس ركبتاه ويتدلى شاربه وتخمـد حركتـه تمامـا.. وتضـع المـرأة البارفـان في أمـاكن استراتيجية وبخطة مدروسة مثل الألغام التي وضعها الألمـان في الحـرب العالمية الثانية .

نقطتان خلف الأذنين، ونقطتان تحت الباط ونقطتان عند الرسغين.. وبعد أن تضع الألغـام.. تلتقـي بـالرجل (الفريسـة) وحينمـا تكلمـه تقترب منه جدا حتى تكاد تلتصق به وتسأله أي سؤال.. وهـو بـالطبع لن يجيب.. فعطرها النفاذ يدق في المفاصل علـى طـول ويفقـد الرجـل بعدها حاسة السمع فورا.. وهي أول الحواس التي يفقدها الرجل أمـام سحر المرأة.

وهذا السـحر الـذي أتكلـم عنـه ينطبـق علـى الحبيبـة والخطيبـة والعشيقة أما الزوجة فـهي غالبـا تسـتبدل العطـر الباريسـي برائحـة الطبيخ والبصل وإن كان علجبه وبينمـا هـي تـروح وتجـيء في البيـت لتملأه برائحة التقلية والثوم والملوخية . عندما يأتي المساء على – رأي عبد الوهاب – تمارس الزوجة هوايتها في شـم بـدل زوجـها في محاولـة لقلب الليلة على دماغه واتهامه بأنه على علاقة بـامرأة أخـرى تضـع عطرا وتقول له وهي تشتم رائحة العطر الذي يملأ جاكتته.. إف طيـب استنضف دي حتى بتحط بارفان م الرخيص .

وإذا دخلت حفلة راقية تجد حرب العطور وكأنك تعيش في العطور الوسطى.. وتلاقي ستات زي القمر رايحين جايين وعطورهن تهاجمك بشراسة والغريب أن هناك سيدات تضعن عطورا تظل في المكان حتى بعد أن يغادرن المكان ويروحن إلى بيوتهن ويحمين العيال وينمن في سلام.. ولا يزال عطرهن في المكان الذي تركنه من أربع ساعات وأنت.. أنت طبعا لسه قاعد.. ح تروح فين يا مسكين .

وحينما كنت مرشدا سياحيا كنا نتعامل مع العطور المصرية المستخرجة من زهرة اللوتس وكان السواح يقبلون عليها بشكل كبير.. ولكنني لاحظت أنهم يسألون عن عطر مصري معين اسمه Secret of The Desert (سر الصحراء) وعرفت سبب إقبالهم عليه إذ أن البرديات القديمة تقول إن هذا العطر بالذات يقوي الحالة الجنسية عند الرجل، وأن الإله (مين) إله الإخصاب هو الذي وضع تركيبته وقال لي أحد السواح وهو في شدة الغيرة من رجولة المصريين.. بيقولوا إن سبب فحولة المصريين في هذه الفترة استخدامهم لعطر سر الصحراء.. وقلت لنفسي ده عبيط باين عليه.. هو المصري محتاج عطر برضه.. إنه الكائن الوحيد في العالم الذي يرزع على الصبح طبق فول بالزيت وفحلين بصل أخضر.. يعني راجل جاهز ما بيهزرش..

ولا أنسى يوم جاء لي صديقي صاحب معمل العطور ومعه زجاجة صغيرة.. وقال لي: شفت دي بألفين جنيه.. قلت له: ليه يعني.. قال لي:

نقطتين منها وتلاقي الستات كلها بتجري وراك مش ح تلاحق.. قلت له: يا راجل أنا ح أصدق كلام فارغ زي ده قال لي: على كيفك وتأهب للإنصراف عند الباب قلت له بقولك إيه أنا كنت قاصدك في ثلاث أربع نقط كله أروش بيهم نفسي وشوف يقطعوا كام فابتسم في خبث.. قائلا عاوز تجربة يعني.. ماشي.. ووضع لي نقطتين فقط خلف الأذن وقال لي تعالى: وأخذني للمحل عنده.. وعينك ما تشوف إلا النور دخلت امرأة تشتري زجاجة عطر من عنده وفجأة التفتت نحوي.. وعيناها كلها إعجاب وقالت لي: أنا معجبة بيك جدا لم أصدق نفسي ودخلت امرأة ثانية.. ووضعت ذراعها في ذراعي.. ودخلت امرأة ثالثة كادت يغمي عليها بمجرد أن نظرت إليها.. وناديت على صديقي وأنا في غاية السعادة قلت له بقولك إيه: اوعى تفرط في القزازة.. أنا اشتريت.. الألفين جنيه أهم وخرج صديقي منفجرا في الضحك.. وقال لي مش قلت لك ووجدت صديقاتي المعجبات بي ينفجرن في الضحك أيضا ويسلمون على صديقي الذي كان متفقا معهم على ذلك.. وكان مقلبا لم أشرب مثله في حياتي.. وقال لي صديقي بغلاسة بس حلوة إيه رأيك؟! أنت مش بتعمل الحركات دي في البرنامج بتاعك تنعمل فيك مرة بأه.. ومن يومها قررت ألا أصدق أي امرأة تعجب بي بعد ذلك حتى لو كانت صادقة في إعجابها محدش يضمن حد في الأيام دي .

الطب اتقدم !!

قرأت في جريدة يومية خبرا لفت نظري.. يقـول المانشـيت (القبلـة الطويلة تشفي من الصداع) فقد أثبتـت البحـوث والدراسـات هـذه الحقيقة وأنا الصداع ماسكني بقالي واحـد وثلاثـين سـنة ولا اسـبرين نافع ولا نوفالجين محوأ معايا ، والغريـب أن يكـون الـدواء مـن جنـس الداء ازاي؟ أقولك.. المرأة هي السبب الرئيسي في صداع الرجل فـإذا أحبته غارت عليه وحولـت حياتـه جحيمـا وإذا كرهتـه نكـدت عليـه عيشته وحولت حياته جحيما أيضا.. لماذا: لأن الرجال ليس لهم مـرارة.. جدتي هي التي قالت لي هذه المعلومة برغم أنـها لم تكـن طبيبـة وإنمـا قالت هذه المأثورة من واقع تجربتها مع جدي الذي انفقعـت مرارتـه – أما النساء بـأه فعندهـن مـرارة للأخـذ والـرد والإلحـاح علـى الفكـرة الواحدة بمليون طريقة.. ومـا العـلاج إذن؟! قبلـة طويلـة.. قبلـة طويلـة تشفي من الصداع وتكتم بقها وتضمن لك أيضا أنـها لـن تسـتطيع الكلام وألقيت بدستة الأسبرين الـتي في يـدي في صفيحـة القمامـة.. خلاص عهد الأسبرين انتهى والآن يبدأ عهد جديد لعلاج الصداع .

ولكن من هذا الطبيب صاحب المزاج الـذي كتـب هـذه الروشـتة العبقرية.. وإذا كان هذا علاج الصـداع فمـا عـلاج الرشـح وانسـداد الجيوب الأنفية والجفاف ؟!

لا بأس.. لا يجب أن نكون طماعين أكثر مـن ذلـك فـالطب يتقـدم ولكن على مهلة احناح نصربعه ليه؟!

ولكن ماذا لو فاجأك صداع حاد وزوجتك ليسـت بجـوارك. المنطـق يقول تحمل حتى تصل إلى البيت.. وإذا لم تستطع أن تتحمل فأنت لك عذرك برضه.. لأن دماغك ستنفجر.. فلا مانع من أن تطلب المعونة من أي واحدة كمسكن على الأقل تصبيرة لحد ما توصل للبيت ولا حيـاء في العلم كما تعرفون.. وسيقولون إن ذلك الرجل الذي ضبطته زوجته يقبل صديقتها ليس خائنا وإنمـا كـان يـأخذ منـها نوفالجينـة.. وسـيقول الرجل لصديقه الجالس بجـواره علـى المقـهى.. كبايـة شـاي وبوسـتين وتتغطى كويس تقوم تلاقي نفسـك فلـة.. أمـا النسـاء فسـيكون لهـن موقف آخر.. ستثرثر أم الواد أشرف طول اليوم بكلام فاضي.. وسـتدق كفتة وستأتي بعيال الحارة لكي يعملوا البـدع أمـام البيـت.. وسـيقوم الزوج غاضبا حرام عليكوا.. دماغي يا عالم.. وستقول الزوجة في سعادة.. دماغك واجعاك يا أبو أشرف هئ.. هئ.. ما تيجي..

أشياء غريبة تحدث يا أعزائي في هذا العالم القبلة تشفي من الصداع والعناق يشفي من الانزلاق الغضروفي.. والنظرة في عين من تحب تشفيه من الحول وتعدل عينيه وسيصبح الطب عاطفيا إلى حد كبير.. وسيرتدي الأطباء بلاطي بمبه.

وسيمسك الطبيب بدلا من السماعة هارمونيكا مثل بتاعة (زامفير) وسيعزف موسيقى حالمة للمريض.. أشعر أن هناك اتجاها للعودة للرومانسية التي فقدناها ولكن بمفردات العصر الجديد.. فالحنطور الذي كان المحبون يتمخطرون فيه ويتبادلون الحب والغرام.. والسواق عارف ومطنش ومديهم ضهره.. هذا الحنطور الجميل دخل المتحف.. متحف الوجدان وصار بدعة يراها السياح فقط وبائعو الذرة المشوي والبطاطا وبائعو البيبسي الذين تخصصوا في إطعام فقراء المحبين اختفوا من الكورنيش.. وعلاقات الشبابيك والجيران اختفت أيضا بعد أن كانت حقيقة واقعة.. كلنا وقعنا في حب بنت الجيران بل إن شادية تمادت وطلبت من جارها ان يعزل ويترك الحارة كلها.. (مين قالك تسكن في حارتنا تشغلنا وتقل راحتنا..) كأن كل الجرم الذي ارتكبه الرجل أنه سكن بجوارهم.. وبدأ الحب يأخذ شكلا تليفونيا.. فالبنت ممدة على سريرها فوق التليفون تهمس لشاب ممدد على الآخر على سريره في حجرته يهمس لها.. قد إيه؟! ثلاث ساعات خمس ساعات والأب يصرخ من الداخل.. يالله يا بني.. اخلص مستني تليفون

مهم والولد يرد في زهق.. حاضر حاضر يا بابا.. والبنت تــرد في زهــق.. خلاص يا ماما أهوه.. وأنا باحمد ربنا إن التليفون المرئــي لم يصــل إلينــا بعد..

لن يكتــب عاشــق لحبيبتــه جوابــات الحــب والغــرام.. ويضعــها في مظروف ويلصق ورقة البوستة وينتظر أياما حتــى تصــل إليــها.. ومــاذا يفعل الفاكس إذن أنه يصل بالخطاب إلى الحبيبة في نفس اللحظة وترد عليه في نفس اللحظة.. الطب اتقــدم والحــب أيضــا يجــب أن يتقــدم.. وسيغني عبد العزيز محمود في عام ٢٠٠٠ يــا فــاكس الغــرام يــا.. مقــرب البعيد .

النهاردة أوف !!

عزيزي القارئ.. أنت محتاج قاموس لترجمة مقالتي هذه.. وأنا محتاجه قبلك.. وهي ليست فذلكة مني ولا حاجة أن أكتب مقالا نصفه عربي ونصفه إنجليزي.. الحكاية إني كنت قاعد في حالي كافي خيري شري.. إلى أن مرت أمامي عشرون عاما ترتدي فستانا.. لا تتحرك فيه وإنما تنبض بداخله.. والفستان يتكلم بيغمض وبيفتح مثل عرائس الباربي.. اقترب مني الفستان المثير وجلس بجانبي (كله من نفسه) دققت النظر.. كان يخرج من الفستان رأس صغير به وجه بريء ليس له أي علاقة بالفستان.. وجه ملائكي طفولي لا يمكن أن تتخيل إنه حرض هذا الجسد على ارتداء هذا الفستان.. قلت لنفسي لا بد وأنها ارتدته بدون علمها قالت لي في جراءة.. ممكن (حرتك) يعني حضرتك تسمح لي اتكلم معاك شوية عندي (بروبليم) في حياتي.. وبروبليم طبعا يعني مشكلة.. قلت لها تفضلي كلي آذان صاغية قالت في براءة تسمح لي بالسموكنج (التدخين يعني).. وقبل أن أسمح لها كانت قد أخرجت سيجارا ضخما وأشعلته.. كان الدخان الكثيف يخفي وجهها القمر ثم ينقشع فيطلع لك الوش الملائكي.. ولا كأنها عملت حاجة.. تنهدت وقالت.. أنا خريجة جي سي أي.. قلت لها في أسى.. لا حول الله يا رب -

وبعدين.. قالت.. لا مش دي البروبليم.. الحكاية إني قابلت شاب في النادي في ملعب الكروكيه.. كنت قاعدة في الشمس لابسة نضارة بلو وبآخذ لون قرب مني كده من نفسه وقال لي هاي.. فقاطعتها متسائلا هكذا بدون سابق معرفة قالت في بساطة.. لا ما هو في النادي عندنا أي حد يقولك هاي تقول له هاي.. عادي.. المهم قعد جنبي بجرأة شديدة وتقدم لي نفسه.. طارق.. وبيشتغل دي جي (D.J) هنا ارتسمت على وجهي ملامح بلهاء بالضبط مثل سعيد صالح وهو يقول في المشاغبين.. هه!! فسارعت هي بترجمة ما قالت ديسكو جوكي يعني.. واستطردت قائلة.. ولم تمر أيام قليلة حتى أصبح طارق هو كل حياتي.. وبقى هو صاحبي (الأنتيم) فعلا.. وتساءلت مندهشا.. هكذا بسرعة.. لا بد وأن هناك خلفيات. قالت في خبث بريء أنت أروبة!! فعلا كان فيه سبب.. كنت لسه خارجة من قصة حب فاشلة مع عمرو ومحتاجة حد يقف جنبي.. وكانت أكتر حاجة عاجباني في طارق صراحته.. من أول يوم اعترف لي بكل حاجة.. اعترف لي إنه خريج مدارس عربي ومش مدارس لغات.. وأنا قدرت فيه ده.. ووعدته أنه ح يفضل سر بيني وبينه وفضل طارق قدام الشلة كلها خريج الجيزويت وأنا الوحيدة اللي عارفة إنه خريج مدرسة أم المؤمنين بشبرا.. لغاية ما جه يوم كان أوف.. قلت لها متساءلا.. يوم أوف ازاي يعني!! قالت يوم الجمعة يعني.. إجازة.. كلمته في البيت وعرضت عليه اعدي عليه اخده عشان عربيته كانت في (الأجانس) هو اللي قال لي كده وفوجئت بيه بيرفض رفض نهائي.. هنا ابتدا يحصل لي (ساسبكت) شك يعني.. سألتها كأنني من كوكب

آخر.. وهل يحق لك أن تزوريه في البيت وليس بينكما أي رباط رسمي.. اجابتني بسرعة.. ما هو ده عادي في النادي ما أنا باروح لايهاب وتامر وعمرو وشريف البيت وباقعد مع طنطات ماماتهم اشمعنى طارق بقه مش عاوزني أزوره وابتديت أعمل تحريات عنه وفوجئت أن طارق خدعني خدعة كبيرة قوي.. أولا طلع مش عضو في النادي وما عندوش كارنيه وبيدخل النادي عشان مصاحب واحد من الأمن اللي على البوابة.. ثانيا طلع ساكن في المساكن.. البيوت اللي شبه بعض دول وبيبقوا كلهم جنب بعض ومش ستايل.. ومع ذلك أنا كان ممكن اتحمل ده كله.. إلا المفاجأة الأخيرة اللي هدت كل حاجة بيني وبين طارق!!!!

وصمتت قليلا ومسحت دمعة نزلت رغما عنها أزالتها بكبرياء وشموخ وقالت في أسى طلع مااسموش الحقيقي طارق.. طلع اسمه عرفة.. تخيل التريقة اللي ممكن الشلة تتريقها عليا لما ارتبط بواحد اسمه عرفة.. تخيل ناني وشري وهما عمالين ينبطوا عليا في الروحة والجاية وعمالين يقولوا.. الواد كان عنده حق.. عرفة الجامع..

أنا اللي مجنني ازاي أنا ما أخذتش بالي من أول لحظة.. كانت ساعات تقع منه كلمة كده ولا كده وأنا أفوتها.. قلت لها في اهتمام مبالغ فيه.. كلمة زي ايه!! قالت في خجل - كلام من البلدي ده.. يعني مثلا.. يقول بناطيل مش بنطلونات.. يقول جواكت مش جاكيتات.. يقول ع السفن أب سيفن وعلى الاسبورت.. ازبورت.. ولا يوم ما كان مسافر وقال لي إنه ح يقعد (خماشر) يوم.. خماشر!! أنا يتقال لي خماشر؟!

ازاي عديتها بس وتخيلت نفسي وأنا بأزورهم في المساكن ومامته بتنادي على أخوه في الحجرة الثانية قائلة.. يا عاتشيف..

وتمالكت نفسها فجأة وقالت وكأنها اتخذت قرارا رهيبا وانس (once) أن أنا عرفت كل ده روحت له وقلت له في وشه اتس اوفر (it is over) يا عرفة.. يعني كل حاجة بيننا انتهت واتزماي فولت (it is my Fault) دي غلطتي.. أنا اللي من البداية قبلت ارتبط بواحد مش خريج مدارس لغات.. قلت لها طيب.. وطارق.. قصدي عرفة يعني كان رد فعله ايه!! لمعت عيناها في غيظ وأخذت تأكل في أظافرها بعصبية وقالت تصور يرد يقول لي ايه.. ياريته كان ضربني ياريته قلب الترابيزة عليا.. ده رد علي رد بلدي بطريقة.. تصور يقول لي ايه كل واحد ينام على السايد اللي يريحه.. حاجة كده..

أخذت رشفة من النسكافيه الغامق وسألتني اعلم أنك تكتب دائما في إذابة الفروق بين الطبقات ولكن في حكايتي هذه.. هل أنت مصر على رأيك.. أنا صح ولا غلط.. شردت قليلا وأنا أفكر في الإجابة قلت لها هوه غلط.. بس انتي كمان (رونج) - غلط برضه ولكن بطريقتها.. ووجدتني لأول مرة في مشكلة طرفاها عاوز الدبح والخطأ يا عزيزتي ليس فيكي بالتحديد ولا في طارق.. قصدي عرفة يعني.. الخطأ في هذا الزمن التافه الرديء الذي تعيشونه.. فأنا لست مع (النهاردة أوف) بتاعتك ولا مع (خماشر) عرفة .

ستات وشنبات

يقال إنه قبل نصف مليون عام من النهاردة وطبعا انتوا ما توعوش ع الأيام دي برغم إن أنا فاكرها كأنها بتحصل قدام عنيا.. كان الإنسان الأول بشعره المنكوش وهمجيته وبدائيته أقرب إلى الغوريللا أو الشمبانزي وأحتفظ لجدي بصورة وهو مجرجر جدتي من شعرها وكانا خارجين في نزهة بسيطة بعد أن زهقت جدتي من قعدة الكوخ وقالت.. أوف خرجني.. فسحني بقه.. واستطاع جدي (الغوريلا) أن يحسم المسألة مع جدتي.. ويريح دماغه من مشاكلها.. بضهر إيده علطول.. وتظهر لنا الحفريات القديمة هيكلا عظميا للإنسان الأول وبالتشريح المبدئي اكتشف العلماء أن جدي كانت له ايد زي المرزبة بالضبط وفي جلسة عاطفية بينه وبين جدتي قال لها (بحبك) بلغة هذه الأيام السقيمة.. فأجابت جدتي.. النحي نحي ناه.. تقصد أنها أيضا تحبه ولكنه كان مريح ايده شوية عليها.. وبرغم الحياة البدائية القاسية التي كان يصارع فيها جدي الطبيعة إلا أن حياته مع جدتي لم تكن تخلو من الدعابات الظريفة.. يعني مثلا مرة كان بيهزر معاها حدفها من فوق الجبل، وإلا يوم ما رماها قدام الديناصور وأكل دراعها.. كان يوم .

ذكريات جميلة عاشتها جدتي في فترة الخطوبة وفي يوم الفرح حجز لها قاعة في أحد الكهوف وبوفيه مفتوح يتسع لمائة قرد .

عرفت صديقة في مرحلة ما من حياتي كانت تدرس التاريخ الطبيعي ومؤمنة جدا بنظرية النشوء والارتقاء لداروين (الإنسان أصله قرد) وكان حوارنا العاطفي - في كازينو على النيل وأمامنا اثنين ليمون - لا يخرج عن كونها تريد أن تثبت لي أنني أصلي قرد.. فكانت تتأملني من خلف نظارتها السميكة وتقول لي.. هذا الشنب الذي في وجهك ما فائدته.. والشعر الذي في يديك ورجليك؟! لماذا ترفض الاعتراف بالأمر الواقع فابتسمت مدافعا عن نفسي ولكنها قاطعتني قائلة.. ياربي شايف حركة الفك وأنت بتبتسم بالضبط.. ولا أنسى يوم ذهبنا في رحلة مع مجموعة من الأصدقاء نلعب راكت على البحر ونشوي لحمة.. وحدفني أحد الأصدقاء بموزة من أبو تيكت من اللي قلبك يحبها.. وقشرتها في استمتاع ودفستها في بقي.. وإذا بصديقتي تلتقط لي صورة وأنا أضرب الموزة في بقي.. علمت بعد ذلك أنها استعانت بها في البحث بتاعها.. (الإنسان أصله قرد).

ولم يكن يتصور جدي بجلالة قدره أن حفيده اللي هو أنا سيعيش إلى اليوم الذي سيلتقى فيه بهذه السيدة الشيك اللي بتبرق التي قالت لي في ألاطة شوف أنا يعجبني الراجل الجنتلمان اللي يولع السيجارة لمراته.. يلبسها البالطو وهي قايمة.. يفتح لها باب العربية.. هو ده الراجل المثالي.. وفي محاولتي لكي أكون رجلا عصريا فتحت لها السيجارة ولبستها باب العربية في وشها وولعت لها في البالطو.

ولم أترحم على جدي وعلى أيامه مثلما ترحمت عليه هذا اليوم الذي مررت أنا وهي بجوار محلات المجوهرات الشهيرة وتسمرت صاحبتنا أمام قطعة مجوهرات في الفاترينة.. جات لها الكريزة واتشنجت وقعدت أكبر في ودنها عشان تمشي.. قالت لي في غيظ واحد غيرك ينبسط أنها عجبتني وييجي الصبح يشتريها لي عشان يعمل لي مفاجأة.. قلت لها تمنها كام قالت تمانية وخمسين ألف جنيه.. هنا بقه أنا اللي جات لي الكريزة واتشنجت وقعدت تكبر في ودني عشان أمشي.

ولا أنسى يوم أن قالت في دهشة.. معقول أنت من النوع اللي بيرفض أن مراته تلبس قصير.. وتخيلتني متشبثا بفرع شجرة مرتديا جلد نمر واقفا أمامها وأنا أقول يووهوهوهوهوه.. قالت لي سوري أنا بحب ألبس قصير.. قلت لها شوفي.. لو لبستي قصير أنا كمان ح ألبس قصير.

قال لي أحدهم وهو معروف بكثرة علاقاته النسائية المرأة تحب أربعة حيوانات.

الثعلب لأنها تحب فراءه الذي يزين كتفها.

والثعبان لأنها تحب جلده ومنه يصنعون شنطة وجزمة شيك محصلوش.

والكلب اللولو الذي يزيد في سحرها وهي تجره بسلسلة ذهبية جميلة.

قلت له وما الحيوان الرابع.. قال لي.. الحمار الذي يشتري لها كل هذه الأشياء .

البعض يفضلونها.. بيضا !

هي حكمة قالتها امرأة (دميمة) وهي (أن الطريق إلى قلب الرجل معدته).. ولماذا دميمة؟! لأنها بالتأكيد اعتمدت على دناوة الرجل في الوصول إلى قلبه أكثر مما اعتمدت على مشاعره أو رغباته.. لأنها لو كانت حلوة.. لا سمح الله.. لكان الطريق إلى قلب الرجل نظرة منها.. ابتسامة.. وبالتالي لن تكون في حاجة إلى حلة محشي كرنب أو طاجن فتة بالكوارع لتصل إلى قلبه ولكنها بالتأكيد ليس لديها من حل سوى أن تحشي كرنب وتحشي رأس الرجل بهذه الشعارات الغريبة.. والحقيقة فعلا أن الطريق إلى معدة الرجل قلبه وليس العكس فإذا أحب الرجل تجده يلتهم ما تطهوه له زوجته باستمتاع مهما كان.. تماما كما يلتهم الحصان التبن التهاما - وأنا لم أقل الحمار طبعا - وقالوا إن وراء كل رجل عظيم امرأة.. وهذه حكمة روجتها النساء أيضا.. وتعالوا نتحاسب.. في تاريخ مصر القديمة الذي قسمه مانيثون إلى ثلاث دول.. القديمة والوسطى والحديثة.. كانت نهاية كل دولة من هذه الدول على يد امرأة.. حتى دولة البطالمة كانت نهايتها على يد كليوباترا السابعة وكليوباترا بالتحديد كانت لغزا كبيرا في حياتي.. أعني لم أفهمه إلى

الآن.. ما الذي جاء بيوليوس قيصر من روما ولم يكن وقتها فيه طيران ولا شارتر ويقطع المتوسط عابرا إليها ويترك ما وراءه وما أمامه ويمكث في مصر سنة كاملة كأنه في إعارة أو عقد عمل مثلا وسايب الامبراطورية تضرب تقلب.. عشان خاطر عيون الست.. ولماذا يأتي من بعده ذلك العاشق المدهول على عينه أنطونيو ليفعل نفس الشيء!! هل كانت جميلة؟! لا.. لم تكن جميلة على الإطلاق.. كليوباترا كانت أقل من العادية.. سمراء وأنفها كان كبيرا ولم يكن في جمالها شيء لا يبارى ولكن يبدو أنه كانت لها رقة أخاذة وعذوبة مغرية في الحديث ورخامة في الصوت والدلال (محن يعني) وهل يفعل المُحن كل هذا.. حروب وصراعات وبلاوي زرقا؟ نعم يفعل كل هذا وأكثر .

المرأة غير الجميلة أخطر بكثير من المرأة الجميلة صدقوني.. إنها مؤامرة متنقلة ضد الرجل.. ترسم وتخطط له طول الوقت.. ولهذا أنا لا أصدق الشعراء فكل ما قاله قيس في ليلى أوهام.. هو فقط الذي رآها كما وصفها.. والعشاق كلهم كذابون.. والأطلال العظيمة التي كتبها إبراهيم ناجي لم تكن صاحبتها فيها من القصيدة الرائعة سوى اسمها فقط.. ولكنها جعلت ناجي يراها كما وصفها.. إنها موهبة.. ففاقدو البصر تتميز عندهم حاسة السمع وفاقدات الجمال تتوهج عندهن حاسة الذكاء والأنوثة أيضا .

والمرأة المصرية منذ نعومة أظافرها تحب الزينة والمكياج.. والكوافير عند المرأة أهم من الزوج.. فالزوج يمكن تغييره أما الكوافير فليس له

بديل ثم إنه شريكها الحقيقي في المؤامرة.. مؤامرة نصب الفخ للـزوج.. والمرأة المصرية بالذات ومنذ أيام الفراعنة حريصة على جمالها وأنوثتـها وتراها على جدران المعابد الفرعونية وقد رسمت عينيها جيدا بـالكحل ووضعت أحمر الخدود وطلاء الشفاه ولا أكبر نجمة من نجمات السينما.. ولكن المصيبة الكبرى هي أن الرجال أيام الفراعنـة كـانوا هـم أيضـا يضعون الماكياج مثـل النسـاء - ونحمـد الله أن هـذه العـادة الفرعونيـة اندثرت وإلا صار البيت حريقة - فتخيل أنت مثلا الزوجة خارجة من التواليت صارخة في زوجها: فين الأي شادو بتاعي.. حطيت منه برضه!! فيرد عليها الرجل وهو يمصمص شفتيه ليثبت أحمر الشفاه عليـهما في حرص.. إنت عارفاني بلحط أي شادو من ده!! ده أبوكي كان مسـتعجل ورايح الشـغل حـط شـوية منـه وبـودرة خفيفـة ونـزل.. وكـل بيـوت التجميل العالمية تعيش على هذه المرأة غير الجميلة.. لماذا؟! لأنها تحـف في أدوات الزينة، إنها تريد أن تلون كل شيء.. لتجعله يبدو جميلا براقا من الخارج.. وبعد ذلك.. هي تعرف جيدا ما ستفعله.. تماما مثل الرجـل الذي يريد أن يبيع سيارة مستعملة فيعطيها وشين بوية وشـوية سمكـرة وتراها في المعرض فيسيل لعابك عليها.. وتشتريها ثـم نكتشـف بعـد ذلك كل شيء ولكن.. أنت اتدبست.. هذه هي الحقيقة المرة.

لي صديق متزوج له أكثر من عشر سنوات دعاني للعشاء وكان معه زوجته.. وفجأة أخذني جانبا بعد أن حملق في زوجته باسـتغراب شـديد وهمس لي.. تصور أنا لم أتأمل زوجتي جيدا إلا الآن.. أين كانت عينـاي

حينما تزوجتها إن أنفها طويل جدا.. وفمها كبير للغاية و حينما نادته قائلة بابي.. سد أذنيه وقال لي.. إنها مزعجة.. مزعجة.. صوتها يضرس لي أسناني.. ولم يبت صديقي ليلته في بيته معتمدا على أبغض الحلال..

والرجل المصري عاشق للجمال.. ولجمال المرأة بالتحديد والسواد الأعظم من الرجال في مصر يعشقون البيضاوات أسوة بما قال الريس متقال (البنت بيضا.. بيضا بيضا وأنا اح أعمل إيه!!) وهو حقا لا يدري ماذا يفعل :

ولهذا يجد المصريون اقبالا شديدا من الجنس اللطيف في أوروبا وبلاد الفرنجة وتحدث علاقات كثيرة في الخارج بين الشباب المصريين والأجنبيات ليس بغرض المتعة أو الهلس بقدر ما هو رد فعل طبيعي للاحتلال الأوروبي الذي منيت به مصر في فترة من تاريخها الحديث إنه الاحتلال الجنسي.. ولكن الجلاء عندنا بأه غير الجلاء عندهم.. هما قعدوا سبعين سنة.. احنا يومين حلوين ونخلع.. ولذلك فالمرأة المصرية هي أسعد الناس بإعلانات التحذير ضد مرض الإيدز التي يحرص التليفزيون على عرضها هذه الأيام.

والمرأة المصرية إحقاقا للحق ليس لها مثيل في الدنيا كلها.. حنان وعذوبة ورقة، ولكنني أقترح لإنجاح الزيجات الكثيرة التي نراها تفشل هذه الأيام أن تقدم العائلة مع العروسة شهادة ضمان لعشرة سنوات هذا بالنسبة للمرأة الجميلة.. أما المرأة غير الجميلة.. فيبقى الحال كما هو عليه وعلى المتضرر اللجوء للقضاء ويبقى هوه اللي جابه لنفسه!!!

البعض يفضلونها.. بيضا.. برضه

عزيزي القارئ.. أبشرك بأنك لست الطاقق الوحيد وإنني لست آخر الطاقين فعلى ما يبدو أن حكاية الطقفان هذه هي القاعدة وإننا كلنا طاقين إلا قلة قليلة حاقدة من التقليديين المتحفظين.. فقد انهالت على هذا الأسبوع خطابات كثيرة جدا كلها من أصدقائي رفاق الطقفان وأنا أعد بنشرها جميعا كما هي بلا تزويد (بعبلها) يعني.. ولن أتراجع عن ذلك حتى بعد أن سمعت حكاية صديقي الذي صرخت فيه زوجته من فرط غيظها قائلة أنت طاقق فأجابها بهدوء.. وأنتي طالق..

وتعالوا نقرأ معا هذه الرسالة الجميلة التي تفضلت الأخت نجلاء برقة شديدة وبعذوبة ساحرة وكتبتها لي..

بس الله الرحمن الرحيم

أيها الرجل الجاحد

لا تحية لك

كتبت مقالات بعنوان البعض يفضلونـها بيضـا..!! مـا هـذا الحقـد ونكران الجميل أنسيت مـن هـي المـرأة؟!! إنـها أمـك قبـل أن تكـون عشيقتك.. إنها سبب وجودك في هذه الدنيا.. إنها التي جعلتك صاحب كلمة مسموعة واعتنت بك إلى أن أصبحـت طرزانـا.. أتنكـر فضلـها عليك.. أما إذا نظرنا إلى الفتاة فإذا لم تكن أنت متزوج فسوف تـتزوج في يوم وتقول لها الكلام المعسول وتكذب عليها وتراها أجمل ما يكـون وساعتهاح تقول لها الجمال ده كان مستخبي فين وبعدين يا أفندي بعـد كله ح تشوفها على الحقيقة.. أنت فاكر إن احنـا لبانـة – تمضغـها ولما حلاوتها تخلص ترميها.. أنت لا تستحق أن تكون إنسـانا وأنـا كتبـت لك في هذه الورقة الرديئة لإنك لا تستحق سواها ولأنك تدعي أنـك تكره الماكياج وأنا فتاة جميلة وواثقة جدا من نفسي ولكن هـذا لا يمنـع من وضع الماكياج.. هو أنت لما بتنزل الشغل مش بتلبس أفضل اللبس وتضع البرفان وتمشط شعرك.. فإذا كانت المـرأة تتجمـل فـهي إنسـانة رقيقة تحب الجمال والنظافة أما أنـت أيـها الرجـل فـاذهب إلى الغابـة وعش هناك وحدك.. وإذا كنت رجلا حقا وعندك شجاعة أدبيـة.. انشـر رسالتي ولكني أعلم أنك لن تنشرها..

نجلاء..

وها أنا قد نشرت لك الرسالة يا نجلاء فما رأيـك الآن.. تشـككت في نهاية رسالتك من أنني سأنشرها لك.. هه ها أنت قرأتيها بنفسـك..

فلا تنكري شجاعتي الأدبية ولا تنكري أنـني علـى خلـق.. ولا تنكـري أيضا أنني أصلحت لك فيها الكثير مـن الأخطـاء الإملائيـة واللغويـة وأنني لو كنت نشرتها كما هي لصارت فضيحة يا نوجة.. المـهم أنـت تنتظرين ردي بالطبع وأنا لن أرد ليس لعدم استطاعة ولكن لأن أحـد القراء (الطاقين) الأعزاء أرسل لي رسالة بها الرد الشافي سأنشرها كما هي أيضا.. أرسل القارئ عماد حليم الجمل من جرجا ٢٠ شـارع الـري رسالة جميلة يبدأها بالسلام ويهنئني بالعام الجديد ويدعـو لي بالصحـة والسعادة والهناء.. لاحظوا الفرق أدي الصعايدة ولا بلاش..

ويقول الأستاذ عماد حليم في رسالته:

لماذا جنس النساء يموت في الثرثرة والفشخرة والمظاهر الكذابـة ولا مانع من الإفراط في الكذب عند أكثرهن.. فأنا مثلا رجل أعشق الهدوء وكلما دلفت إلى غرفة المكتب لكتابة قصيدة أو أي شيء إلا ووجدتـها اقتحمت علي خلوتي وبصورة في منتهي الغباء وبدأت في عزف مـوال النكد على ربابة الصخب والإزعـاج وكلمـا حـاولت أن أهـدئ مـن روعها تصرخ في وجهي وتثرثر بطريقة مفزعة لدرجـة أنـني أصبحـت أعاني من توتر عصبي مستمر.. وبدات في أخذ المـهدئات الـتي فقـدت مفعولها معي رغم مضاعفة الجرعة وبكل صراحة هذه المرأة عقدتـني في حياتي وفي العيش والعيشة واللي عايشينها فنحن وبحق جنس الرجال مغلوبون على أمرنا بل ومكسورو الجناح أمام جنس النســاء المفـتري..

بالله عليك أخبرني ماذا أفعل معها حتى تهدأ أعصابي قليلا.. هل أنتحر؟!

أخوك المغلوب على أمره

عماد حليم الجمل - جرجا

والله قلبي معك يا عمدة.. وبالنسبة لحل الانتحار الذي تسألني عنه فأود أن أعلمك يا صديقي أن الرجال كلهم في محاولات دائمة للانتحار ولكنها تبوء بالفشل حيث تحبطها النساء في معظم الأحوال إذ أن المرأة ترفض تماما وبشدة فكرة أن يتصرف الرجل حتى في نفسه.. فهي الوحيدة التي لها حق تقطيعه.. وتعبئته في أكياس وبما أن معها هي وحدها هذا التوكيل.. تقول الإحصائية إن أكبر عدد من القطع قطعته امرأة لرجل كان ثمانية وأربعين قطعة.. هل رأيت يا عمدة روقان أكثر من ذلك؟! ولذا أنا لا أنصحك بالانتحار على الاطلاق فهي كفيلة وحدها بهذه المهمة.

الخيط الرفيع بين الفتاكة والتناكة

وفيه بقى نوع من الرجالة تنك تناكة ليس لها مثيل فإذا أحب واحدة اعتبر نفسه مسئولا منها ويعتبر أن الجيب واحد بين الحبيبين وأن المليان يجب أن يكب ع الفاضي وباعتبار أن جيبه فاضي علطول فصاحبنا دائما ما يسقط على حبيبته منكوش الشعر طويل الذقن ويقول لها كأنه يتكلم في مشكلة عامة. تصوري الواحد بأه ما معهوش يحلق.. النهاردة بصيت لنفسي في المراية والدمعة نزلت من عيني.. فتدوس الحبيبة في الحال على قفل شنطتها وتخرج اللي فيه القسمة وتديهوله.. فيصمت لحظة ويقولها.. معاكي سجاير!!

وهذا الرجل إذا تزوج يصبح (عالة رسمي) على مراته قلت له ذات مرة يا راجل حد يقبل إن واحدة ست تصرف عليه فاستاء مني جدا واتهمني بالرجعية والتخلف وبدأ يكلمني في بلاغة منقطعة النظير عن المساواة بين الرجل والمرأة.. وعرفت أن هذه هي الاسطوانة التي شغلها لزوجته إلى أن فاض بها الكيل ذات يوم وطالبته فعلا بالمساواة بين الرجل والمرأة حينما قالت له طيب ادفع قدي. زي ما بحط في

البيت تحط أنت كمان! وهنا بدأ صاحبنا يعيد النظر في مسألة المساواة هذه ولكن الغلطة ليست غلطته وحده.. فالمراة كما تعشق الرجل الذي يصرف عليها ويتخرب بيته على طلباتها تعشق أيضا الرجل الذي تصرف عليه ويخرب بيتها هي الأخرى.. والحكاية كلها من وجهة نظري خراب بيوت يعني..

بعد أن شاهدت فيلم الخيط الرفيع اتصلت بصديقة عزيزة وقلت لها شفتي الفيلم.. ووجدتها ترد بحماس شفت الرجالة أندال إزاي؟! بعد ما فاتن حمامة وقفت جنبه ووصلته النذل سابها.. (هي تقصد محمود ياسين طبعا..) ووضعت السماعة فإذا بالتليفون يرن وأحد أصدقائي الرجال يقول لي هيه ح تذله تقطع له البدل وتبهدله وتعايره.. يا راجل والله العظيم جدع إنه سابها (هو يقصد محمود ياسين طبعا) قالت لي امرأة متفلسفة ذات يوم.. اشعر إنك لست من أنصار عمل المرأة وقبل أن تنفقع مرارتي قلت لها يا سيدتي أنا من أشد المناصرين لعمل المرأة ولكنني أيضا من أنصار أن يعمل الرجل.. فالشاب يتخرج في الجامعة وينهي خدمته العسكرية وهو في الثلاثين.. ويستلم عمله وهو على مشارف الأربعين فيشتري من المصلحة التي يعمل بها بالتقسيط ثلاجة وغسالة وتليفزيون ومروحة ويظل يدفع في الأقساط حتى يعملوا له حفلة في-المصلحة بمناسبة بلوغه سن التقاعد وانتهائه من دفع الأقساط التي عليه.. بينما ترحب كل الشركات بآنسة

حسنة المظهر كما يكتبون في إعلانات الوظائف الخالية وما ذنب الرجال إذا كانوا ليسوا حسني المظهر بما يكفي!!

وتلهف الآنسة حسنة المظهر باكو في الشهر مقابل أن تجلس في مكتب أنيق وترد على التليفون في أنوثة وسحر ورقة.. وتقول لا يا فاندم البيه عنده اجتماع موهم.. مومكن سعادتك تجيله بكره أوكيه ياللا باي وتجري الفلوس في إيد آنستنا حسنة المظهر.. باكو على باكو تصيغ نفسها وتجيب كل حاجة وتروح لكوافير.. وماذا بعد؟!! كل هذا من أجل رجل ولكن أين الرجل؟!! ناقص في السوق فلا يزال زميلها الذي كان معها في الجامعة ينظر كل يوم في الجرنان في إعلانات الوظائف الخالية شركة الأسمدة طالبة ناس.. إديها.. ويذهب من صباحية ربنا ويقف في وسط الخلق.. ولكن ليس له حظ مع الأسمدة.. نروح مصنع البيبسي بيقولوا عاوزين ناس.. يروح ليجد نفس الخلق.. وبتكرار الوقفة والاحباط يتحول صاحبنا إلى رجل تنك فيهبط كالبراشوت على زميلته المتصيغة والتي تقدم له مشروعا جاهزا للزواج وتحط له علبة مارلبورو تبان من جيب القميص تعمل له منظر برضه وسط الناس.. وللحق هو يرفض في البداية.. ويقول لها مش ممكن آخذ منك انتي.. فتقول له برقة.. معقول احنا فيه بيننا تكليف والحاجات دي.. أزعل والله العظيم أزعل وهو بالطبع لا يرضيه أن تزعل.

والرجال التنكين أنواع فهناك تنــك قيــم (أيــم) وتناكتــه عبقريــة.. أعرف رجلا كان يحضر للماجستير ويطلب من زوجته أن تعمـل حتـى تصـرف علـى الرسـالة.. والزوجـة الغلبانـة تطبـخ وتغسـل وتعمـل وتسكت العيال.. والدكتور جالس على ترابيزة السفرة يكتب الرسالة ويضرب له ستة قهوة وثمانيـة شـاي ويحـرق لـه ثـلاث علـب سـجاير وأحيانا يزعق ويشخط قائلا.. يا ناس مـش معقـول كـده مـش عـارف أذاكر.. والزوجة في الحجرة المظلمة تقول لنفسـها طيـب ذاكـر يـا روح أمك لما نشوف آخرتها معاك ..

قالت أمي الطيبة في جلسة عائلية وديـة (الراجـل مـا يعيبـوش إلا جيبه) وكنت واقفا ساعتها واضعا يـدي في جيـبي فأخرجتـهما بسـرعة وقلت لها: بس ما تشتميش!!

أولا أنا مش شايف غير صفين لولي

تاريخ الكون كله يتلخص في علاقة الرجل بالمرأة.. وكل هذه الفتوحات والبلاد التي عمرت والدماء التي سالت والخيول التي برطعت وصالت وجالت في أرجاء الكون كانت تعبيرا عن علاقة رجل ما بامرأة ما وبالتالي فإن الغزل ليس بالبساطة التي تتصورونها. الغزل هو الحياة وقد اخترع الرجال ابتكارات في علم الغزل.. فالعين التي تغمز والفم الذي يصفر والإشارات العجيبة التي تعبر الفراغ عبر البلكونات هي أشياء ليست وليدة اليوم وإنما هي نتاج كفاح الرجل في حب المرأة منذ العصر الحجري إلى يومنا هذا.. والمرأة تعشق الغزل بنوعيه صريحة وعفيفة ولا توجد امرأة على وجه الأرض لا تطير ويرقص قلبها من الفرحة إذا سمعت كلمة حلوة من الغريب قبل القريب مهما أظهرت استياء أو لوت لك بوزها وقالت ياسم كده.. ولو كان هذا (سم) فعلا لما بقى على الأرض امرأة واحدة.. المرأة تذوق المر لكي تحظي بكلمات الغزل والإعجاب والثناء.. فظهرت مهن كثيرة تلعب على هذه النقطة فظهر الكوافير.. وظهر مصمم الأزياء.. وشركات مستحضرات التجميل وأطباء التجميل.. وشد الوجه

وتصغير الأنف وتكبير أشياء أخرى.. وكل هذه الجيوش تعمل ليل نهار.. لكي ينهبل الرجل ويعبر عن إعجابه قائلا.. (إيه القمر ده).. وهذه الجملة البسيطة تشغل مؤسسات.. وأهي أرزاق.

وقالوا لنا في الإعدادية.. وهي المرحلة التي بدأ يظهر علينا فيها تغييرات فسيولوجية قالوا لنا.. إن الغزل نوعان.. غزل عفيف وغزل صريح.. وسعدنا بذلك كل السعادة فذلك سيكون خير معين لنا أثناء وقفتنا على النواصي نراقب الرائحات والغاديات لكنهم حذفوا من المقرر فجأة الغزل الصريح حتى لا يفتحوا أعيننا على حاجات وحشة ولكن أعيننا تفتحت من تلقاء نفسها بعد ذلك حيث كنا (زبائن) مستديمين لأفلام مهرجان القاهرة السينمائي.

واختلفت طريقة الغزل عبر العصور المختلفة.. عبد الحليم مثلا.. كان ينظر بهيام إلى التي يحبها من البلكونة ويعد إلى ١٠ حتى يستطيع أن يكبح جماح مشاعره.. (رقيق قوي عبد الحليم ده). بينما أحمد رمزي كان يأخذها عنوة فهو ليس عنده وقت للعفيف.. إنه من أنصار الغزل الصريح.. وفي الشعر العربي بلاوي وأقترح أ ن يكتب على بعض القصائد كلمة للكبار فقط.. اقرأ معي هذا البيت.

أبت الروادف والثدى لقميصها   مس البطون وأن تمس ظهورا

تأمل الصراع الذي يبرزه الشاعر بين القميص الذي ترتديه محبوبته وبين مفاتنها.. أعتقد أن سوق عكاظ الذي كان الشعراء

يتبارون فيه بإلقاء قصائدهم شهد زحاما لا يقل.. عن مهرجان القاهرة السينمائي في عزه.. وأن تذاكر سوق عكاظ كانت تباع في السوق السوداء أيضا.

ولكن هناك نوعا من الغزل اندثر من حياتنا للأسف.. وهو الغزل البليغ.. المحترم.. الراقي.. شاهد فيلم رصاصة في القلب تعرف ما أقصده. عبد الوهاب هذا النجم الأنيق مرتديا بدلة محصلتش وجالسا أمام (راقية إبراهيم) في وقار وهو يقول.. أولا أنا مش شايف غير صفين لولي.. إنتي يلزمك واحد جواهرجي مش واحد حكيم .

تأمل معي الألفاظ واختياره لها.. إنه يشبه أسنانها بصفوف اللؤلؤ البراق واستوقفني كثيرا هذا التشبيه فيه شياكة وفخامة وأدب.. ولم ترد عليه (راقية إبراهيم) قائلة إيه يلخواتي الراجل ده اللي ماشي يعاكس ده!! وإنما ردت عليه بأناقة وذوق لا يقلان عن أناقته وذوقه في مغازلتها.

وبرغم أنني لست خبيرا في الغزل.. ولكن هناك بعض النصائح والإرشادات التي لا تخيب مع المرأة.. أود أن أقولها لكم.. (معشر الرجال) وعليه فالفقرة القادمة من المقال للرجال فقط وأرجو من قارئاتي من الجنس اللطيف اعتبار المقال انتهى عند هذا الحد ..

أولا: لأن المرأة تعشق التفرد فيجب أن تكون دخلتك عليها تغذي عندها هذه الرغبة.. فمن الجمل التي لا تخيب مع أي امرأة أن تقول لها إن كل اللي عرفتهم قبلها مفيش ولا واحدة منهم قدرت تاخد قلبك

وتسهرك طول الليل إلا هي.. وأنــك مجـرد عينـك مـا جـت في عينـها حسيت بحاجة جواك تحركت.. وهكذا أنت تلعب في المضمـون.. فـهذه الجملة قالها رمسيس الثاني لزوجته نفرتـاري أيـام الخطبـة ومـا زالـت ماشية إلى الآن .

ثانيا : قل لها إن (ليلى علوي) لا تعجبك كثـيرا وإن (يسـرا) مـش التيب بتاعك وأن جمالها هي من نوع خاص به من السحر والجاذبية ما لم يوجد في امرأة قط.

ثالثا : دائما عبر عن إعجابك بجمالها واصفا إياه بإسـهاب وتطويـل على قد ما تقدر.. أنا عاوز كتير من ده.. ما تزهقش.. واللي تزيله تعيله ما يهمكش.. أما إذا كان بها عيب واضح جدا أن تكون حولاء مثـلا أو بضـب أو طويلة الأنف بشكل واضح.. فأمامك حـلان لا ثـالث لهمـا.. أولهما أن تتجاهل هذا العيب تماما كأنك لا تراه.. أعمل نفسـك مـش شايفه خالص.. وقول لنفسك هو فين الحول ده.. ما عنيها زي الفل أهم ولا تركز فيهما كثيرا حتى لا تحول أنت ايضا.. أما الحل الثاني فـهو أن تغازل هذه العيوب.. فتقول لها عارفة الضب اللي مش عاجبك ده.. هـو اللي محليكي.. معرفش مديكي كله جاذبية.. أنت تكذب طبعـا ولكنـها ستصدقك لأنها تريد أن تصدقك..

وأخيرا فهذه النصائح يا أصدقـائي هـي الخاصـة بـالغزل العفيـف الذي كان مقررا علينا في الإعدادية.. أما الثـاني.. الصريـح يعـني.. فـلا أستطيع الخوض فيه الآن لأنه يمكن أن يقطع عيشي.

نانا وأخواتها

مبروك فريق كرة القدم النسائي ظهر إلى الوجود.. وحينما تطلع الفكرة إلى النور.. وتصبح رأيا عاما ونرى مباريات النساء عبر شاشة التليفزيون سينقسم الناس فريقين برضه.. فريق يؤيد الفكرة وفريق يرفضها رفضا تاما، أما أنا فلن أكون مؤيدا ولا معارضا.. امال ح أكون إيه.. طربوشا شاردا.. حالما.. أتخيل أشياء وأبني عليها تماما مثل قصور الرمال التي نبنيها على الشاطئ وتأتي الأمواج لتهدمها وتحولها إلى تراب.. يا ساتر.. أعتذر عن التشبيه السابق بتاع قصور الرمال ده لأنه مكرر وتقليدي واتقال أكثر من مليون مرة في كل الروايات الرومانسية.. ولكنني أود أن تطلع روايتي مختلفة.. أتخيل المشهد الأول من الرواية.. نهار خارجي المكان استاد القاهرة.. تتقدم نانا.. وهي رأس حربة فريق كرة القدم النسائي.. لتشوط ضربة الجزاء الأخيرة.. والبطل واحد من الميت ألف متفرج الذين أتوا زاحفين ليقفوا بجوار فريق حريمهم (اللذي) يلاعب حريم فريق أفريقي مش من عندنا.. ترجع نانا خطوتين للوراء.. وتركز.. وتتقدم مسرعة وتركن الكرة على شمال يا

كندا الحارسة الزمبابوية.. ويهدر الاستاد كله في هتاف واحد.. بص شوف نانا بتعمل إيه.. ستقفز نانا من الفرح هي واخواتها، وسترقص مثلما فعل ميلا ولكن ييجي إيه ميلا في رقص نانا.. وستشتغل الصاجات والطبل.. وسيستعين الفريق النسائي بالمطرب الشهير سامي علي.. ليسخن الفريق بأغنيته التاريخية.. هما الحلوين عشان حلوين يعملوا كده هو؟ الله يسامحك ياللي في بالي.. سيذهب البطل إلى بيته وصورة نانا وهي تحرز الهدف لا تفارق دماغه سيحرص على أن يتفرج عليها في نشرة ٩ وهم يعيدون الأهداف.. سيقول المذيع بلهجة جادة درامية جامدة قوي.. وقد فاز فريقنا النسائي القومي بثلاثة أهداف للاشيء، أحرزت الهدف الأول منال عبد العظيم والهدف الثاني نانا الشابوري أما الهدف الثالث فقد أحرزته أم عمرو ..

ستدخل أم البطل عليه.. ما لك يا ابني.. حالك مش عاجبني.. سيقول لها البطل: بحبها قوي يا ماما.. تقول الأم.. نسأل عليها يا بني.. ده جواز مش لعبة.. من صباحية ربنا سينزل البطل ليسأل عن البطلة ح يسأل فين؟؟! سيذهب إلى وزارة الشباب والرياضة وسيخرجون له ملف نانا.

سيعلم أنها حصلت على ثلاثة إنذارات في الموسم الماضي.. وأخذت كارت أحمر وهي تلعب المباراة النهائية في زائير.. ولكنه لن يستسلم.. سيصفح عن كل ماضيها بإنذاراته.. بفاولاته.. وسيقرر أن

يبدأ معها صفحة جديدة.. في البيت سيقول له أبوها.. أنه لا يمانع.. بشرط أن يدفع لها ثلاثين ألف جنيه مهر الزواج لثلاثة مواسم متتالية.. ويدفع مثلها للنادي الذي تلعب فيه.. سيعيش صاحبنا حياة زوجية هانئة مع الكابتن نانا ولن يفرط فيها برغم العروض التي تنهال عليها وسيخيم على عشهما السعيد.. الهدوء والروح الرياضية وحتى خلافاتهما الزوجية العادية ستبدو مثل أي مباراة ودية خالية من العنف والإنذارات.. ولكن المشكلة الأولى التي عكرت صفو حياتهما الزوجية.. حينما كن (فريق السيدات يعني) يلاعبن فريق مالي.. في كأس أفريقيا للنساء.. وفجأة رفعت إيناس الكورة من الوينج اليمين لتتلقاها نانا برأسها وتضعها في الجون.. وهاص الاستاد كله وهلل مشجعا.. نانا.. نانا.. أوه.. أوه.

ولكن نانا وقفت وكان يبدو عليها شيء غير طبيعي.. وارتعد قلب صاحبنا.. شعرت نانا أن الدنيا تلف بها وأن نفسها غامة عليها شوية.. وحاولت الاستمرار في المباراة ولكن الدوخة لم تفارقها.. ويدخل الطبيب المعالج.. وهو طبيب نساء مشهور، ويقول للمدرب.. نانا يجب أن تخرج من المباراة فورا نانا في الخامس.. وأشار المدرب باللافتة أن تخرج نانا نمرة ١٠ وتنزل مكانها راوية نمرة ١١.. ورفضت نانا أن تخرج وتأزم الموقف.. ليه؟! لأن نانا بتموت من راوية وما بتطيقهاش.. علشان راوية بتغير منها وحاطاها في دماغها من أيام ما كانوا أشبال في النادي..

ويتدخل زوجها الجالس بجوار المدرب ويصر على أن تلعب نانا المباراة حتى لا تعكر عليه صفو حياته في البيت.. ويتساءل بعضهم هل سيجلس الأزواج والخطاب داخل الملعب أم في المقصورة.. أعتقد أن الفيفا سينشئ دكة بجوار دكة الاحتياطي يجلس فيها أزواج الفريق ده وأزواج الفريق ده وذلك حتى إذا حدثت مشاجرة داخل الملعب لن تكون خناقات بونيات وشلاليت.. وإنما ستكون معظمها جرجرة شعر وردح أكثر منها تشابك بالأيدي وأحسن حل يا إخواننا بدال الفضايح والجرسة.. وكل واحد ياخد مراته ع البيت.. وبالليل نعمل قعدة عرب ونتكلم مع الحكم.. أما صفقات بيع اللاعبات.. فسيكون فيها فصال جامد قوي فالسيدات أكثر قدرة على الفصال والبيع والشراء من الرجال.. أنا شخصيا حاكل عيش وبقلاوة من الحكاية دي لأنني منظر على بنت نيجيرية حكاية.. شبه إيمانويل بالضبط واسمها إيمانويللا.. وبانخلص مع أبوها في الكتيمي.. وهي دي اللي ح أنزل بيها الموسم اللي جاي..

مبروك للمرأة.. اقتحمت كل المجالات الرجالي.. وأرتاح عم قاسم أمين في تربته.. فبعد أن ذاق الرجل الأمرين لكي تتعلم المرأة وتخرج إلى ميدان العمل.. لم يكن يحلم أو يتصور حتى أن تخرج المرأة إلى الاستاد.. ولكني مع ذلك أنصح بعدم تكوين فريق نسائي في الصعيد لدواعي أمنية.. ولكن الشيء الذي أخشاه أن تلمع إحدى اللاعبات في

الفريق النسائي لقدرتها الفذة على ترقيص الفريق المنافس ولتعاملـها مع الكرة بنعومة وجمال فيرشحها قطاع الإنتاج لبطولة فوازير رمضان.. وهنا سيخسر فريقنا النسائي القومي قوة ضاربة من أجل الفن وسيطلع برنامج القناة الثالثة الشهير (الكرة في الملعب) لينقل لنا لحظة بلحظة مشاعر لاعبتنا الرقيقة الصادقة.. وكما يقول اللاعبون دائما في اللقاءات التليفزيونية احنا حققنا النتيجة دي عشان نفرح الشعب المصري ستقول لاعباتنا.. احنا كل اللي يهمنا.. إن احنا نفرفش الشعب المصري.. ومرسيه للجمهور اللى حضر .. وستقول لولا لاعبة خط الوسط.. أنا بحب اطمن الجماهير بعد مستوايا ما نزل لما فسخت ختوبتي.. الحمد لله أديني حتيت جون ومن هنا باقول لختيبي.. أنت اللي خسران .

آه يا عزيزي من آداب إنجليزي

خد بالك يا عزيزي.. أنت تكبر فجأة وتشيخ فجأة.. فالأرض التي تمشي عليها وتراها ثابتة لا تتغير تجري بسرعة مهولة.. فبالأمس القريب ذهبت لأشتري عسلية وأرواح وحرب إيطاليا قابضا على البريزة في كفي وكأنني أمتلك العالم.. وفجأة.. التفت لأجد نفسي وقد صبغ الشيب شعري وتسللت التجاعيد إلى وجهي المتعب.. هذا بالضبط ما حدث لي.. من الذي ضغط على زرار التقديم السريع في ريموت حياتي؟ وأخذت أحملق في هذا الناظر نحوي في المرآة مندهشا ما كل هذا الشيب؟ لا.. ليس أنا. لا يمكن أن أكون شخت بهذه الصورة إلا إذا كنت أمثل في الجزء الخامس من الحلمية.. لماذا تكبر بهذه السرعة أنا مازلت لم أدخل دنيا حتى.. يقول أنوشروان.. كنت أخاف إذا شخت ألا ترغبني النساء فلما شخت صرت أنا الذي لا أرغبهن.. وهذا طبعا قصر ديل من الأخ أنوشروان قالت.. لي الفتاة الرقيقة المجاملة.. يعجبني الشعر الأبيض فبه وقار وبه هيبة وبه فخامة. ومر بها زميلها الذي يشبه عمرو دياب صائحا.. نانو.. ح نلعب أفلام مش ح تيجي.. واختفت نانو من أمامي كالبرق.. ذهبت لتلعب أفلام.. لتعيش

وتضحك وتنطلق.. وتركتني واقفا وحدي مثل عماد حمدي بالضبط.. باستثناء الفرق اللي من النص .

في الأسبوع الماضي دعيت إلى حفل بكلية الآداب.. طلبة وطالبات مثل الورد يمثلون ويغنون ويلقون الشعر.. حركة متواصلة ونشاط الله أكبر.. كنت أريد أن أرقيهم من عين الكليات الأخرى.. الصوت بايظ لكن مش مهم.. الستائر تقع لكن هذا أجمل.. فعلا هذا أجمل فأنا أحب أن أرى الأشياء بعبلها.. والبنات بأه.. ماذا أقول بعد كل ما قيل.. على رأي عادل إمام رأيت سبعمائة ميس إيجيبست رائحات غاديات أمامي.. يتحدثن الإنجليزية بصورة تعقد الليدي ديانا ومسز تاتشر.. ويتكلمن العربية بمستوى الخنساء وفي خفة الدم بأه وضعوا ماري منيب وزينات صدقي ووداد حمدي في خلاط وضربوهم مع بعض وبقوا هما بالظبط.. الملابس أوروبية.. لكن خجل المصريين يزيدهن بهاء .. هل تذكرون مارلين مونرو التي سحرت العالم كان سر جمالها أنها لا تشعر به.. فيطير فستانها فيكشف عن ساقيها الرائعتين فينهبل الرجالة وتجيلهم كرشة نفس ويتوقف المرور في واشنطن كلها.. وهي تنظر ببراءة وتقول.. فيه إيه.. فيه حاجة.. ويتوقف المرور في واشنطن كلها.. وهي تنظر ببراءة وتقول.. فيه إيه.. فيه حاجة.. بيبصوا على إيه دول.. وبعدها صارت أسطورة.. حتى في موتها.. دخل عليها رجال البوليس الحمام ليجدوها منتحرة وقد جردت من ملابسها.. قرأت هذه الحادثة وأنا في مطلع شبابي وجعلتني لفترة طويلة مصرا على أن أدخل كلية الشرطة بعد حصولي على الثانوية العامة.

وهذه المرأة الأسطورة ما تجيش حاجة في المرأة المصرية ولـذا سـأرفع دعوى وسأقاضي أي مؤلـف أو مخـرج يظـهرها لنـا في الأفـلام نكدية وضارية بوز وغتيتة.

لم تعد في حياتنا تلك المرأة التي تنادي على زوجها عمال على بطال - محمود.. أنت نمت يا حبيبي محمود.. أسخن لك السلطة يا حبيبي.

صدقوني.. الشباب هو أجمل شيء في هـذه الدنيـا.. ولـذا لا تؤجـل حب اليوم إلى الغد ولا تؤجل زواج اليـوم إلى الغـد.. فالمشـاعر تفـرق والأسعار أيضا تفرق.. وحاجات تانية تفرق برضه.. ويقول الشاعر:

لا تنكحن عجوزا إن دعوك لها

وإن حبوك على تزويجها الذهبا

فإن أتوك وقالوا أنها نصف

فإن أطيب نصفيها الذي ذهبا

تذكرت هذه الأبيات وأنـا في الحفلـة بتاعـة الآداب.. كنـت جالسـا بينهم.. لا أفتح بقى.. أتفرج.. استمتع بهم.. تمنيت أن يتزوج كل هؤلاء الأولاد من كل أولئك البنات.. وأن أشـهد علـى كـل هـذه الزيجـات.. ورأيت في العيون قصص حب جميلة ستئدها الظروف والفلوس وبابـا وأونكل وستتزوج البنت الأمورة هـذه مـن رجـل آخـر غـير العاشـق النحيل الواقف بجوارها.. سيلقطها رجل جـاهز.. سـافر بـره وعملـهم وجه.. واتقدم وحينما سيزورهم سـيتكلم معـها في السـيراميك وورق الحيط والقيشاني.. بينما هي بكل جوارحها وبكـل وجدانـها تحتضـن هدية العاشق اللي على قده آخر شريط لمحمد فؤاد (بـأودعك) وتمسـح

دموعها وتجري إلى كشك الشرايط.. وتقول للبائع.. عندك (أنا ما تنسيش) بتاع لطيفة.

لن نقلبها غم يا جماعة فأنا سعيد برغم كل ما رأيت وبرغم كل ما أحسست فمثلا (أسماء بنت خمارويه) حاكم مصر في عصر الطولونيين.. كانت فتاة صغيرة فلقة قمر وطلبها الخليفة المعتضد لابنه كي يزوجا له.. وعمل لها أبوها فرح ما شافتش مصر ولا إنجلترا حتى فرح زيه.. لا يقارن سوى بحفلة كلية الآداب وبنى لها أبوها الحاكم في مشوارها إلى الخليفة قصورا على الطريق نسخة طبق الأصل من قصر والدها لكي تستريح فيها وحتى لا تشعر بالغربة وكان اسم الدلع بتاعها (قطر الندى).. وذهبت قطر الندى إلى الخليفة لتتزوج ابنه فحليت في عينيه فتزوجها هو.. وكان عمره من عمر والدها مستريح ولم يتبق من هذه الحدوتة المريرة سوى الأغنية الشهيرة الحنة.. الحنة.. يا قطر الندى.. تلك هي أغنية الزفاف ولكن حاول أن تغنيها يا عزيزي كده (الحنة.. الحنة.. يا قطر الندى يا شباك حبيبي يا عيني جلاب الهوا) تجد أن اللحن كئيب وحزين وجنائزي كأننا داخلين على ميتم.. مش على فرح تشعر وأنت تسمعه أن قطر الندى نازلة لطم على خدودها وهي تزف لراجل عضماية زي المعتضد ومعاها حق.. وأنا أيضا لن أنتظر حتى أصل إلى سن المعتضد فساعتها مش ألحق قطر الندى ولا قطر الصعيد حتى.

بلوغ الإرب في معرفة نساء العرب (١)

دخلت إلى مكتبي فتاة خارقة الجمال في السادسة عشرة من عمرها، ينسدل شعرها الفاحم على جبينها الوضاء وتلمع العينان السوداوان في الوجه البدر.. وترتدي بنطلونا واسعا حالك السواد على بلوزة سوداء ضيقة للغاية وتضع أسود شفاه غامق يظهر نصاعة أسنانها البيضاء حينما تبدأ في الكلام.

سلمت علي فرددت سلامها بوقار، كان يبدو عليها أنها في حالة حداد وجلست منكسرا في وضع المعزي أتنهد من حين لآخر قائلا.. إيه.. دنيا.. لكنني فوجئت بها تقول لي.. أنا أريد أن أمثل.. وعندي إمكانيات استعراضية مدفونة.. فأنا أرقص وأغني وأفعل كل شيء فهل تمنحني هذه الفرصة؟ قلت لنفسي لا بد أن الفتاة تمر بظروف صعبة بعد وفاة والدها مثلا.. وهي تريد أن تمثل وترقص وتغني لكي تصرف على العائلة التي تشردت بعد الحادث الرهيب.. قلت لها.. لا يا عزيزتي.. لن تدفعك الحياة للرقص والغناء من أجل لقمة العيش.. ستكملين دراستك.. وستحصلين على الشهادة الجامعية.. وقبل ان

أكمل حديثي.. قاطعتني بجرأة قائلة إيه ده.. إيه ده.. أنت فاهم إيه؟! وضحكت ابنة الستة عشر عاما حينما فهمت ما يدور بذهني.. وقالت لي.. إن الطقم الذي ترتديه يساوي ثلاثة آلاف جنيه.. وأنه آخر موضة ولا علاقة له بالحداد.. فقلت لها.. ولكن وجهك وملامحك الحزينة.. وهذا الروج الأسود الذي في شفتيك.. قالت لي.. بذمتك مش حلو.. مش عامل جو معايا.. وتذكرت عبد الوهاب في فيلم يوم سعيد عام ١٩٣٩.. وهو يكلم بطلته سميحة سميح في حديقة عامة.. أهو أنتوا كله يا جيل تنعة وتلاتين.. جيل الترعة.. شباب مِتعجل على كل حاجة.. ولم تعطني ابنة الستة عشر عاما أي فرصة للكلام.. تكلمت هي في كل شيء وبجرأة وبصراحة.. وعرفت بعد أن التقيت بها لماذا كان العرب في الجاهلية يئذون البنات (أي يدفنونهن أحياء) وقد بدأت عادة الوأد هذه في قبيلة تميم بن مر ثم بقت عادة.. وللأسف الشديد اندثرت هذه العادة في هذه الأيام.

هل هذه الفتاة هي حفيدة المرأة العربية التي نالت من قصائد الغزل والحب ما لم تنله امرأة في الدنيا كلها.. هل هذه هي ليلة العامرية.. بثينة.. لبنى.. فوز.. عزة.. هل يمكن لهذه الفتاة الجريئة أن تلهم شاعرا ببيت واحد.. بيت شعر طبعا مش اللي بالكوا فيه.. لا طبعا!! البيت الوحيد الذي يمكن أن تلهمه به.. لابد وأن يكون شقة مفروشة ..

قالت لي صديقة عزيزة.. ولكن هذ الفتاة التي تكلمني عنها ليست هي القاعدة.. صحيح أن منها كثيرات.. ولكن يوجد أيضا الوجه

المشرق للمرأة العربية.. وطاف بخيالي وجوه رائعة لنساء لم ألتق بهن.. لم أصافحهن.. ولكنني أعرفهن تماما.. ولأن الإعلام رجل.. والتاريخ رجل.. أسندت لهن أدوار ثانوية وصاروا كومبارس..

في أيام الجاهلية.. أرسل الحارث بن عمرو امرأة تدعى عصام لكي تخطب له واحدة وكانت وظيفة الخاطبة أيامها.. أن ترى العروسة من شعر رأسها إلى أصابع قدميها.. وكانت الخاطبة هي الوحيدة صاحبة الحق في الكشف والمعاينة.. وعادت الست عصام إلى الحارث لتصف له خطيبة المستقبل.. وقال لها الحارث بمجرد أن رآها.. ماذا وراءك يا عصام؟! وصار هذا مثلا.. شوفوا انتوا بقه الحلجة عصام قالت له إيه.. (رأيت جبهة كالمرآة المصقولة يزينها شعر حالك كأذناب الخيل وحاجبين كأنما خطا بقلم وبينهما أنف كحد السيف حفت به وجنتان كالأرجوان شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم ثقب فيه لسان بفصاحة وبيان) .

شفتوا بذمتكم خاطبة بالبلاغة دي.. والله العظيم أنا لو من الحارث كنت خطبت الخاطبة وسبت العروسة.. والست عصام طبعا لم تكتف بوصف الوجه ما خليتش حتة ما طمنتش الراجل عليها.. لهذا تزوجها الحارث بلا تردد لتلد له بعد ذلك سبعة ملوك كلهم حكموا اليمن.. أدي الجوازات ولا بلاش..

ولكن لم تكن كل الزيجات بهذا الجمال في الجاهلية.. يقول عبد الله خالد الحذاء.. خطبت امرأة من بني أسد فجئت لأنظر إليها وبيني وبينها رواق يشف.. أي أنه لا يراها واضحة لكنه يستطيع أن يرى ما تفعله.. فإذا بها دعت.. بجفنة (طبق يعني) مملوءة ثريدا (خبزا) مكللة باللحم وأتت على آخرها.. الطبق بأه مراية.. ثم أتت بإناء مملوء لبنا ونبيذا وشربته حتى كفأته على وجهه.. بالهناء والشفاء.. كل هذا والأخ الذي جاء ليخطب يتفرج.. وإذا بها قالت يا جارية ارفعي الستارة فإذا هي جالسة على جلد أسد قوية البنيان يافعة وقالت له يا عبد الله.. أنا أسدة من بني أسد على جلد أسد وهذا مطعمي وهذا مشربي فإن أحببت أن تتقدم فافعل.. فقال لها عبد الله.. أشاور نفسي وأجيلك وأخذ ديله في سنانه وخرج ليس من بيتها فحسب بل من الجزيرة العربية كلها ويقال إنه قطع الخلف بعدها.. من الخضة ..

بلوغ الإرب في معرفة نساء العرب (٢)

والمرأة العربية بالذات ليس أمامها مستحيل.. وهي أقدر على التخطيط من الرجل وأكثر صبرا وحنكة.. لماذا؟! لأن بقاءها الأزلي بين أربعة جدران جعلها كثيرة التأمل.. وهي إذا أرادت شيئا فعلته.. وليس أمامها أي عقبات.. فهي لا يعيبها أن تتراجع في كلمتها.. بينا الرجل زنق نفسه في حكاية (الراجل كلمة) وهي لا يعيبها أن تتذلل وتستضعف أمام الرجل.. فالضعف لا يعيب المرأة بينما يعيب الرجل طبعا وهي لا يعيبها أن تبكي أمام الرجل الذي تحبه بينما تهتز صورة الرجل وهو يبكي أمام حبيبته ويسمح دموعه قائلا وهو يتكلف الابتسامة (دي دموع الفرح يا حبيبتي).. الجملة نفسها التي قالها لي صديقي العريس في ليلة فرحه وهو متأبط ذراع عروسته.. والدموع في عينيه.. سمعتها تهمس في أذنه: أيه الدموع دي؟ فأجاب بلهجة مؤثرة: (دي دموع الفرح).. وهمس لي بدون أن يلحظه أحد: (دموع اللي صرفته ع الفرح.. خربوا بيت أهلي) .

ويحكي أن رجلا اسمه نصر بن حجاج كان يعيش في الجزيرة العربية.. وكان من أجمل الناس.. وكانت النساء ليس لهن حديث في الخيام والقعدات الحريمي غير نصر بن حجاج.. جاذبيته.. رجولته.. عيناه. إنسى..!! لا تكلمني عن راغب علامة أو عمرو دياب.. من هؤلاء بجوار نصر بن حجاج؟.. حتى أن امرأة من فرط شوقها لنصر قالت:

ألا سبيل إلى خمر فأشربها.. أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج؟

وظلت امرأة تدعى (شميلة) تزن على زوجها (مجاشع بن مسعود السلمي) أن يعزم ابن حجاج عندهم.. ودعاه إلى بيته وكان مجاشع (الزوج) أميا لا يقرأ ولا يكتب.. وجلس نصر أمام (شميلة) وتبادلا النظرات.. ولما كان الزوج (بصمجي) - كما قلت - كتب لها نصر على الرمال أمامه: (أحبك حبا لو كان فوقك لأظلك) فكتبت هي: (وأنا والله كذلك) وطبعا مجاشع قاعد بين الاثنين طور الله في برسيمه.. ولكن مجاشع الأمي كب على الكتابة إناء ليحتفظ بها.. ثم أدخل كاتبا وقرأ له الكلام.. وعاديك ع اللي عمله.. قال لهم: (أنتوا فاكرين انكوا ح تقرطسوني؟! لا.. ده أنا صايع قوي.. طبعا لم يقل مجاشع بن مسعود السلمي هذا الكلام حرفيا.. وإنما يعني أكيد كان هذا معناه.

تصوروا زوجها قاعد ومع ذلك هي لا تتورع أن ترسل خطابات على الرمال لنصر بن حجاج .

ورغم أن التاريخ رجل كتبه رجل عن رجال.. إلا أنـه أحيانـا قليلـة يمن على المرأة بدور مهم ويعطيها بطولـة فصل مـن فصـول الروايـة الضخمة.. حدث هذا في نهاية عصر الأيوبيين حينما مـرض السـلطان نجم الدين أيوب مرضا خبيثا ومات وكانت البلد في حرب مع الفرنجة.. هنا ظهرت (شجر الدر) اسمها شـجر وليـس شـجرة استقبلت الخـبر ببرود غريب ولا كأن حاجة حصلت.. لفت الراجل في محفـة و أرسـلته إلى قلعة الروضة.. وأخفت الخبر على الدنيا كلـها.. ورتبـت التمثيليـة كأن السلطان نايم في أوضته بالضبط.. دكاترة داخلين ودكاترة خارجين.. وهـي ترسـم علـى وجهـها ابتسـامة منحوتـة.. و يسـألها قـائد الجنـد: السلطان عامل إيه النهاردة؟

فترد في أنوثة : يعني أحسن .

وتخرج الأوامـر الرسميـة موقعـة بإمضائـه.. وتؤلـف شـجر الـدر القصص وتقول لنـائب السـلطنة: (والله قعـدت سـاعة أتحـايل علـى السلطان علشـان يمضـي علـى الصـك ده)! شـهرين ونصـف.. وهـذه المسرحية المثـيرة شـغالة والملكـة شـجر الـدر هـي المؤلـف والمخـرج والبطلة.. والموقف رغم إثارته.. يذكرني بالفيلم الكوميدي (إجازة مـع ميت) فلا بد أن شجر الدر بعد موته استخدمته علة أيـام وهـو نـائم على السرير فمرة تعدله وتجلسه على كرسي ليراه الجند.. ومـرة يرونـه جالسا أمام صينية الأكل وبيده حتة لحمة!!

ولما أيقنت الملكة الطموح في النهاية استحالة أن تتسلطن قررت أن تتزوج بمن يحقق لها طموحها تزوجت من عز الدين أيبك في يوليو ١٢٥٠ وكان متزوجا وله ابن يدعي المنصور علي.. وبدأت غيرة النسوان بقه!! وإيه اللي أخرك لحد دلوقت أسلوب في التعامل لا يقبله الواد عزوز الميكانيكي مش السلطان أيبك.. كل هذا وأيبك مستحمل فهو الذي قبل من البداية الجوازة والشقة - القصر يعني والوظيفة - السلطة يعني يبقى ما يتكلمش ولكنه فجأة فاض بيه بصراحة بأه.. وعمل بالضبط زي يوسف وهبي.. حينما كان يثور على زوجته في آخر الفيلم.. وسراج منير حينما كان يثور على ميمي شكيب في آخر الفيلم برضه وقررت شجر الدر التخلص منه فأدخلت عليه وهو في الحمام خمسة من المماليك شرعوا في خنقه.. وبكى أيبك.. توسل إليها أن تبقي على حياته.. قال لها في مسكنة: (أنا عندي عيل عاوز أربيهم.. واحنا ما لناش غير بعضنا) هنا تحركت المرأة التي بداخل السلطانة ورق قلبها قالت لهم في رقة (اخنقوه بس بشويش)!!

الباشا بلياردو.. ولا بولينج !!

إذا سألتني عما أتمناه والعيد على الأبواب.. ح أقولك بصراحة.. أنا عاوز عجلة!! آه والله.. فأنا للأسف الشديد لم أعش طفولتي.. كنت طفلا مع وقف التنفيذ وطولبت لظروف خاصة أن أؤجل معيلتي إلى أجل غير مسمى.. وحينما انتهت هذه الظروف الخاصة لم أستطع أن أمارس معيلتي.. كان الأوان قد فات.. كنت طفلا وفورا أجلس مع الكبار واضعا قدما على قدم وأومئ برأسي على ما لا أفهمه وأتناقش في أمور سياسية ضخمة وتدريجيا كنت سأتحول إلى طفل أصلع وبكرش.. وإذا أتى العيد وحاول أبي أن يعتذر في حرج عن إجابة بعض مطالبي كعيل كنت أعلو على الموقف.. وأصبح أكبر سنا من أبي نفسه وأقول له.. خلاص بقى يا حاج ما تشيليش هم.. دي طلبات عيال كلها.. عجلة إيه.. وقطر إيه بس!! إحنا ح نعيل.. وكبرت وشاب شعري وصرت أستطيع أن أشتري عجلة وقطر سكة حديد كمان ولذا كلما أحضرت لعبة لطفل من العيلة.. أربت على رأس الطفل في أبوة مصطنعة وأقول له خد دي يا أسامة إلعب بيها وفيما بيني وبين نفسي أتمنى.. لو حط أسامة في عينه شوية ملح وعرض علي حتى من قبيل

المجاملة أن أشاركه اللعب بها.. وإذا طنش وتلك هي عادته أفرض نفسي عليه.. أقول له.. وريني كده هي بتمشي ازاي.. بالحجارة وإلا بالزمبلك واشدها منه بغل.. هات كله.. لما أجربها لك.. والحقيقة أنني بأجربها لي..

ولأنني لم أشبع طفولتي كما ينبغي ترسبت بداخلي أشياء وسلوكيات عجيبة.. فهذا الطفل الواعي المقدر للظروف الذي كنته صار عندما كبرت طفلا شيطانا شعنونا.. اتعاقد على العمل الفني فإذا ضايقني المنتج أو الممثلون.. أتخنق بسرعة واقول.. مش لاعب.. وأراهم وهم يجيبون مطالبي كأنهم يأخذونني على قدر عقلي.. ويقول لى المخرج والمنتج وائل عبد الله.. اكتب المشهد ده يا حبيبي عشان أجيب لك حاجة حلوة.. صدقوني.. الطفولة لها أثر كبير جدا على تصرفاتنا وإذا ألقيت نظرة على صورتك وأنت طفل لانتابك إحساس غريب بعدم الانتماء وربما قلت لنفسك بأه أنا ده!! قالها من قبل الشاعر الراحل أمل دنقل.. قال وهو يتأمل ألبوم صوره..

(هل أنا كنت طفلا..

أم أن الذي كان طفلا سواي

هذه الصورة العائلية

كان أبي جالسا وأنا واقف تتدلى يداي)

ثم يعود ويقول متأملا صورته :

(لكن تلك العذوبة

لا تنتمي الآن لي

صرت عني غريبا)

وعبد الحليم حافظ الذي عاش طفولة بائسة وعانى من اليتم.. ظل طوال حياته يبكي في كل أغانيه حتى أغانيه الفرحة المبهجة.. كان كلما يغني أتمنى أن أخذه في حضني واقول له.. تحل لحمو يا حبيبي.. وظلت أغنيات هذا الطفل اليتيم لها هذا الحزن العميق الذي يعود لسنوات بعيدة سنوات طفولته.

اقترب مني طفل زي القمر لا يتجاوز الخامسة.. يحمل بعض الجرائد ويبيعها في عز البرد.. وقل أخبل.. أهلام.. جمهولية.. ابتسمت وقلت له بطريقته معاك جلايد فابتسم مومئا برأسه فسألته بتام قال ببراءة تأسر القلب.. مش عالف.. وأطفالنا هذه الأيام يختلفون كليا وجزئيا عننا حينما كنا أطفالا.. سألت أروبة لا تتعدى السبع سنوات ما الذي يعجبك في التليفزيون يا كميل قالت بسرعة.. حوال صليح جدا.. قلت لها منزعجا.. لماذا.. أجابت.. مس نجوى فؤاد اتجوزت ألبع ملات؟!! قلت لها وأين مغامرات السندباد.. وأين السلاحف فضحكت مني سلخرة.. وقالت.. لا يا عمو.. ده كان زمان.. وأعرف طفلا في الثامنة مدمن فرجة على نشرات الأخبار وغدا تقول الصحافة.. قلت لأبيه.. هذا الولد تمنع عنه المصروف وتعطيه علاوة تشجيعية وبدل غلاء معيشة..

ولذلك إذا فكرت أن تشتري لطفلك لعبة في العيد فكر جيدا.. حتى لا يرميها في وشك وفكرة اللعبة موجودة من قديم الأزل.. وهي

نابعة من أن الأطفال منذ فجر التاريخ يحبون تقليد الكبار.. مثال.. المسدس.. البيت الصغير.. العروسة.. كلها محاولات لغرس أشياء يعملها الكبار في نفوس الأطفال.. لكن بقى ما الحال لو كان الأطفال النهاردة مش مقتنعين بينا أساسا؟! وفي الآثار المصرية القديمة وجدوا كرات ودمي وبلابل خشبية وشخاليل.. يعني هما الفراعنة ما كانش ليهم نفس.. وعلى جدران المعابد الفرعونية نقوش تصور المصريين القدماء وهم يلعبون استغماية والحجلة والسبع طوبات.

اللعب غريزة في الإنسان وفي الحيوان أيضا.. فالقطة بقدر حاجتها إلى سمكة مشوية تحتاج إلى بكرة خيط تظل تلعب بها ولا تزهق.. والزوجة بقدرة حاجتها إلى حقوقها المادية ومصاريفها من حقها أن تشتري لها نصف دستة أطباق تكسرهم في لحظة طقفان برضه.. والشباب والبنات اليوم يملأون قاعات البلياردو والبولينج وهات يا لعب.. واللعب هناك له فوائد عديدة.. والا أنتو مش معايا.. نصف أصدقائي خطبوا من البولينج ده.. والنصف الثاني خطبوا من نوادي البلياردو.. وإذا رأيت أحد أصدقائي بصحبته فتاة روشة جميلة أسأله بطريقة السيم.. الباشا.. بلياردو ولا بولينج..

ولا أعلم لماذا حينما أرى فتاة تلعب البولينج أو البلياردو وسط مجموعة من الشباب..

أشعر أن المسألة أصبحت أكبر من اللعب.. وأن العملية دخلت في الجد..

الحب بـــاظ !!

نجحت الأفلام العاطفية المصرية في تاريخها الطويل في تبويظ الحب وكلامه بعد أن استهلكت كل وسائل التسبيل التي يقـوم بـهـا الرجـل والمرأة وظهرت تعبيرات جديدة تقولها في وشــك أي واحـدة تحـاول أن تتقرب منها فإذا بها تقول لك إيه ده فيلم بقه وإلا إيه.. أو تقـول لـك أنت ح تغني عليا أو تقول لـــك ح تشـغل لي الاسـطوانة.. فيسـقط في يديك علطول وترتبك ولا تجد ما تقولـه.. كنـت جالسـا ذات يـوم مـع إحداهن وأخذتني الجلالة وقلت لها بكل صدق وبكل رومانسـية.. ليـه كله بتعملي فيا كله ليه.. تقربيني منك وبعدين تبعديـني عنـك تـاني.. فابتسمت في بـرود وقـالت لي.. قالهـا عبـد الحليـم لشـادية في معبـودة الجماهير.. متخيلين حالتي طبعا ولكني لم أيأس.. كملـت قلـت لهـا.. إن كل السنين اللي فاتت دي ما كنتش عارف إني بحبك انتي وإنـك انـتي ملهمتي.. قالت لي في غتاتة ما هي دي بتاعة فريد اللي قالها لفاتن حمامة في لحن الخلود.. هنا أدركت أن القعدة خربت والمسائل باظت وتركتـها وذهبـت إلى البيـت فشـدني الحنـين إليـها.. رفعـت سماعـة التليفـون

وطلبتها.. ردت عليّ بصوت عذب.. ألو.. قلت لهـا بصـوت حـالم أنـتي نمتي؟ فأجابت بغلاسة ليس لها مثيل : أنت لسة شايف الوسادة الخاليـة وإلا إيه!!

وساد التفكـير الواقعـي (العملـي) العلاقـات العاطفيـة فأفقدهـا روحها وعبقها وصار الحب مثل الورد البلاستيك ومثل تفاح الصالحية ومثل خيار الصوبة تقول لي الفتاة ذات الواحد وعشـرين عامـا الحـب فعل مش كلام واقول لها غلط يا عزيزتي الحب كلام وكلام وكلام ثـم فعل لكن الكلام مهم جدا ..

قال لي المهندس خالد صديقي إنه لم يسمع أثناء فترة خطوبتـه منـها أي كلمة حب أو غزل وحكى لي يوم اتصل بـها ليتواعـدا علـى لقـاء فكان الحوار التالي بدأت هي الحوار قائلة.. حنروح فين النهاردة يـا روح أمك فقال لها خالد الرومانسي أي حتة يا حبيبتي.. فأجابت في زهـق يـا قبضة القلب ما تخلصني حا نقعد فين.. أهو حتة نطـق حنـك فيـها (أي نقول كلمتين مـع بعـض يعـني) فأجـاب في وداعـة ح أعـدي عليكـي ونفكر في السكة.. فقالت.. قشطة عليك. ويحكى لي المعذب خـالد أنـه كان له صديقة.. مهندسة كمبيوتر وكانا يتبـادلان الرسـائل عـبر جـهاز الكمبيوتر.. علاقة جميلة وعصرية وغريبة في نفـس الوقـت وذات يـوم أرسل لها رسالة عبر الكمبيوتر فأجاب الكمبيوتر على الشاشة (نعتذر عن الرد إذ أن الصديقة الفلانية ماتت منذ أسـبوعين) موقـف غريـب

ورائع ومثير للشجون ولم يتبق من صداقته لهذه البنت سوى بعض الصور وبعض رسائل الكمبيوتر احتفظ بها للذكرى وضاقت زوجته بهذه الصور وطلبت منه التخلص منها.. وفي ليلة ليلاء وبلا أي مقدمات قامت في نص الليل كالمسروعة وقالت له.. وديت الصور بتاعة فلانة دي فين؟ حدث هذا بعد منتصف الليل والناس نايمة.. وأغلقت صاحبتنا باب الحجرة بالمفتاح ونكشت شعرها واحمرت عيناها وقالت له في نعومة ورقة.. ليلة أهلك مش فايتة.. أكيد أنت لسه بتقابلها..

والمرأة تغير حتى من الأموات.. ظبطتني إحداهن أقرأ الفاتحة في سري ذات يوم فقالت لي في تهديد ووعيد الفاتحة دي بتقراها على روح مين؟ قلت لها على روح الحاج أبويا الله يرحمه فقالت.. إمال بتقراها في سرك ليه!!

اختفت يا أعزائي المرأة الرقيقة الوديعة الحالمة بتاعة زمان التي كانت تفتح بقها وهي تأكل وتدخل فيه فتفوتة قد كده وتقولك صغير.. بقى صغير أعمل إيه.

وحلت محلها امرأة أخرى تدفس نصف فرخة في بقها وتسمع صوت تحطيم العظام تحت أسنانها ثم تحبس بحجرين شيشة معتبرين.. وبعد كل هذا تقول لي نكتب شعر في المرأة .

نقول إيه طيب !!

ولا أنسى يوم انهالت عليا باللوم وتخنت صوتها مثل محرم فؤاد وهات يا زعيق في وجهي.. قلت لها.. مهما حدث لا يصح أن تتكلمي معي بهذه الطريقة ، فأجابت ده الطقم الأولاني بس أنا كمان مش عاوزة أشد عليك عشان أنت زبون باكلمك بالأمانة يعني.. (لاحظوا اللغة التي تتحدث بها) قلت لها ماشي يا أسطى .

حتى صورة المرأة تغيرت.. لم يعد الشعر الحريـر ع الخدود يهفهف ويرجع يطير.. نكشت المرأة شعرها مثل أمنا الغولة ووضعت أحمر شفاه غامق كأنها واكله عيل.. وتعتقد المرأة أنها بهذه الشخصية الهجومية العملية ستقهر الرجل وتنتصر عليه.. وأقول لها - إذا سمحت لي - أن معظم الجولات التي كسبتها المرأة عبر العصور كسبتها بضعفها.. برقتها.. باحمرار خديها..

قال لي صديقي الحالم.. أيوه يا جو.. احمرار خديها.. أهوه ده اللي شدني ليها.. من أول لقاء.. بمجرد أن تصافحنا وشها ده تقول طماطماية.. قلت له جميل ولماذا لم ترتبط بها.. فقال في أسى.. طلعت حصبة بس جاية على كبر ..

جنون السمك

قالت لي إحداهن فجأة.. اسمع أنا مجنونة.. ولما الزربونة بتطلع بأقفل قفلة سودة.. وقالت لي واحدة أخرى كل أصحابي بيقولوا عليا طاقة وشعنونة.. مش عارفة ليه معاك أنت بابقى عاقلة كده.. وعليه فأنا ألاحظ انتشار إشاعة الجنون والطقفان في الفترة الأخيرة.. بل وتباهى البعض بها.. تقول لي الفتاة الرقيقة جي جي على صديقتها مودي لأ.. هي مودي بصراحة بنت روشة بس عندها ربع ضارب شوية.. أو تعبر عن ذلك بقولها.. الفيوزات عندها لاسعة.. أو أن مخها واخد شوية بارومة.. وأصبح الجنون من الأشياء التي يعتبرها الرجل من أهم المبررات التي تعطيه حق خيانتها وحتى لا يصبح عنده حجة في الآخر.. عاوز إيه بأه؟! روشنة وطقفان.. أيه رأيكو يا جماعة نطلع نفطر في اسكندرية على البحر ونرجع في نفس اليوم .. طبعا هذا كلام جي جي موجه للشلة كلها الله.. هايل.. حلو ده.. وتنطلق الشلة كلها لتكسر رتابة الحياة.

على البحر في اسكندرية ضحك.. ساندوتشات.. تيجو نلعب أفلام.. فجأة تنقلب سحنة جي جي بلا أي سبب هكذا مثل انقلاب الطقس المفاجئ في فصل الخريف.. فيه ايه يا جي جي .. وترد جي جي قاطعة.. مفيش.. ياللا نروح.. أنا مش في المود.. من فضلكوا ياللا.. وتبرر صافي ذلك بأن جي جي كده ساعات تقفل .

وجي جي ليست حالة خاصة.. إنها الدنيا بأسرها.. فأنت لكي تعيش يجب أن تقلب الصفحة مهما كنت سعيدا بما تقرأه أو بما تعيشه.. يجب أن تقلبها.. والتاريخ مليء بهذه القلبات.. فلم ينعم أحد بالحياة كما نعم البرامكة أيام الرشيد.. تقدر تقول إنها كانت أيامهم.. وفجأة قلب عليهم الرشيد قلبته الشهيرة.. وعبثت الأيام بقائدهم جعفر البرمكي ووقعت الواقعة ولا يدري أحد إلى أين ذهب .. ربما شاهده أحدهم يبيع حمص الشام في أسواق بغداد!! وإخناتون ذلك الفرعون الذي ليس لديه حجة.. استلمها من أبيه (امنحتب الثالث) إمبراطورية لا أول لها ولا آخر ولكنه فجأة هرش في رأسه (من تحت التاج يعني) وقال الفرعون الطاقق.. كل دول آلهة.. أنا اتخنقت.. وبدأ يفكر في الإله (آتون) وينادي بالوحدانية.. هكذا طقت في دماغه هو الآخر وانقلب على كهنة آمون كبير الآلهة وأراد أن يغير ناموسا عمره آلاف السنين.. وكانت هي القلبة ودفع ثمنها غاليا.. الثورات نفسها يا أعزائي هي رغبة مجنونة في التغيير وليس مهما على الإطلاق أن يكون

التغيير للأفضل المهم أن يكون تغييرا.. كانت ستصبح كارثة لـو غنـى عمرو دياب ومحمد فؤاد وحكيم مثل عبد الحليم.. كارثـة بالنسـبة لهـم وبالنسبة لنا أيضا وعبد الحليم لـو غنـى مثـل عبـد الوهـاب أو فريـد كانت بقت مصيبة أيضا.. ربما تأخذنـا مقارنـات وتقييمـات واختـلاف الآراء ولكن هذا كله ليس له قيمة.. الصفحة لابد وأن تنقلب.

بالحنان والحب تتجـلد حياتنـا.. هـذا كـلام مظبـوط ولكـن ليـس بالحنان والحب فقط.. بالأكل والشرب أيضا .

يقترب مني الجرسون الأنيق وقبل أن أقول الكلمة التي يسمعها مني منذ عشرة أعوام في نفس المكان ونفس التوقيت.. شاي بالنعناع.. قبـل أن أهم بها لكي أقولها.. قال لي.. ما تغير بـأه يـا أسـتاذ كـل يـوم شـاي بالنعناع.. قلت له.. والله معك حق.. وفكرت قليلا وقلـت لـه.. بـلاش تحط نعناع النهاردة هات لي الشاي كده.. نجرب.. قال الجرسون في غيظ.. عندنا مشروبات جديدة.. عاوز أدوقك قلت له زي ايــه.. قـال.. جربـت النسكافيه بالبيبسي كولا.. يهبل.. محصلش.. فتحت فمي في بلاهـة أمـا هو فبدأ يكمل دستور ثورته الجديدة في عالم المشاريب.. قـال في ألاطـة.. تعرف حاجة عن الزبادي بالسيفن بالكركديه.. ولا زبادي مضـروب في الخلاط مع عسل نحل ونقطتين نعناع.. اجيبلك عصير لب .. قلت لـه وأنا التقط أنفاسـي.. حيلـك بـس شـوية.. أنـا أمثـل تيـارا رجعيـا في الشرب.. فأنا أنتمي إلى جيل الحلبة واليانسـون.. ولكـي أنضـم إليكـم

أحتاج إلى إعادة ترتيب حساباتي.. اديني الشاي بالنعناع.. ودخلت الشلة الروشة.. وقالت أحلاهن وجها وأجملهن ابتسامة.. يا جماعة أنا ح أكل فاشنكاح.. أنتوا تأكلوا ايه ؟!

أنا يا عزيزتي لن آكل شيئا فمن يعطيني ورقة موقعة من البقرة التي سأكل لحمها أو جبنها أو زبدها تقر فيها بأنها ذبحت وهي في كامل قواها العقلية.. ومن أدراني أن الفراخ والخراف أحسن منها حالا.. لقد تسرب لي خبر بأن الدجاج بالذات أصيب بنوع من العبط.. لا يصل إلى درجة الجنون لكنه عبط برضه.. وراقبوا الديكة صباحا لم يعد يستيقظ أحد منهم مبكرا.. وإذا استيقظ.. لا تسمع صياحه المجلجل كوكوكوك.. رأيت أحدهم فوق السطوح المجاور.. قام وتمطع وهز عرفه وفي الآخر قال بيأس وبلا حماس.. كوك.. واحدة فقط.. بعدها عملت لنفسي ماتش اعتزال كأكل لحوم البقر والخراف والفراخ وغيرها.. وسأبدأ مرحلة جديدة في حياتي.. مرحلة سمكية بقه.. برغم أنني قد نما إلى علمي أن السمك يمر الآن بظروف نفسية صعبة هو الآخر .

ده قصر تيل!!

لفت نظري إليها شعرها الفاحم الطويل المربوط من الخلــف ديـل حصان.. تعجبت أيضا مــن قوامـها الفـارع القـوي كـالفرس العربـي الأصيل.. كانت ترتدي بنطلون جينز.. وفانلـة وصديـري.. ظلـت أكـثر من ربع ساعة معطية لنا ظـهرها.. مشـغولة بـالكلام مـع صديقـة لهـا.. تمنيـت أن تلتفـت.. تمنيـت أن أرى وجهـها.. فضـول الرجـل.. فـالمرأة كالعملة.. لا يمكن أن تكتفي بأن تـرى الملـك.. لابـد وأن تلقـي نظـرة على الكتابة برضه.. فالنسر موجـود علـى وجـه كـل العمـلات لكـن الوجه الآخر الكتابة يعني هو الذي يحدد لك الرقـم.. السـعر يعـني.. ده خمسة جنيه دهب.. ده جنيه بس.. وده شلن فضــة ، ولمـا يئسـت مـن أن تلتفت قررت أن ألتفت أنـا.. أغـير مكـاني أمشـي قليـلا لأراهـا مـن الناحية الأخرى وما أن التفت لأرى الوجه.. جحظت عينــاي.. ونشـف ريقي.. وارتعشت مفاصلي.. إنها رجل.. شاب روش عامل شـعره علـى حد قوله هو (بوني تيل) وهذا الكلام طبعا علــى مسـئوليته.. قـدم لي الفتاة التي معه قائلا.. فلانة صاحبتي.. وقدم لي نفسه قائلا نــادر.. قلـت

لنفسي أتمنى أن تكون كذلك فعلا.. لأنك لو لم تكن نادرا وكان مثلك كثيرون لصارت مصيبة.. وبدأ التعارف.. بالنسبة لي أنا لخصت له حياتي كلها في كلمتين.. أما نادر.. فظل أكثر من نصف ساعة يشرح لي دراسته الجامعية فقط فهو لا يجيب مثلنا حينما كنا في الجامعة.. في سنة كام يابني.. في سنة ثالثة.. وخلاص.. لا .. أنا عندي ثري كورسز (ثلاث كورسات) ح يخلصوا على جون (يونيه يعني) وبعد كده ح أعمل دروب سمر يعني ح يعدي الصيف عشان أسافر أتلانتا.. أحضر الأوليمبيك بعد كده ح أخلص السيمستر.. ثم انحنى نادر ليفك رباط الجزمة الدبابة التي يلبسها.. فهو يفضلها مفكوكة دائما.. ولكن يبدو أنها مع المشي اتربطت وإلا حاجة.. ثم أضاف وبعد كده ح أسافر لندن أعمل هناك بي اتش دي.. نظرت له مليا ثم سألته وبتنام ازاي.. أجاب في ثقة وتباه عندك حق تسأل السؤال ده.. الصبح بألعب بودي بيلدينج.. (كمال أجسام) وبعدين باروح النادي شوية وبالليل في الديسكو تيك.. اليوم كله مشحون.. أعدت عليه السؤال.. أيوه بس أنت يعني بتنام إزاي.. قال.. مش فاهم.. قلت له.. لا بتنام ازاي بدي؟! وأشرت إلى ديل الحصان.. يعني بتلف شعرك وإلا بتجيبه وراء ظهرك ولا بتحطه جنبك؟ قال لي أصل أنا شعري (ليس) ناعم يعني بافكه وأنام عادي جدا.. الشيء الذي لاحظته أن نادر ليس شاب فافي دلوعة وإنما يبدو لك كمصارع.. به خشونة متعمدة يحاول أن يظهرها لك..

حتى نظرة عينيه.. يحاول فيها أن يقتحمك برجولة مصنوعة.. مبالغ فيها بل إن به صرامة وسلوكا شبه عسكري.. وعلمت لماذا.. إن نادر يريد أن يقول لك بطريقة غير مباشرة طبعا.. لا تتصور أن ديل الحصان هذا معناه إن أنا كله ولا كله.. لا ده أنا أعورك أنا شديد قوي.. ديل الحصان ده موضوع ورجولتي موضوع تاني خالص.. البوني تيل ده روشنة.. موضة عصرية.. إنما أخوك يسد يعني.. وأنا أصدقك يا نادر.. ولكن كان ليه من أساسه؟! بعد فترة وجيزة أتى شاب آخر.. صديق لنادر .. سلم في أدب ووقف ينصت لحواري مع نادر.. لفت نظري شعره القصير المهذب المسرح بعناية وملامحه الطفولية الرقيقة.. قلت له لم تعرفنا يا نادر قال لي دي هايدي زميلتي معايا في الكلاس.. استأذنت في خجل.. وانصرفت كمن أخذ خبطة على رأسه..

قلت لنفسي.. في العصور الوسطى كان النبلاء وأولاد الناس هم الذين يسمح لهم بإطالة شعورهم حتى أكتافهم وكان العبيد والعالم الركش يجبرون على قص شعورهم.. ونظرت في المرآة.. وعرفت إلى أي فئة أنتمي.. مش منظر ابن ناس خالص!!

ولكن الغريب أنني رأيت رجالا بديل حصان في الأحياء الشعبية والعشوائيات أيضا.. كيف يحدث هذا أين الواد العترة ابن الحارة المصرية.. كيف يقبل أن يكوى شعره الخشن ويرميه وراء ظهره.. إنها مهزلة . قالت لي بوسي الفتاة الروشة.. سوري أنت بتحقد على الولاد

اللي بيعملوا بوني تيل علشان شعرك مش ناعم وما تقدرش تعملـه.. كانت بوسي تقصد يعني أن كتابتي لهذا المقال مهاجما البوني تيل ما هـو إلا قصر تيل.. وتذكرت حينما دخلت الجيش وأخذونا جميعا إلى الحلاق لكي نحلق ميري.. وانتابتنا هيستيريا من الضحك ونحن ننظـر لبعضنـا بعضا.. وكل واحد فينا كان يريد أن يلاغي الحلاق حتى يـترك لـه ولـو ملليمترين من الشعر.. أي حاجـة غامقـة وخـلاص ولكـن أن تصبـح الرأس والوجه حتة واحدة كده!! مش منظر.. وأخذنا الحلاق جميعا علـى قدر عقولنا.. وراح جايبها ع الطوب الأحمـر.. وحينمـا نظـرت في المـرآة وقتها لا أعلم لماذا تذكرت إخواني في الصومال.. وعدت أسأل نفسـي.. ماذا سيفعل نادر بالبوني تيـل حينمـا يذهـب إلى الخدمـة العسـكرية؟ أعتقد أن الحلاق الميري بتاعنا سيعيش لحظة تاريخية من أسـعد لحظـات حياته وهو يجز البوني تيل بإيده ويخليها لـه علـى الزيـرو.. أنـا عارفـه كويس.. ده كان غلاوي وعنده عقدة من الشعر.. وقبل أن أفرح في نـادر وأنا أتخيله بين يدي الحلاق السادي قلت لنفسي.. لن يحـدث هـذا لأن نادر مالوش جيش.. شكله كده الوحيد على إخوانه الصبيان وحتـى إذا حدث هذا.. فهل فيه قانون في الجيش يمنع لبـس فـردة الحلـق.. أشـك.. على فكـرة أنـا مـع الحريـة الشـخصية ولسـت راجـل بلـدي رجعـي متخلف.. إف يا ساتر لا والله.. أنا أحب الموضة والتقـاليع والطققـان.. ولكن برضه في حدود.. يعني في إيطاليا مثلا طلعت موضة في فترة مـن

الفترات أن يقطعوا الجيب الخلفي للبنطلون الجينز.. ومـا تحتـه أيضـا.. فتجد المرأة الإيطالية ماشية في الشارع.. بجيب آه وجيـب لا.. أنـا طبعـا مش معترض ع الجيب آه.. أنا معترض ع الجيب لا..

وهناك مثل ألماني يقـول طـول الشـعر يقلـل الإدراك.. وطبعـا هـذا الكلام فاضي.. فالنساء طويلات الشعور ومع ذلك فإن كيدهن عظيم.. وتقول الأسطورة أن شمشون الجبار قوته كانت في شعره فلما قصت لـه حبيبته دليلة نمرة ٣ وروقت له القفا.. ضاعت قوته وانهار جبروته..

ولو كانت إطالـة الشـعر تزيـد القـوة أو الذكـاء.. أو أي حاجـة في الدنيا.. لغيرت صورتي الكئيبة التي على الغلاف هذه و انزلـت منـها شعرا منسدلا حتى آخر الصفحة.. ولما كان الشعر ينمو (علميا) بمعدل ٢ ملليمتر في الشهر يعني أنا أحتاج عشر سنوات ليصبح شـعري مثـل شعر نادر.. ويقال أيضا إن الشـعر ينمـو ببـطء ليـلا وبسـرعة نـهارا.. وتبلغ ذروة سرعة نموه بين العاشرة والحادية عشر قبل الظهر وتلك هي الفترة التي أكتب فيها.. عرفتم بقـى لمـاذا لم أسـتطع أن أربـي لنفسـي بوني تيل؟!

إثارة.. إثارة.. فراقك يا جارة

أتوقف كل يوم في طريق عودتي للبيت عند كشك جرائد ومجلات.. لأشتري وجبة السحور اليومية.. وسحوري اليومي ليس سحورا خفيفا وإنما كل الجرائد والمجلات.. فأنا لست من أنصار الزبادي في القراءة وإنما أفضل أن أتسحر سحورا ثقيلا حتى يكبس على نفسي وأنام.. فوجدت أنني أنفق كل ما أكسبه من الكتابة في القراءة وأنفق كل الجهد الذي أبذله في القراءة في الكتابة.. فأجد نفسي في النهاية كالسمسار الذي لا يأخذ عمولة.. ولا أجد في يدي في النهاية قليلا من الحمص.. ليثبت أنني شاركت في المولد.. وفجأة وجدت صاحب الكشك وقد أعد لي الوليمة اليومية يقول في جدعنة.. والله ما آخد منك مليم يا أستاذنا.. تعجبت من موقفه وكنت قد كتبت مقالا أخيرا في إحدى المجلات يقول ما معناه اعمل الخير وارميه البحر.. فهل بدأ المقال يجني ثماره أم إنني صرت بحرا.. لم أكن أتصور أن لي هذا التأثير ولكنه لم يتركني طويلا في أوهامي.. وقال.. نريد أن نعمل لك كتابا.. قلت له جاهلا بإمكانياته المادية.. أنت تقدر تنتج كتابا؟؟ فابتسم وهو

يأخذ خمسين قرشا من أحد الزبائن ويعطيه الأهرام.. لقد أنتجنا عشرات الكتب يا أستاذ لا تستقل بنا.. أتحب أن أعطيك فكرة.. أحضر لي كرسيا وجلست في الشارع.. كالباشا.. وأحضر لي الكتب وأخذت أتأمل الموضوعات.. (لا لن أخلع ثوبي).. يا ساتر يارب.. (خذني بعاري).. اللهم اجعله خير.. (المجهول والمعلوم في غرف النوم).. (نساء الخليج).. (الجنس والسياسة).. (السحر والجنس).. (تاريخ العاهرات).. قلت له ما هذا.. فأجاب في تباه.. إنها تشتغل نار.. قلت له وما أخبار كتب العقاد.. فأجاب في استغراب ومن العقاد؟! قلت له عباس العقاد. قال هذا شارع فى مدينة نصر قلت ولكنه قبل أن يصبح شارعا كان شاعرا.. قال إن المتر في شارع عباس العقاد وصل خمسة آلاف جنيه ، قلت له أن السنتي في كتاباته يساوي أكثر من ذلك.. فأجاب ليغلق الموضوع.. ولكنه غير مطلوب.. فسألته وما هو المطلوب.. قال نريدك أن تجد لنا عنوانا فأنا أعشق عناوينك.. نريد عنوانا مثيرا.. أعطيته ثمن الجرائد والمجلات حتى لا يعتبرها عربونا للكتاب الذي سينتجه لي.. في البيت أخذت أنأنأ في السحور اليومي.. والنأنأة هي التصفح.. أن تقرأ الموضوعات على عجالة بطريقة الفيديو كليب.. عنوان من هنا.. وفقرة من هنا.. وبداية موضوع ونهاية مقال.. وقلت لنفسي.. الظاهر الراجل بتاع الجرايد عنده حق.. نحن نعيش في عصر الإثارة.. ليس مهما ما بالداخل.. المهم الذي بالخارج.. زواج الأميرة ديانا من حمدي باتشان..

هكذا ينفد العدد.. أما بالداخل بقى أكتب أي شيء.. حتى لو كتبت أنا واد خلاصة لاصة ومية مية.. جهزت الموضوع وقلت للمنتج مداعبا إياه بخبث.. اقرأ هذا العنوان (زواج ديانا وحمدي باتشان) فقال لي.. هذا موضوع قديم لن يجذب القارئ.. قلت له مشدوها وأنا اخبط على صدري.. يا نهار اسود.. هو حصل؟ فابتسم قائلا لا.. محصلش ولكن العنوان نفسه اتعمل قبل كده.

وناشر آخر عرض أن يجمع مقالاتي (طقت في دماغي) في كتاب.. وبعد الجمع والبروفات الأولى فوجئت به وقد أعد لي مفاجأة سارة.. لقد غير عنوان الكتاب.. رسمني على الغلاف وعيناني مبرقتان وحولي مجموعة من الغيد الحسان في أوضاع يعاقب عليها القانون وأطلق عليه اسما جديدا من عنده.. حكايتي مع نساء العرب!!! أخذت منه الكتاب وقلت له.. أنا عندي أهل يقطعوني.. ارحمني يابا.. الدنيا كلها أصبحت تعيش على الإثارة.. وأنا لست ضدها.. فلولا الإثارة لما عشنا في التبات و النبات وخلفنا صبيان وبنات وبعدين احنا ما صدقنا خلصنا من ريدج بتاع الجريء والجميلات.. وبدأت الستات تقتنع بأن الرجل المصري هوه اللي باقي لها برضه.. فإذا بهم يطلعون لنا بواحد تاني.. عمنا هرقل.. وطول المسلسل تجري وراءه الفتيات وهو يجري منهن وأنا بادعي عليه تيجي مصيبة تاخده.. احنا ناقصينه هوه راخر وتغفر المرأة لنفسها أن تعجب بهرقل وبريدج.. وإذا هفتك نفسك وقلت كلمة

حلوة في مادونا أو شارون ستون تقول لك: أنا مـش فاهمـة إيـه اللـي عاجبك فيها.. مافيهاش حاجة وأصمـت وأكبـت في نفسـي ولا أجيـب عن السؤال.. لأني لو قلت لهـا اللـي عـاجبني في مادونـا.. قـد نكمـل حديثنا في مستشفى الهلال الأحمر.. فأجاملها قائلا ولكنك أكثر إثارة من مادونا بالنسبة لي.. والغريب أن العبيطة تصدقني.. أو لنقل إنـها تحب أن تصدقني.. والإثارة ليست حركات قرعة تتصـور النسـاء أن الرجـل يتهبل حينما يراها.. الإثارة.. في عدم التعمد.

وملكة الإثارة مارلين مونرو كـانت الإثـارة عندهـا تكمـن في أنـها تبدو ولا كأنها عاملة حاجـة.. مـع أنـها عاملـة عمـايل سـودة.. كـانت ترفض أنوثتها.. كان الرجال يتهافتون عليها وهي لا تعلم لمـاذا.. دخـل عليها الكاتب الكبير آرثر ميللر قبل أن يصبح كبيرا ولا حاجة.. كانت مونرو لسه قايمة من النوم وعارية تماما كما ولدتها أمها.. فتحت البـاب لتستلـم السيناريو.. من ميللر.. بص لهـا.. بلـع ريقـه.. اداهـا السـيناريو وأخذ بعضه ومشي ولا كأنه شـاف حاجـة.. وضعـت السـيناريو علـى الكمودينو بجوار السرير ونظـرت في المـرآة وقـالت يـا فضيحـتي.. أنـا فتحت الباب وأنا كله.

ولكن هذا الرجل لم يبد عليه أي تأثر.. كأنه شاف واحـد صاحبـه.. وهرولت إلى الاستوديو وسألت عمن أحضر لها السيناريو.. فقالوا لها..

إنه ميللر.. قالت له بسرعة.. تتجوزني.. وتزوجته.. لأنه الوحيد الذي لم يشعر أمامها بالإثارة.. فهو الذي أثارها.. حظه بقى..

ومن يومها.. قررت حينما أكتب فيلما لأي بطلة.. أن أوصل لها السيناريو بنفسي وأنا ورزقي!!

وكليوباترا حينما ذهبت إلى قيصر ليحكم بينها وبين أخيها الذي ينازعها العرش.. ذهبت إليه ملفوفة في سجادة عجمي بمجرد أن فكها القيصر ليفردها على الأرض.. طلعت منها الرائعة كليوباترا.. شوفوا العقد!! شوفوا الشراشيب؟! وهام بها حبا بالطبع.. هكذا تكون الإثارة..

نفسي ارتبط بإنسانة تفاجئني مثل هذه المفاجآت السارة فتطلع لي مرة من الثلاجة.. ومرة أفتح الدولاب ألاقيها قاعدة وسط الهدوم.. ولا أنسى حكاية صديقي الذي عودته زوجته على المفاجآت.. وذات مرة فتح باب الشقة فوجدها أمامه.. المشكلة أن الشقة كانت شقة واحد صاحبه !!

جنون اللبان في آخر الزمان !

العملية داخل فمك كالدنيا.. لا رحمة.. مفيش هزار.. تدخل اللقمة الفم على استحياء.. وقبل أن ترستأ نفسها داخل الفم.. تنهال عليها الأسنان تقطع والأنياب تمزق والضروس تطحن ثم تختفي داخل البلعوم كأن شيئا لم يكن. شيء واحد فقط يمكن استثناؤه من هذه القاعدة.. اللبان.

والجهد الذي يبذله الفك في مضغ اللبان أكثر من الجهد الذي يبذله في مضغ خروف مشوي يختفي تماما من على المائدة بينما تظل اللبانة العنيلة تروح وتجيء في الفك إلى أن تزهق وتقول لها.. كفاية.. وتلفظها على قارعة الطريق.. واللبان حريمي أكثر منه رجالي.. فمنظر رجل بشارب كثيف مثلي وهو يمضغ لبانة يشعرك أن هناك عطلا فنيا وأن الصورة تحتاج إلى ضبط أو أن تكون بعد الشر يعني اتشفرت.. أما منظر الفتاة الجميلة وهي تلوك قطعة اللبان بفمها فلا شك أنه يرفع أسهمها في عالم الأنوثة والإثارة ولا يكلفها هذا أكثر من باكو.. باكو لبان يعني.. ولذا حرص المخرجون على أن تظهر المرأة المثيرة في الأفلام

بلبانة.. وبالذات عوالم شارع محمد علي بداية من نبوية أوعـى رجلـك ومرورا بسنية مش ممكن.. وعزيزة ما عطلكش.. إلى هوعه يا نـوعة.. كـل هذه الأسماء ارتبطت في شاشة الذهن.. بامرأة تمضغ لبانة..

واللبان مرتبـط بالفضيحـة.. فـإذا أردت أن تقـول إنـك اتجرسـت وصارت فضيحتك بجلاجل تعبر عن ذلك بقولك إنــك صـرت لبانـة على كل لسان.. وانبرت الأمثال الشعبية لتوظف اللبان أيضا فتقول لي المرأة البلدي وهي تقتحمني بعينيها.. على وشك يبان يا نـداغ اللبـان.. فأرتبك ويسقط في يدي وكأنني عامل عملة.. وأنا معملتش حاجـة والله العظيم.. ولم أندغ هـذا اللبـان طيلـة حيـاتي سـوى مـرة أو مرتـين في طفولتي لأن مضغ اللبان أداء.. وحضور.. وأنا بالذات لا أتصور نفسـي أحرك فمي هكذا بلا سبب.. ربمـا تـرى المـدرب الأجنـبي في المباريـات الجامدة.. يجلس في توتر.. على الخط ونـازل مضـغ لبـان.. يقولـون إنـه يفعل ذلك ليقضي على توتره وعصبيته.. جـايز!! بالنسـبة لي أنـا بقـى اللبان بيعصبني ما يهدينيش.. وزعماء العصابات والأشـرار في الأفـلام يمضغون اللبان أيضا ولكن بتقل وحرفنة.. ولكن المرأة بأه.. لها مدارس واتجاهات في مضغ اللبان.. لا أسـتطيع أن أصفـها بـالتفصيل حتـى لا أساهم في زيادة المبيعات لمصانع اللبان في البلد.. ولكن يحلو لبعضـهن أحيانـا.. أن تنفـخ اللبانـةوهي داخـل فمـها فتحولهـا إلى (فرقيعـة) أو (برقيقة) لا أعرف أي التعبيرين أصح لغويـا.. ولكـن في اعتقـادي أن كليهما خطأ.. فإذا حدثت الفرقيعة مـع ضحكـة جميلـة وابتسـامة مـن

إياهن يخسر الرجل منا الجولة فورا.. ويمكن أن يوقع بإمضائه على أي ورقة على بياض.. والظاهرة الغريبة.. أن اللبان شخص واحد فقط من الشلة هو الذي يشتريه وبمجرد ما أن يخرج واحدة ويلقي بها في فمه.. تتدافع إليه الطلبات.. معاك واحدة؟! إيه ده مين معاه لبان؟! ما تشوف واحدة معاك؟! طيب اقسم دي.. وكأن اللبان كالفضيحة ينتشر بنفس الطريقة.. وتلك هي آفة الموضوع.. ودعني أقولك.. سمعنا مؤخرا أن هناك نوعا من اللبان مستورد من دولة معادية.. ورخيص جدا.. يزيد هذا اللبان من الثورة الجنسية والشهوة الحيوانية لمن يمضغه لدرجة أن خمس عشرة حالة اغتصاب أحبطت في محافظات كالمنصورة وطنطا.. العجيب أن حالات الاغتصاب هذه من نساء لرجال.. وليست حالات اغتصاب عادية من رجال لنساء كالمعادي وغيرها.. من غير لبان يعني.. لا .. هل تصورت يا عزيزي القارئ حجم الكارثة.. نانو طالبة ظريفة في كلية الآداب مثلا.. عدت عليها صاحبتها (ماهي) وقالتلها.. نانو تلخدي لبان.. تقول لها نانو في براءة وتلقائية.. آه هاتي.. نانو تمضغ اللبانة وعاديك الحرس الجامعي كله مش قادر يكبح جماح نانو.. إنها مصيبة يا عزيزي .. كارثة.. وأنا لحد دلوقت بأهزر ولكن إذا قلبت بجد فسنرى أنا وأنت يا عزيزي أياما أسود من قرن الخروب ، ولذا أقترح أن تواجه الدولة هذه الهوجة اللبانية الأثيمة بكل قسوة.. بكل عنف حتى لو اضطرت إلى إغراق السوق كله بلبان دكر ليواجه تلك اللبانة اللعينة ولكن حتى لو تخلصنا من اللبان بالاستعانة بالمقاومة الشعبية

ونظمنا ميليشيات لمكافحة اللبان وخصصنا قسـما في الداخلية يـأخذ وضعه بجوار قسم مكافحة المخـدرات وسـرقة السيارات اسمه قسـم تعاطي اللبان.. حتى لو فعلنا ذلك.. هل سـيهدأ أعداؤنـا ويتركوننـا في حالنا.. اخترعوا قطرة جديـدة.. تضـع خمـس نقـاط في كبايـة الشـاي أو العصير أو الماء وانساهم.. وبعدهـا سـتصرخ الفتـاة قائلـة.. ده شـربني حاجة أصفرا.. ولكن الحاجة الأصفرا التي نتعاطاها في أيامنا غير الحاجة الأصفرا بتاعة ميمي شكيب أيام زمان.. كانت الحاجـة الأصفـرا تجعـل المرأة تغيب عن الوعي.. ثم تفيق لتجد الفاس وقعت في الراس.. أمـا الحاجة الأصفرا النهاردة فتجعل المرأة في شدة الوعي والحماس والـذي سيلطم هذه المرة هو الشاب المسكين الذي سيصرخ قائلا.. استري عليا ربنا ما يغلبلك راجل وتلك هـي المأسـاة.. ضـاعت يـا أعزائـي الحجـة السينمائية الشهيرة التي كان يتعلل بها الآباء في الأفلام.. يدخل الطفل على أبيه وهو يقبل أمه ويقول له بتعملوا إيـه.. فيجيـب عمـاد حمـدي بوقاره المعروف.. بأحط لها قطرة يا ابني.. اليوم لن تفلـح هـذه الحجـة.. سيرد عليه الطفل قائلا.. بتحط لها قطرة برضه؟!

ده أنت طلعت لبط!!!

إغري إغري وصلني قوام وصلني

تطالعني مانشيتات وعناوين في الصحف والمجلات الأسبوعية، الفنية منها بالذات، فتصيبني بالهلع، وبالكسوف البلدي اللي هوه تحط راسك في الأرض، وتبلع ريقك، وتنظر بنصف عين إلى أعلى كالثعلب.. إنها تصريحات جيل الشابات من الممثلات الصاعدات تقول إحداهن أرحب بأدوار الإغراء، وتقول أخرى، الجنس هو سبب شهرتي، وثالثة تقول لا أعترض على مشاهد غرف النوم طالما هي موظفة في العمل الفني!! طيب ولو كانت مش موظفة يا جميل، ح يبقى إيه النظام ؟!

يبدو أن بعض فتيات هذا الجيل من الفنانات يعرفن طريقهن جيدا، والحكاية فهموها بدري قوي. من تريد أن تصل إلى النجومية والشهرة والفلوس عليها ألا تضيع وقتها، مع الاعتذار لأغنية عبد الوهاب (إغري.. إغري.. إغري.. وديني قوام وصلني) وأتعجب وأنا أتذكر صاحبة الوجه الملائكي التي قضت ليلة بطولها تقول لي ودموعها متحجرة في عينها: قول لي، أرشدني، ماذا أفعل مع الذئاب البشرية التي

تريد أن تلتهمني؟!، أنا وحيدة، وبريئة، وليس لي ظهر، وأشفقت عليها حقا، وقضيت ليلة سوداء أرثي لحالها، وأقول لنفسي: ياما في الفن مظاليم، ولم يمر أكثر من سنة، ووجدت فتاتي هذه التي بلا ظهر يحميها، في مكان ما، ومعها ثلاثة ظهور مش ظهر واحد!!!

والحقيقة أن الإغراء أصبح سهلا، لا أعلم كيف، ربما كنا زمان نتعجب ونندهش، ونضرب كفا بكف على مقدرة هند رستم على الإغراء، بل إن العقاد شخصيا طلب لقاءها وأقام معها حوارا، أما اليوم فأي بنت تجاوزت الستة عشر عاما، أستاذة، عندها إمكانيات تنافس بها مارلين مونرو، وبريجيت باردو، أترون مازلت أتكلم في الماضي.. مونرو إيه وباردو إيه، هذا الجيل شاهد مادونا، وشارون ستون وديمي مور، دول ما بيهزروش، وأعرف فنانات عمرهن الفني لا يتجاوز بضعة أشهر وصورهن على أغلفة المجلات، أكتاف عارية، وظهور وبصات مليئة بالسكس، وشفايف ممتلئة بالكلام الذي لا يحتمل معنيين، ويظل السؤال الذي يطرح نفسه: مين دي!!

والذي يضايقني في الموضوع تلك الجرأة والاقتحام الذي يصل إلى البجاحة، تزغر لك البنت من دول الزغرة، مفاصلك تسيب، والغريب أن بعض الصحفيين يلاحقون هؤلاء الفتيات بالأحاديث الصحفية، وتنزل موضوعاتهن في المجلات والجرائد على شكل التصريحات الرسمية، فأجد أمامي مُزة جميلة، تصرح بأنها لا تعترض على القبلة طالما أنها تخدم الحدث!! والحدث هنا هو الشاب المراهق الذي يدخل

السينما بعد أن زوغ من المدرسة، وتتباهى مُزة أخرى بأن السينما كلها صفرت حينما ظهرت في البيسين بالمايوه البكيني، هوه ده حب الناس!!!

وعلى فكرة أنا لست راجل كبة لا أريد إلا أفلاما تاريخية ودينية فقط ولا يعجبني إلا فيلم الناصر صلاح الدين ومسلسل الفرسان وإنما اعتراضي في الحقيقة على تلك الهوجة التي طمست ما يسمى بحياء المرأة، وصدقوني لا ينجذب الرجل مهما كان إلا للبنت التي يحمر وجهها خجلا وأنا لي عشر سنوات لم أر هذا الحَمار، بفتح الحاء، وليس بضمها، وكان بائعو البطيخ زمان يخبطون على البطيخة ويقولون حَمار وحلاوة، والحمار قبل الحلاوة، ولذا أنصح ممثلات الجيل الجديد أن يحمروا قليلا لأن الهوجة لا تقتصر عليهن بل تنتقل إلى بنات جيلهن، اللاتي يشاهدن صورهن في المجلات، ولا مانع من أن يهتممن ولو في أوقات الفراغ بالتمثيل، وأنا أعلم أن هذا عبء ثقيل أحمله عليهن، وتقول إحداهن وهي تحاول أن تقدم لنا نظريتها الفلسفية الجديدة التي هي فتح في عالم الإغراء أنا لي أسلوبي الخاص في السكس، واخدين بالكو، يعني أنا لا أقلد أحدا، يعني ممكن أن أضع قدما على قدم وبس وأنظر نظرة ذات مغزى الصالة تتكسر، ولا أعلم لماذا تهدر آراءها هذه في مجلات فنية ولا تجمعها في كتاب محترم ليكون نبراسا لجيل كامل، وعندي اسمه: (حكم وآراء في السكس والإغراء) .

وقلت للممثلة الناشئة التي لا أراها إلا في المجلات أو في سهرات فنية، لماذا لا تجربين التمثيل؟! قالت لي: الناس فاهماني غلط، هيه أي

واحدة بتلبس ميني جيب: أو لبس خارج شوية تبقى أخلاقها وحشة؟!
طيب أنا اللي يقول إن هو لمسني، أحط صباعي في عينه، ووجدت عددا من الجالسين يضعون أيديهم على أعينهم من الرعب!!

ثم أضافت خلاص بقى اللي فات ده كله كان في مرحلة الانتشار، اتفرج على الفيلم الجديد، دي مرحلة الاختيار بقى وذهبت لأرى دورها في مرحلة الاختيار فوجدته انتشارا جامد قوي، ووجدت نفسي أنا أيضا مقبلا على مرحلة جديدة في حياتي الفنية، مرحلة الانتحار..

والعجيب.. أنني تساءلت ذات مرة لماذا ليس لشباب الجيل الجديد من الرجال تصريحات جنسية من إياها دي؟! لماذا مثلا، لم يصرح نجم سينمائي في إحدى المجلات، في فيلمي القادم ح أعمل عمايل سودة.. أو.. أنا أجدع واحد يبوس البطلة في الأفلام، هل تعرفون لماذا، لأنه يوجد ما يسمى بحياء الرجل، آه والله.. ده احنا خيبة ويبدو أن الحمار بفتح الحاء الذي أتكلم عنه انتقل من الجنس اللطيف إلى الجنس الخشن، ليصبح الحمار مرتبطا بالرجال، والحمار هنا.. بفتح الحاء وبضمها أيضا .

بين التاريخ والطبيخ !

المرأة واقعية أكثر بكثير من الرجل.. هذه حقيقة.. والرجل رومانسي أكثر بكثير من المرأة.. هذا واقع، ولعبط الرجل الرومانسي هذا يتظاهر أمام المرأة بأنه واقعي وعملي لأنه يخجل من رومانسيته، ولخبث المرأة الواقعية هذه تتظاهر أمام الرجل بأنها رومانسية وعايشة في الخيال.. ولذلك يشكو كثير من النساء من أن الرجال بقوا كبه وما بيقولوش كلام حلو وأنه غرر بها أيام الخطوبة بمعسول القول حتى أوقعها ويضحك الرجل في انتصار زائف.. قائلا.. أهو كل يوم من ده .

تعالوا نبص بصة سريعة على أغاني الجنس اللطيف وأغاني الجنس الخشن يمكن نوصل لحاجة.. لا يخجل الرجل أن يغني بحلم وأنا صاحي.. وياريتني طير لأطير حواليك.. وبحلم بيك أنا بحلم بيك وكلها خيالات وأحلام. أما المرأة فهي للحق حددت موقفها فهي تؤمن بالفعل أكثر من الكلام.. فها هي صباح تقول.. كلام كلام.. كلام بس ما باخدش منك غير كلام ، وشادية تقول.. الكلام مش وقته خالص

العمل هو المفيد.. حتى نصل إلى أختنا العزيزة نوال الزغبي.. ما تحلي المرحلي وتسيبك م الكلام !!

وفي الأعمال الفنية التي قدمتها السينما زمان.. كانت المرأة غالبا ما تكون في صورة الزوجة غير القانعة بحالها والتي تدفع زوجها طول الوقت للكسب غير المشروع.. فيختلس أو يعمل جريمة كل هذا من تحت رأس هذه الزوجة التي يمكن أن نطلق عليها (الزنانة).

وأحيانا تضطر الزوجة للعمل كراقصة لمواجهة الأعباء العائلية مما رسب في الوجدان خيالا دائما يجول بخاطري كلما رأيت راقصة ترقص وهو أن ابنا مريضا لها يرقد الآن في حجرة مظلمة يئن ويتوجع والدكتور عاوز تلاتلاف جنيه.. وبعد أن تنهي الراقصة وصلتها ويتمسك بها المعازيم في الفرح يريدون منها مواصلة الرقص.. أرق لحالها وأطلب منهم أن يدعوها وشأنها وأقول لنفسي.. عشان تلحق الوله.. هذه الزوجة أستطيع أن أطلق عليها (المضحية) .

وهناك زوجة أخرى صبورة مستكينة.. راضية بقضاء الله في زوجها السكير الذي يأتي لها في نص الليل يضربها علقة ويطلب منها أن تشوح له حتة كبدة.. يأكلها في حيوانية وهي جالسة في الركن تبكي في صمت أو تدعك له رجليه بميه وملح.. فتشعر بتعاطف شديد معها.. وتدعي على الزوج أن تجيله مصيبة تاخده.. أنا شخصيا ويغفر لي الله..

دعيت على زكي رستم.. وعدلي كاسب.. وآخرين.. وهذه الزوجة أستطيع أن أطلق عليها.. (الضحية).

ورأينا الزوجة الواعية التي تدخل على زوجها بصينية الشاي في حجرة مكتبه بالبيت وتقول في صوت ناعم رقيق.. الشاي يا حبيبي.. كفاية.. عينك تعبت يا روحي.. اشغل لك مزيكا.. ثم تضع يدها خلف شعره تداعبه في ود.. يالا يابابي.. مش ح تنام.. وبابي لن ينام بالطبع لأنه غالبا بيكون بيحب واحدة تانية غير دي..

وأنماط أخرى كثيرة تناولت علاقة الزوج و الزوجة لكن والشهادة لله كانت أغلبها أنماط حقيقية موجودة في الحياة.. ولكنني في السنوات الأخيرة وجدت في الأعمال الفنية نمطا جديدا وعجيبا في العلاقات الزوجية.. نشوف مع بعض.

المشهد.. زوج وزوجة نائمان في السرير.. الأباجورة التي بجوار الزوج تضاء.. ينهض من على سريره مكتئبا.. مفكرا ويقول بعد أن يشعل سيجارة لزوجته.. فاكرة النكسة يا مايسة !!

تنهض مايسة من أحلاها نومة بقميص نوم شفاف وتومئ برأسها في خبث.. يأخذ نفس آخر من السيجارة ويستطرد.. كلنا حبينا عبد الناصر!! ترد مايسة وهي تشد الملاءة عليها لتستر نفسها. أنا كنت في منظمة الشباب.. ينفعل الزوج فجأة وبلا مقدمات: كان كلنا أمل.. كلنا

حماس.. إيه اللي حصل لنا؟! وينفجر في البكاء فتأخذه مايسة في حضنها وتربت عليه وتقول.. دي كلها إيديولوجيات آمنا بيها (حبيناها) حسينا أنها بتمثلنا.. بتعبر عننا.. ما تعيطش.. أرجوك ما تهزش صورتك قدامي ما تنساش أنك كنت رئيس اتحاد طلبة.. وفريق الجوالة.. يتمالك نفسه ثم يقول.. مايسة.. أنا محتاج لك يا مايسة ما أنتي كنتي أمينة الصندوق.. ترد عليه بحنان.. فاكر لما طلعنا المظاهرات مع بعض والبوليس كان بيفرق المظاهرة.. كنا على كوبري الجامعة قبلها بيوم كنا ماشيين في المكان نفسه بناكل درة مشوي وتاني يوم كنا مع بعض بنقول في صوت واحد حنحارب.. حنحارب وينفجران في البكاء.

بس خلاص.. كله خلاص المشهد.. وأتساءل فيما بيني وبين نفسي.. معقولة دي.. واحد ومراته قاعدين في أوضة لوحدهم يقولوا الكلام الكبير ده.. ثم أعود أقول لنفسي.. اسكت أنت يا جاهل.. وأغير المحطة.. مسلسل آخر على محطة أخرى.. زوج وزوجته برضه.. ولكنهما ليسا نائمين.. آه فايقين وصاحيين وح يقولوا.. يقترب الزوج من زوجته ويربت على كتفها في رقة.. تستدير بوجهها القمر.. وتبتسم.. يقول لها في حب.. فاكرة يا عفاف حرب الاستنزاف؟! ويجن جنوني.. لا.. لا أستطيع سأنفجر.. أغير المحطة.. زوجة أخرى تقول لزوجها.. جدك تحتمس الثالث قدر يعمل إمبراطورية ويرفع اسم مصر.. أنت معدتش أنت خلاص.. أنت بقيت شخص تاني.. وصولي انتهازي الفلوس

عمت عنيك.. وأغير المحطة بسرعة لأجد زوجة أخرى تقول لزوجها.. عارف محمد فريد عمل إيه.. ضحى بفلوسه وشبابه وحياته عشان مصر.

ماذا حدث.. الزوجات كلهن يؤنبن أزواجهن لأنهن كونوا ثروات بطريق غير شرعي يا إلهي.. هل صارت الزوجة حقا قنوعة.. عاوزة تعيش.. لا تريد فلوسا ولا سيارة ولا مدارس أجنبية للأولاد ولا خادمة فلبينية هذا شيء رائع.. صارت الزوجة مثل الجبرتي فيض غزير من التاريخ القديم والحديث والمبادئ والمثل.

وشعرت بسعادة.. وبفخر.. ونفسي اتفتحت لكل حاجة.. واضرابي القديم عن الزواج سأوقفه.. أريد أن أتزوج.. لأختلي بزوجتي بشرط أن تبدأ معي في ليلة الدخلة بتاريخ الحملة الفرنسية وأعدها وعدا صادقا.. أن أذكر لها في الصباحية بكل حب.. بكل صدق بكل رقة أسباب فشل الثورة العرابية .

جـوازمع النفاذ

بعد الزفة.. والعوالم.. والفـرح.. يدخـلان حجـرة النـوم.. العروسـة بفستان الزفـاف.. والعريـس ببذلـة الزفـاف.. تجلـس العـروس علـى السرير والعريس يظل واقفـا.. تمـر فـترة مـن الصمـت.. ينظـران إلى بعضهما بعضا.. وفجأة تقول له.. سنمثل أمـام النـاس أننـا في منتـهي. السعادة.. سنتظاهر بأننا نقضي شهر العسل في منتهي الحـب.. ولكـن بيننا وبين بعض.. ويقاطعها العريس قليـلا أنـتي مراتـي قـدام النـاس بس.. إنما هنا.. احنا أغراب عن بعض.. عن إذنـك.. ويـأخذ اللحـاف.. والمخدة والبطانية ويذهب لينام بره.. ع الكنبة.. واتسـاءل.. لماذا دائمـا العريس هو الذي ينام بره.. ولماذا يترك حجرة النـوم الجديـدة بشـوكها للعروسة.. برغم أنها غالبا ما تكون هي سبب هذه القطيعـة فـى ليلـة الزفاف.. لأنها غالبا ما تكون على علاقـة بواحـد تـاني قبـل الـزواج وكاشفت زوجـها بذلـك في ليلـة الزفـاف.. هكـذا تقـول لـه بمنتـهي الغتاتة.. مش أنا كنت بحب ابن عمتي أرجوك.. ابتعد عني.. لا أسـتطيع أن أعطي جسدي لغريب.. لأنني أشعر أنني ألقي به في البحـر وأحيانـا يتزوجها ليستر عليها لأن الذئب الذي عمل عملتـه سـافر إلى أوروبـا

ليحصل على الدكتوراه.. وده وقت دكتوراهات يا دكتور برضه!! مش لما تشوف الماجستير اللي أنــت سـايبه ومسـافر ده.. والحقيقـة إنـني أجـد المؤلفين والمخرجين يعطون قيمة للمظاهر لا أفهم لماذا ؟!

أريد أن أرى مشهدا جديدا في ليلة الزفاف.. يدخلان حجرة النـوم.. تجلس العروس على السرير والعريس بجوارها ويقول لها.. أنتي مراتـي بيني وبينك بس يعنى ليلتنا فل.. إنما قـدام النـاس احنـا أغـراب عـن بعض!! وغالبا ما نجد العروس التي تتزوج مع إيقاف التنفيذ للظـروف التي شرحناها سلفا والتي هي المفروض لا تريد شيئا من عريسها سوى أن ينفذ المظاهر.. ومع ذلك نراها ترتدي قمصان نوم رهيبة (مكشوفة) مقورة.. وتروح وتجيء أمامه وهما وحدهمـا في البيـت.. طيـب أغـراب عن بعض ازاي بس.. وغالبا ما تلتوي قدم العروس وهي طالعة علـى السلم وتصرخ أي .. رجلي.. ويجري عليـها العريـس بدافـع الشـهامة طبعا ليدلك لها رجلها المجزوعة.. وتلتقـي نظراتـهما ولكـن.. يتذكـران الشرط الرهيب.. فيبتعدان عن بعضـهما.. وحينمـا يخرجـان معـا أمـام الناس يعــني ليمثـلا المظـاهر تسـوق فيـها العروسـة.. تقبـل عريسـها وتحتضنه.. وتراقصه.. وتغار عليه من طوب الأرض وكل ده.. المفـروض أنه كله وكله يعني.. ومـا أن يدخـلا البيـت ترسـم العروسـة تكشـيرة مفتعلة وتقول له الحمــد لله.. بابـا وماما مـا حسـوش بحاجـة.. ويقـول العريس لنفسه لكن أنا حسيت بحاجة..

وغالبا ما تتأجج مشـاعر الذئـب الـذي عمـل عملتـه والـذي هـو السبب في المشكلة والسبب في الفيلم كله.. وتحلـو العروسـة في عينـه

بعد الزواج ويبدأ في تدمير حياتها مع أنها كانت قدامه ويصبح الفيلم كله انتظارا منا نحن المشاهدين لأن يصبح الجواز مع النفاذ.. فنجد العروس والعريس يمارسان حياتهما الزوجية كاملة.. أكل شرب.. زيارات للأقارب.. عزومات في البيت.. حياة متكاملة لا ينقصها إلا الحتة دي.. وكأن الحتة دي فقط هي الزواج.. ولا أعتقد أن هذه التيمة ستصلح بعد ذلك ولن تتواءم مع جيل فتيات الفيديو كليب فلقد تغيرت روح العصر.. في ليلة الزفاف.. سيدخلان حجرة النوم.. ستقول له العروسة بعد أن غيرت ملابسها شوف يا باشمهندس نريد أن نظهر أمام الناس وكأننا سمن على عسل علشان منظرنا قدام الناس.. سيسألها العريس.. وهنا؟! في البيت ح يبقى إيه النظام.. ستقول له العروس هنا عايشين حياتنا برضه علشان منظرك أنت قدامي بأه!

والتمثيل في الحياة أصعب من التمثيل على الشاشة.. فالافتعال والتكلف في الحياة يصيبني بالغثيان.. وإحقاقا للحق المرأة أشطر من الرجل بكثير في حكاية التمثيل في الحياة هذه.. الراجل يتهرش بسرعة.. أما المرأة فلها وسائلها.. أذكر أن راقصة أقنعتني ذات يوم أنها لم تعرف رجلا في حياتها.. وصدقتها.. واكتشفت بعد ذلك أنها لم تعرف رجلا فعلا.. كلهم كانوا شباب صغيرين.. وأخرى كان وجهها مضيئا من فرط براءتها.. وعيناها تلمعان ببريق غريب.. وصدقت لمعان عينيها.. وبعد منتصف الليل رأيتها ولكن هذه المرة كانت تلمع كلها.. في نايت كلوب.. وثالثة قالت لي أنها من ضحايا الثورة.. على أساس أن عائلتها كانت تنتمي إلى باشاوات ما قبل الثورة.. وحينما ذهبت إلى

بيتها اكتشفت أنها ليست من ضحايا الثورة.. وإنما من ضحايا الزلزال.. وأخرى كانت على وش خطوبة وقبل أن يأتي العريس إلى البيت علشان يتكلم.. استدانت من طوب الأرض وأجبرت أهلها أن يبيضوا الشقة ويشتروا طقم جديد عشان برضه العريس.. يتخض.. يذكرني هذا بديكورات واجهات المحلات التي يغيرونها في المواسم لجذب الزبون.. وجاء الزبون العريس يعني ولكنه لم يتكلم.. بص له بصة.. وقال لهم.. ح لف لفة وأرجع لكوا.. ولم يترك حتى عربونا ليحجزوا له العروسة.. أعزائي.. لا أتصور أن نبدأ حياتنا بتمثيلية.. هذا ما كنت أنصح به صديقي البرنس.. وهو ليس برنسا ولا حاجة.. وإنما هو شاب ضاربه السلك.. قلت له يا برنس.. لا تقل لحبيبتك إنك تسكن في الزمالك ع النيل.. قل لها إنك من العمرانية ع الترعة.. لا تقل لها إن والدتك تشغل وقت فراغها في الجمعيات الخيرية.. لا تقل لها إنك والعائلة تفضلون دائما أن تفطروا افطارا جماعيا في الهواء الطلق.. قل لها إنكم زبائن مستديمين على موائد الرحمن.. الوضوح.. والصدق يا برنس .. هما الطريق الوحيد لقلب البرنسيسة حبيبتك.. وذهب البرنس وعمل بنصيحتي..

تريدون طبعا أن تعرفوا النتيجة.. لا داعي لهذا الذي يدور في أذهانكم.. البرنس زي الفل ومفيش أي حاجة.. أنا فقط مقصر في زيارته بعض الشيء بسبب مشاغلي.. كما أنهم في الخانكة لا يسمحون بإطالة الزيارة.. ولا يسمحون بدخول أطعمة من الخارج.

وأقعد معاك على شط النيل

في نهاية فيلم (الصعود إلى الهاوية) يشير ضابط المخابرات (محمود ياسين) للجاسوسة (مديحة كامل) قائلا.. ده الهرم.. ده النيل.. دي مصر يا عبلة..

والحقيقة أن الجملة برغم بساطتها إلا أنها كان لها كبير الأثر على المشاهدين.. فعبلة بالطبع ليست سائحة ومحمود ياسين ليس مرشدا سياحيا يعرفها بآثار مصر وإنما عبلة تعلم جيدا ما هو الهرم وما هو النيل.. ولكنها جملة تذكرك باسمك.. بهويتك.. وتعيدك إلى الجذور.. لأن عبلة لو لم تكن تعلم أن هذا هو الهرم وأن ذلك هو النيل.. لاستلزم ذلك تغيير الجملة إلى (ده الهرم.. ده النيل.. دي مصر يا هبلة!!).

والنيل بصفة خاصة يا أعزائي له عندي موال آخر فهو معبود المصريين القدماء كما أنه مشكلة المصريين بتوع اليومين دول.. هل رأيت التفاف النمل حول شريط من العسل مسكوبا على الأرض؟! هذا هو حالنا مع النيل.. ولكن الشيء المثير في هذا النهر العظيم أنه

ليس مجرد نهر يجري من الجنوب إلى الشمال وإنما هو نهر من الأفكار تتدفق طوال الكام ألف سنة التي عاش المصريون فيها على ضفافه.

في البداية عبد المصريون إلها للنيل سموه حابي وكان الإله على شكل كائن حي.. جسم ذكر وأنثى مندمجين معا ثدي وبطن مترهل.. ولذا كانت فكرة الخصوبة هي أول فكرة أوحى بها النيل إلى المصريين القدماء.. ومنها اكتسب المصري شهرة عالمية في هذه النقطة بالذات وتحاول منظمة اليونسكو من خلال هيئة تنظيم الأسرة أن تواجه هذه الخصوبة المصرية الموغلة في القدم ولكن هيهات فهل تستطيع هيئة تنظيم الأسرة من خلال حملتها (أوعي يا شابة تنسي الحبة) أن تلغي بجرة قلم آلاف السنين من أكل الجرجير والبصل الأخضر وآلاف الأطباق من الفول المدمس المحبش بالزيت الحار؟!

وكان النيل قديما يفيض كل عام.. ويثور ثورة عارمة فلا يقف أمامه أحد.. لا بلاد ولا قرى ولا بني آدم يستطيع أن يتفاهم معه.. ومن فكرة الفيضان طلع المصريون القدماء بفكرة البعث.. والحياة بعد الموت إلى أن جاء عبد الناصر بمشروع قومي ضخم اسمه السد العالي.. لم يقف فيه فقط أمام فيضان النيل وإنما وقف فيه أمام الدول الكبرى والعالم كله.. ولم يكدب إخواننا الصعايدة خبرا.. وأدوها على أسوان وتحول المكان إلى خلية نحل.. زلط وطوب ورمل.. وفكرة إثبات الذات.. والعند المصري العظيم والدماغ اللي لما تجفل.. يا حفيظ وذهب الأبنودي أيضا ليكتب رائعته جوابات حراجي القط..

وقبل ظهور الآفات الاجتماعية التي تتمثل في الهيروين والكوكايين والحشيش (كان الإدمان مرتبطا بالنيل إلى حد كبير) وقالوا إن من يشرب ماء النيل لابد وأن يعود إليه.. هما بقين وتلاقي نفسك دايخ ومش على بعضك ولا علاج إلا أن تعود إلى مصر لتشرب من ماء النيل.. أنا أتكلم بالطبع عن النيل بتاع زمان قبل التلوث يعني أما اليوم فمن يشرب من ماء النيل.. هية مرة وعدت.

وكان النيل مليئا بأفراس النهر والتماسيح ويقول هيرودوت إن كل واحد كان يروض تمساحا ليصبح مستأنسا وكانوا يضعون حلقانا من البللور والذهب في آذان التماسيح.. أرزاق - ويقدمون لها طعاما فاخرا ويعاملونها معاملة طيبة فإذا ماتت يقومون بتحنيطها ويدفنونها في أقبية مقدسة.

تماسيح بحلقان !! تصوروا جبروت المصري القديم.. وكانت الأطفال تبكي لأمهاتها، في دلع.. ماما ميدو أخذ التمساح بتاعي.. ماليش دعوة.. وترد الأم في حنان خلاص يا حبيبي بكره أقول لبابا يجيبلك تمساح غيره.

وفي أيام الدولة الفاطمية كان النيل يحرن أحيانا فلا يفيض.. ويزمزأ مع المصريين وتصاب البلاد بجفاف وأمراض وطاعون.. وبلاوي.. وأذكر أنه في عهد المستنصر بالله الفاطمي حدثت في البلاد شدة عظمى سميت بالشدة المستنصرية بلغ الحال في البلاد مبلغا رهيبا من الجفاف حتى أنهم كانوا يذبحون الكلاب والحمير ويأكلونها.. والطريف أن

ذبح الكلاب والحمير تكرر حدوثه في أيامنا هذه برغم عدم حدوث هذه الشدة العظمى وقد حدث هذا معي بصفة شخصية حيث كنت زبونا مستديما عند كبابجي صديق وكنت أبر نفسي من آن لآخر عنده بربع كيلو كباب وقرأت في الجرائد فجأة نبأ القبض عليه لاستخدامه لحم الحمير في عمل الكباب.. ولم أندهش كثيرا لأنني على الأقل عرفت سبب أعراض الغباء والتخلف التي ظهرت عليّ في الفترة الأخيرة.. ولكنني أنبت نفسي لأنني لم أنتبه لذلك خصوصا وأن البقدونس الذي كان يفرشه لتستريح عليه قطع الكباب كان يشبه البرسيم إلى حد كبير.

والنيل هو مأوى العشاق الخالد.. كم كلمة حب قيلت على ضفافه.. وكم عين سبلت وكم قبلة خطفت في السريع قبل مرور بوليس الآداب، وعلى هذه الحقيقة تعيش طبقة من البائعين المتجولين يبيعون الفل والمياه الغازية والبطاطا والذرة المشوي ويتسمون جميعا بغتاتة منقطعة النظير.. فهو يعلم أن حالتك حالة وتريد الانفراد بمن تحب فيفرض عليك شراء بضاعته بطريقة (الفردة) وأنت تشتري لكي تخلص.. كنت جالسا ذات يوم مع الجو وعمال أقول اللي أقدر عليه من كلام الحب والغرام.. واقترب مني أحد البائعين ممسكا ببعض قطع الشيكولاتة وهو يقول مبتسما في لزوجة.. معقول الأستاذ نور الشريف ومدام بوسي.. مش ممكن!! الشيكولاتاية دي هدية يافندم.. أنا بأحب أشوف أفلامكم والله.. ولبست أنا البيعة أما هي فقد سعدت جدا لأنه

شبهها ببوسي أما أنا فلم أسعد لأنه شبهني بنور الشريف لأنني أنا الذي دفعت ثمن الشيكولاتة ولم يدفع نور الشريف شيئا.

أما عن علاقة النيل بالفن فهي علاقة وثيقة.. فكان لا يزال وسيظل هو الملهم رقم واحد للفنان في مصر وما أكثر الأغاني التي تغنت بالنيل.. النيل نجاشي حليوة أسمر.. أمتى الزمن يسمح يا جميل وأقعد معاك على شط النيل.. والأغنية الأخيرة بالذات لها ذكرى جميلة معي.. فقد عزمتني ذات يوم فتاة رقيقة لكي أقعد معاها على شط النيل.. وهي فتاة جميلة مثقفة تعمل بهيئة بحوث البيئة.. وجلسنا وطلبنا اتنين ليمون.. ولا أعلم لماذا اتنين ليمون بالذات.. ولكنه العرف.. نظرت لي برومانسية شديدة وتلاقت يدانا.. وقالت وهي تنظر إلى صفحة النيل والغروب يعكس أشعة الشمس الأخيرة عليها.. قالت.. أنا أصريت أقابلك علشان أقولك حاجة مهمة كنت مخبياها عليك.. وابتسمت في خجل ولم أرد.. قالت.. أنا ما نمتش طول الليل.. عارف ليه.. وابتسمت في خجل ولم أرد.. قالت جثث الروانديين التي يلقونها في النيل تهدده بالتلوث.. ماذا سنفعل.. قل لي.. ونفايات المصانع ونفايات المراكب السياحية.. إنها مصيبة.. وابتسمت في خجل ولم أرد.

بنتك طالق يا باشا

والخيانة الزوجية يا أعزائي ظلت تيمة متكررة في أفلامنا لعب عليها المؤلفون والمخرجون كثيرا حتى حفظناها عن ظهر قلب.. يقتحم الزوج الشقة ويدفع باب حجرة النوم بقدمه ليجد زوجته وعشيقها نائمين في السرير والملاءة تغطيهما - ليس لحافا ولا بطانية.. دائما ملاءة وغالبا كاروهات - وأول ما تفعله الزوجة بالطبع أن تستر نفسها بالملاءة فلا يصح طبعا أن يراها زوجها هكذا.. إذا كان ع العشيق أهو مننا وعلينا لكن الزوج أهو راجل غريب برضه.

ومن مشاهد الخيانة الزوجية التي لا تنسى.. مشهد اكتشاف أنور وجدي لخيانة خطيبته زوزو شكيب في فيلم فاطمة.. يدفع أنور وجدي الباب ليجدها في أحضان عشيقها والكلب الوولف ينبح في الحجرة.. فيصرخ فيها أنور وجدي بطريقته الشهيرة آه يا خاينة.. فتجيبه زوزو شكيب الغارقة في أحضان عشيقها قائلة وكأنها هي المصدومة: فتحي!! أنت بتشك في إخلاصي؟! ويحاول العشيق الدفاع عن نفسه قائلا أنا

يا صديقي.. ويسخر الزوج المخدوع منه قائلا.. صديقك. أنت تعرف معنى الصداقة؟! صديقي الوحيد في البيت ده هو الكلب ده.. لاكي الكلب ده رمز الوفاء والإخلاص والشيء اللي يحزنني ويأثر في نفسي إني ح أسيبه هنا معاكوا.. وينصرف أنور وجلي بعد أن يرزع الباب وراءه.. ويجري الكلب لاكي على زوزو شكيب قائلا.. الحمد لله ماخدش باله من علاقتنا ببعض.. فتأخذه في أحضانها ويثور العشيق المخدوع في وجهها آه يا خاينة بقى إنتي ولاكي بتخدعوني المدة دي كلها فتقول له وهي مصدومة برضه.. أنت بتشك في إخلاصي!!

وفي فيلم غروب وشروق واحد من أشهر مشاهد اكتشاف الخيانة في السينما المصرية حينما يكتشف إبراهيم خان زوجته سعاد حسني في شقة صديقه ويجرجرها من شعرها على السلالم وفي الشوارع وفي التاكسي حتى يلقي بها أمام أبيها (المليجي) ويقول له جملته الشهيرة.. بنتك طالق يا باشا.. وأعجبني تصرف المليجي الباشا حينما حاول أن يلم الموضوع حتى لا يعمل له إبراهيم خان سيلحة ويجرس له البنت.. وكان تصرفا عاقلا هادئا.. قتل إبراهيم خان وجوزها لرشدي أباظة أما فيلم نهر الحب فهو حالة فريدة من حالات الخيانة في السينما المصرية فالبطلة فاتن حمامة تحب عمر الشريف وزوجها زكي رستم يعرف هذا ونحن كجمهور مش طايقين الزوج بصراحة وبنقول في سرنا يا بخت من وفق زوجة وعشيق في الحلال.. لماذا لأن البطلة هي فاتن حمامة..

برقتها ببراءتها ولذا فنحن نعتبر أن رغباتها أوامر.. زكي رستم ده إيه اللي تتجوزه وقدامها عمر الشريف.. احنا نشيل ده من ده يرتاح ده عن ده..

وهذا الثالوث (الزوج والزوجة والعشيق) يعد طبقا رئيسيا في مائدة السينما المصرية.. ودوافع الخيانة بالنسبة للبطلة في الفيلم دوافع إدانة أكثر منها مبررات للخيانة.. فالزوج مشغول عن زوجته بعمله وما بيفسحهاش وما بيخرجهاش.. أو الزوج كبير في السن.. أو مشلول.. أو الزوج فقير والبطلة عندها طموحات مادية.. وحينما تكون الزوجة الخائنة مزوداها شوية تدفع عشيقها لقتل زوجها ويلبسوا التهمة لواحد تاني.. غالبا ما يكون كمال الشناوي ويختلف رد فعل الزوج لحظة اكتشافه الخيانة باختلاف العصر.. فقديما كان الزوج يجهز نفسه لمثل هذه المواقف وماشي بمسدس علطول.. وهناك زوج ينتهز هذه الفرصة ليلقي عليهما محاضرة في الأخلاق وهما نائمين في السرير أمامه.. وهناك زوج يفقد النطق من هول المنظر.. ويقف المسكين وقد انعقد لسانه.. محاولا أن يعبر عما بداخله.. وحينما يفشل يرفع ثلاثة أصابع من يده.. وينهض الاثنان من على السرير في ذهول..

وتسأله الزوجة ثلاث كلمات؟! أول كلمة

فيشير نحوها هي.. تسأله.. أنا؟!.. أنتي صح.. والكلمة الثانية؟!

فتشير إلى الدبلة التي في يده ويقلعـها فتسـأله.. دبلـة.. دهـب.. أول حرف إيه.. ط.. أيوه.. أيوه.. طل؟! والكلمة الثالثة؟؟

فيشير الزوج بأصابعه الثلاثة.. ويجيب العشـيق.. أنـا عرفتـها انـتي طالق بالثلاثة.. ويجيب الزوج مضبوط.. انتي طالق بالثلاثة..

وأحب أضيف معلومة بأه تعبر عن الطلاق بالثلاثة في الحالـة الـتي انتـو فيـها دي مـالكيش أي حـق في المؤخـر ولا في النفقـة ولا في أي حاجة.. وعبرت الأغاني عن الخيانـة بصـورة رائعـة حينمـا غنـى عبـد الحليم تخونوه وعمره ما خانكم أو حينما قال خاين وعنيه خاينين خدوا مني أحلى سنين.. أنا واحد من الناس كنت باتقطع على عبـد الحليـم.. وحينما أسمع أي أغنية تعرض فيها الحبيب لخيانة حبيبته.. إلى أن سمعت أغنية أخيرة شعبية تقول.. دلوني يا نـاس دلونـي أعمـل إيـه في اللـي خانوني.. أنسى إيه.. ولا إيه.. ولا إيه.. ولا إيه.. ولا إيه.. أنا بقى راضـي ذمتكم واحد حبيبته خانته.. يغني كده ازاي.. يبقـى يسـتاهل بصراحـة.. ويقول الأستاذ العقاد.. إن المرأة لا قانون لخيانتها فهي لا تستبدل السيئ بالأفضل.. بل من الممكن أن يكون زوجها زي القمر ومريـش وكـامل من كله .. وتتركه لآخر ليس فيه أي مـيزة.. فـلا تطمئـن حينمـا تنظـر لنفسك في المرآة.. وتجد نفسك واد مخلص وفلة.. الـواد حمـودة الأحـول ممكن يشـقطها منـك في ثانيـة.. ولا رادع لخيانـة المـرأة سـوى الـوازع الأخلاقي.. البيت التربية..

سألت مجموعة من أصدقائي الرجال أيهما أشد وطأة خيانة الرجل أم خيانة المرأة.. فأجابوا بسرعة وبلا تفكير وفي صوت واحد.. خيانة المرأة طبعا وسألت بعض النساء بنفس السؤال فأجبن.. خيانة الست طبعا.. وأضفن في استفاضة وفيه بقى ستات حريفة ازاي تخطف راجل من مراته وهذا النوع الخطير من النساء.. غالبا ما يرى أن هذا الرجل كتير على زوجته.. وتتعمد هذه المرأة أن تفرس الزوجة أمام زوجها بان تلمح إلى عيوبها بطريقة غير مباشرة.. كُهن ستات يعني.. والزوجة المسكينة تغلي وتكتم في روحها.. وتفض القعدة بسرعة لكي تأخذ زوجها وع البيت علطول.. وبمجرد وصولهما يرن جرس التليفون.. فيرفع الزوج السماعة وإذا بصوت حنون كله أنوثة ونعومة يقول.. ألو بس باطمن انكوا وصلتوا.. فيرد الزوج الذي سابت مفاصله.. عفاف جنبي تحبي تكلميها.. فتجيب ذات الصوت الساحر لأ.. خلاص بأه تصبح على خير.. ويضع السماعة لتبدأ خناقة لرب السما تنتهي بالكلمة الشهيرة طلقني.

حلال عليك.. لا .. حلال عليك

يحكي لنا أهالينا بتفاخر ليس بعده تفاخر وبأبهة ما بعدها أبهة عن الزمن الذي عاشوه وعن الأيام التي لم نعشها نحـن.. تقـول لي أمـي: إن الموبيليـا الـتي دخلـت بـها - تزوجـت بـها يعـني - ليـس لهـا مثيـل.. فالدولاب وحده حمله عشرة من الرجال الأشداء وكانوا يتفصدون عرقا من ثقله.. وتضيف في حسـرة وكـان الـدولاب بسـت مرايـات وأنـها الوحيدة بين أخواتها التي كان في جهازها راديو.. اندثر مثله مثـل بـاقي الحفريات ولم يتبق منه سوى أزراره الجيبـة الـتي تشـبه أزرار البـالطو.. وكنت كثيرا ما أمازحها قائلا: اقفلي الراديو أحسن الدنيا برد.. ويقسم أبي أنه دفع مهرا في أمي اثنـين وسـبعين مـن الجنيـهات دفـع نصفـها والباقي مؤخـر صـداق.. علـى أسـاس أن أهلـها يعـني كـانوا عـاوزين يربطوه!! ما يعرفش يفلفص.. للأسف الشديد لم يتمكن أبي وأمي من تصويـر فرحـهما فيديـو لأنـهما تزوجـا في بدايـة الأربعينيـات وكـان التصوير أيامها عيب.. ولذا يحتفظ كل هـذا الجيـل بتفـاصيل الفـرح.. ثانية بثانية.. ويحكونها لنا على مدى السنين فنتخيلها مثل ليـالي ألـف ليلة وليلة..

أما في أيامنا هذه فصار تصوير الفرح بالفيديو من الأساسيات التي لا تناقش وتفرض على العريس.. وحتى الطبقات الشعبية أصبحت تحرص وبشدة على أن تصور الكاميرا العروس والعريس من أول الحارة عند الفرن البلدي كده وأنت داخل.. لحد عم أمين اللي بيسن السكاكين.. ويتبختر العريس والعروس بين الزغاريد الموجهة من البلكونات.. والملح الذي يرش.. وتخطف العروس لها بصة في الكاميرا تفتعل فيها البراءة والشقاوة والطعامة.. بصة شافت سعاد حسني بتبصها في خللي بالك من زوزو وحلفت حين تجيء لها الفرصة ألا تضيعها.. ويتسابق شباب الحارة (العتر) جمع عترة.. في الرقص أمام العروس والعريس حتى تلطشهم الكاميرا.. وتتذوق البنات على سنجة عشرة.. وكل واحدة تنتظر الفرصة لحظة أن يركز عليها المصور.. فتوزع هي الأخرى بصة مليئة بالطيبة والحنان والوداعة.. فالشريط بعد أن يخلص سيذهب إلى بيوت كثيرة.. وسيراه جدعان كثيرون.. فإذا كان تيست الكاميرا هو الفرصة التي تنتظرها الممثلة ليراها المخرج ويعطيها دور البطولة في فيلمه الجديد.. فشريط الفرح هو تيست الكاميرا الذي سيراه عريس الأحلام.. وسيقول لأمه.. وقفي الشريط يا ماما كده.. مين دي؟

وفي شرائط الأفراح تظهر شخصيات درامية تحفة.. في شريط فرح أخي مثلا.. رأيت شابا يرتدي بدلة وكرفاتة وصديري موديل الستينيات.. كاوي شعره وعامله بفازلين.. يرسم ابتسامة كاذبة لا تفارق فمه. ويمسح شفتيه بلسانه كل دقيقة.. هذا الشخص لا يفارق الكادر..

إذا ذهب أهل العريس ليسلموا عليه.. يكون هو في مقدمتهم وإذا ذهب أهل العروسة.. هو الذي يسبقهم.. وحين أتى المأذون هو الذي أخذه من ذراعه. وبعد الفرح جلسنا نتفرج على الشريط.. ثم تساءلنا في وقت واحد.. مين ده؟! لم يعرفه أحد. وبعد أن صار الشريط هو الفرح بدأت تتطور شرائط الأفراح فأصبحت سهرة منوعات تليفزيونية عادية جدا.. العروس تريد إيهاب توفيق.. وأبو العروس عاوز يسمع العزبي.. والعريس يريد أن يعيد النظر في الموضوع كله..

وتصوير الأفراح أفسد الأفراح.. جعلنا كلنا أمام الكاميرا كدابين مفتعلين مهما حاولنا أن نكون طبيعيين حتى أمي البسيطة الطيبة التلقائية.. حينما تأتي عليها الكاميرا.. تعمل فيها أم العريس الوقور وترفع يدها لتمسح رأسها من العرق وأنا أعلم أنها تريد أن تظهر الأساور الذهبية في الكاميرا وزيادة في الافتعال يبتكر مصورو الأفراح أفكارا.. سيرقص العريس والعروس سلو.. على موسيقى ناعمة.. يالله يا عريس.. قومي يا عروسة.. ويتراقصان.. ويعلو صوت المصور.. متولي شغل مكنة الدخان.. ويشغل متولي مكنة الدخان.. الذي يحيط بالعروسين وتسري عدوى السعال بين المعازيم.. وحينما يغطيهما الدخان الكثيف لا أعلم لماذا في كل مرة أشعر أن العريس سينسحب في هدوء بدون أن يشعر به أحد.. فهذه على الأقل آخر فرصة بالنسبة له للفرار ولذا أنصح كل عروس بأن تتشبث بعريسها جيدا لما تيجي حتة الدخان دي محدش يضمن حاجة يا بنتي في الزمن ده .

ولا يكاد العريس والعروسة يجلسان حتى تأتي الفكرة الثانية للمصور العبقري.. سيلبس العريس طربوشا ويمسك منشة وسيضع أمامه شيشة وستجلس العروس على ركبتيها في تذلل وخضوع.. وكأنها جالسة أمام سي السيد.. وستأتي الكاميرا بسرعة على أم العروسة التي تضحك بافتعال على خفة دم بنتها السكرا! بعد كل هذه الفقرات اللطيفة سيأتي المطرب إياه الذي سيفاجئ الحاضرين بالمفاجأة الكبرى (التي هي لست مفاجأة على الإطلاق وحدثت في كل الأفراح التي حضرتها) العروس ح تغني! ويصرخ المعازيم فرحا.. وستقول العروسة طبعا.. معرفش أغني معرفش والله.. وفي النهاية تمسك الميكروفون وتنظر للعريس في خجل مصطنع وتغني مكسوفة.. مكسوفة منك.. مش قادرة مش قادرة.. أقولك.. وأصبحت شرائط الأفراح تنافس شرائط الأفلام والمسرحيات.. بل إن شريط فرح أبناء أحد الفنانين اشترته إحدى شركات الفيديو بأكثر من نصف مليون جنيه.. وحقق نجاحا خياليا في الخليج وأعجبتني الفكرة قلت لصديقي الفنان الكوميدي المنتصر بالله.. عندك حد يشتري فرحي.. قال لي بطريقته المعروفة.. اشتريه.. قلت له بس المشكلة مفيش عروسة.. قال لي شوف أنت تتجوز اتنين واحدة للشريط الأولاني تبقى كونت نفسك وتقوم نازل بالشريط الثاني بقى وحتدعيلي.

ولكن في الحقيقة تظل شرائط الأفراح تسجيلا للحظة نادرة في حياة الإنسان.. ومن أجمل الشرائط التي رأيتها في حياتي شريط فرح الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي الذي صور سينمائيا في بداية

الستينيات.. في الفرح رأيت عبد الحليم وفايزة وفريد شوقي وكل عظماء الفن المصري.. ورأيت أعضاء مجلس قيادة الثورة.. شريط فرح ماجدة كنز سيعينها كثيرا وهي تقدم لنا مشوار حياتها.. ويقال أيضا.. إن شريط فرح ليلى مراد وأنور وجدي.. هو نفسه الذي شاهدناه جميعا في فيلم (ليلى بنت الفقراء).. يبدو أن فكرة بيع الأفراح طرأت لأول مرة أيضا على هذا الدماغ العبقري أنور وجدي.

ولكن الشريط الذي أثلج صدري وأضحكني من أعماق قلبي.. شريط فرح أرسلته لي قارئة عزيزة مدعوم بخطاب رائع.. تظهر لي حقيقة عمر إنسانة كنت أعرفها في يوم من الأيام.. وادعت لي أنها في العشرين.. والشريط عمره أكثر من ثمانية أعوام يعني المفروض أنها كانت لسه في القبول.. وبعد أن رأيت الشريط أقسمت أن تكون أول كلمة حب أقولها لأي واحدة.. بطاقتك لو سمحتي!!

وعاد المنتصر بالله يسألني وبعدها لك يا بني.. ألن تصور فرحك؟!

قلت له: سأصوره ولكن بطريقتي .

قال لي: إزاي قلت له: بطريقة الفيديو كليب.

فأجاب هو: بطريقة هشام عباس حلال عليك لا.. حلال عليك وفهمت أنه تراجع في مسألة شرائه لشريط فرحي.

كله بالريموت

برغم أنني لست رياضيا ولا أفهم في الكورة وهذا إقرار مني بذلك إلا أن أكثر ما يعجبني هذا الاختراع الذي ظهر في التليفزيون منذ سنوات ألا وهو إعادة الهدف بعد دخوله مباشرة.. يا أخي بعد أن تدخل الكرة الجول ويزعق المذيع بأعلي صوته جول جول جول إذا به يقول ح نشوفها مرة ثانية فتخرج الكرة من الجول إلى قدم اللاعب مرة ثانية ثم يرجع بظهره إلى حيث استلمها ثم يعيدها إلى اللاعب الذي أخذها منه .

كل هذا وكل شيء يعود إلى الوراء ثم يعيد الهدف بالحركة البطيئة فترى اللاعب يستلم الكرة في سنة ويحرك رجله في سنة أخرى ويشوطها في سنة ثالثة وتتحرك الكرة أمامك ببطء وكأنها السلحفاة إلى أن تصل إلى الشبكة وأنا في شدة الانبهار وهنا أنا لست منبهرا على طريقة يا حلاوة يا أولاد.. وإنما منبهر بالمعنى فلحظة تسجيل الهدف على حد علمي لحظة جميلة.. واللحظات الجميلة تمر بسرعة

ولكنهم استطاعوا أن يعيدوا هذه اللحظة ويثبتوها لك أمام عينيك. ما هذا الذي يدور في رأسي؟ هل بدأت تخاريف الصيام تظهر على رأسي بعد انتهاء الشهر الفضيل؟ آه لو كان معي هذا الريموت الجهنمي لعدت بشريط حياتي إلى مرحلة الطفولة وتوقفت عندها وكلما أكبر قليلا أدوس على الريموت وأعيش طفلا مدى الحياة بلا مسئولية.. طفل ملك.. الكل يعمل عندي.. يعملون من أجلي يؤكلونني ويشترون ملابسي ولعبي ويذهبون بي إلى الملاهي.. ولكن آه هل آمن على الريموت الذي معي هذا في يد طفل؟ بعقلية طفل؟ خاصة وأنا أذكر أنني كنت طفلا شريرا ولا أستبعد أن أدوس على زر التقديم السريع لأكعبل الناس من حولي وربما قدمت الشريط حتى لحظة النهاية وهم يحملونني إلى ترب الغفير.. لا أنا أريد مرحلة أكثر استمتاعا وأكثر نضجا.. آه.. قالها الشاعر: ألا ليت الشباب يعود يوما.. إذن لارجع قليلا للوراء.. مرحلة الشباب ولكن أي مرحلة هل أبدأ مثلا من المراهقة؟ اسكت ما تفكرنيش دي أيام سود والواحد لا هو باين راجل ولا عيل.. وشنبه أخضر كله ولا له طعم ولا معنى وصوته تخين على الفاضي لا.. أبعدنا عن مرحلة التكوين.. ياربي.. ما هي أجمل مرحلة في حياة البني آدم مننا؟!! ولماذا أتعب نفسي؟ لماذا لا أجرب مثلا في صديق لي؟ أرجعه وهو يقول لي وذهبت إليه .

لا أعلم لماذا كان يبدو عليه الارتباك؟ وتعمدت زوجته ألا تقدم لي شيئا لإنها لا تحبني لله في لله.. ولكن الراجل عمل الواجب قلت له في خجل.. أشعر بأنني جئت في وقت غير مناسب أكون أزعجت المدام ولا حاجة؟! قال الرجل أنت بتقول إيه يا راجل؟ ده بيتي يعني بيتك بالضبط.. قلت له هل كانت هناك مشاجرة قبل أن آتي أو شيء من هذا القبيل؟ قال لي مشاجرة إيه يا راجل.. ما فيش كلمة في البيت ده غير ليا أنا وتأملت وجهه قليلا كانت هناك خربشة أظافر عند الخد الأيمن أما ذراعه التي كان يتحسسها من آن لآخر بصورة عصبية فكانت آثار الأسنان والفكين ظاهرة بوضوح آثار عضة واستمر يتكلم وهو يمسك بحزام جلد قائلا بده.. بالحزام ده بيتك يمشي زي الساعة وأدرت الجهاز.. عدت بالزمن للوراء حوالي ربع ساعة قبل ما آجي يعني وعلى اللي شفته!! ما قولكوش على البلاوي اللي شفتها..

وأدركت أن العناية الإلهية أرسلتني لإنقاذ هذا الرجل الطيب وأنني لو تأخرت قليلا لما وجدته هنا.. لأن زوجته كان مصرة في هذه اللحظات أن تجري بشريط حياته جريا سريعا إلى حيث اللقطة الأخيرة في ترب الغفير..

وظللت أراقب الموقف.. المشاجرة الرهيبة ثم الخربشة.. فالعضة ثم أمسكت بالشبشب إلى أن جاء وقت وصولي وطرقت الباب ودخلت وتعمدت زوجته ألا تقدم لي شيئا لأنها لا تحبني لله في لله ولكن الراجل

عمل الواجب.. واعترفت له.. قلت له على حكاية الريموت وسألني بلهفة بيرجع وبيقدم كمان؟! قلت له وبيثبت الصورة وبيحركها بالبطيء قال لي أنا في عرضك أريد أن ترجعني عشر سنوات على الأقل مرحلة قبل أن أتزوج! أعني حينما كنت أعزب وأريدك أن تحرك لي هذه الفترة من حياتي بالحركة البطيئة أريد أن أستمتع بها رشفة رشفة وابتسم في خبث وهمس لي قائلا: وأريدك أن تجري لي بشريط زوجتي للأمام بأقصى سرعة خلصني منها وأنا سأبسطك فأنا حينما كنت عازبا كنت راجل مريش وبما أني سأعود لأيام العزوبية الجميلة فلن أنساك.. كان صوت الغسالة يغطي على حديثنا وكانت الزوجة تحمل الغسيل في الطبق وتعصره ثم تنشره في البلكونة وتعود مرة أخرى في قوة وهمة ونشاط وكانت تزغر لنا من آخر لآخر وتشير له في جرأة أن يسرع بإنهاء المقابلة معي.. قلت له: سأهد لك حيلها ودوست على زر الحركة البطيئة فإذا بها تحمل الغسيل في سنة.. وتخرجه من الغسالة في سنة وتعصره في سنة ثم تتحرك ببطء شديد جدا إلى البلكونة وتنشره في سنة.. وتعود أمامنا ببطء قاتل ولكنها لا تنسى أن تزغر لنا نفس الزغرة إياها ولكن ببطء شديد فجعلتنا نتعرف أكثر على تفاصيل هذه النظرة أو الزغرة المليئة بالعداء.

ودخل تامر ابنه الأصغر آخر العنقود ورحب بي في طفولة بريئة وكاد يخطف الريموت وجلس على حجر أبيه في دلال وكان أبوه يعبث

بشعره سعيدا. فقلت له: وماذا ستفعل في هذا حينما أعيدك إلى أيام العزوبية.. فقال الأب سنأخذه معنا طبعا أنا لا أستغني عن تامر.. قلت له: كيف وأنت عازب ما كانش لسه فيه تامر وقال الأب محتضنا ابنه: اليست هناك طريقة.. قلت له: طبعا لا.. وظهرت زوجته عند الباب ولكن بملامح مختلفة.. كانت مرهقة ومجهدة جدا ونادته في تحفظ واختلت به عند الباب.. أعتقد أنها كانت تعتذر له.. أعتقد أنهما تصافيا أو تصالحا.. لأن الرجل عاد شخصا آخر.. قال لي: هيه طيبة من جوه طيبة والله.. وهمس لي قائلا أصلها بتتعب.. البيت كله شايلاه على دماغها.. ده كفاية تامر.. والله الواحد لو لف الدنيا كلها ما ح يلاقي زيها.. أميرة قوي يا جو.. قوي.. كانت زوجته قد غيرت جلابيتها القبيحة وارتدت شيئا آخر جميلا وسرحت شعرها في رقة.. ودخلت إلى حجرتها في صمت وقال لي صاحبي في زهق: هه، وأنت عامل إيه؟ كويس!! وتلك كما تعلمون هي الطريقة المهذبة للتخلص من ضيف ثقيل .

أنف وثلاث عيون

تحكي الأسطورة عن إله الشر المدعو (ست) الذي قتل أخاه أوزوريس وقطعه أربع عشرة قطعة ووزعه على محافظات مصر كلها.. أيامها بقى.. لم تكن المدن الجديدة طلعت لا العبور ولا الشروق ولا مساكن العرسان.. وتصف لنا الأسطورة كيف ولولت إيزيس وندبت ولطمت الخدود على أوزوريس زوجها وكيف طافت ببلدان مصر كلها لتجميع قطعه المتناثرة قطعة قطعة.. ويحكي لي صديقي وكيل النيابة عن حقيقة وليست أسطورة.. استطاعت فيها (ست) برضه أن تقطع زوجها ٤٨ قطعة وتوزعه بمعرفتها.. وأدركت أن دور المرأة قد تغير عبر السنين كانت زمان بتجمع وتقفل عندها.. النهاردة هي اللي بتقطع وتوزع غير إيزيس خالص.. التي جمعت الجسد ووضعت أشلاءه المتفرقة على شاطئ النهر وتوسلت للإله تحوت أن يعطيه الروح ولو لدقيقة واحدة.. وكان لها ما أرادت. وفي هذه الدقيقة لم تضع إيزيس وقتها في البكاء والنحيب والسلامات.. والولولة.. صارت حبلى منه في ابنها حورس وكبر حورس وصار إلها هو الآخر وذهب لينتقم لأبيه

وتصف الأسطورة تلك المعركة الشرسة بين الإلهين حورس وست.. في البداية اقتلع حورس خصيتي ست (ليصبح الشر عقيما لا ينجب شرا) وبعدها اقتلع ست عيني حورس وكاد يهزمه لولا تدخل تحوت الإله الطيب الذي تفل في عيني حورس (نفخ فيهما يعني) سبع مرات وهو نوع من التطبب الشعبي لا يزال يستخدم في الريف إلى الآن فعادت إليه القدرة على الإبصار واستطاع حورس أن ينتصر على عمه الشرير (ست) ويأخذ منه عينيه ليقدمها قربانا يضعهما على قبر والده.. لتصبح العين من وقتها أغلى التضحيات وأثمن القرابين.. وتصبح قاسما مشتركا في كل أغاني الحياة.. (وحياة عينيك وفداها عينيا.. أنا بلحبك قد عنيا..) و(عودت عيني على رؤياك..) إنها عين حورس.. والعين في الحقيقة هي القلب.. أما القلب فوهم وأكذوبة وأونطة.. نحن نحب بأعيننا أو بآذاننا.. ولذا يقول الشاعر: الأذن تعشق قبل العين أحيانا.. واخد بالك من أحيانا العين دائما تعشق أولا.. وما كتب في العين فقط من أشعار وكتابات وأغان يملأ الدنيا كلها بل أن شاعرا إسبانيا كتب مؤلفا بالكامل في عيون حبيبته (عيون الزا) والشاعر أمل دنقل قال في العيون بيتا عبقريا.. قال ..

أترى حين أفقأ عينيك

ثم أثبت جوهرتين مكانهما

هل ترى؟!

هي أشياء لا تشترى !!

والموال المصري يرتكز على عمودين أساسيين وهما الليل.. والعين فهو إما يقول يا ليل أو يا عين وكلاهما مرتبط بالسهر والسهد ولا يوجد مطرب في الدنيا لم يغن للعين.. والعين هي الفصل الأول دائما، في مسرحية الحب.. ولغة العيون هي اللغة العالمية التي لا تحتاج دراسة ولا جرامر واتفق فقهاء التسبيل على أن غمزة العين تعني شقاوة.. ورغبة.. وكلام كبير ومن فعل (يبص) اشتق المسبلاتية فعل (يبصبص) والبصبصة هي التحديق فيمن تحب والتركيز عليه للفت انتباهه.. وعلى النقيض كان عبد الوهاب يتشاءم من القبلة في العين.. فيغني للحبيبة.. بلاش تبوسني في عنيا دى البوسة فى العين تفرق.. ثم يقول خلي الوداع من غير قبل.. ربما يرجع هذا إلى أن عبدو الوهاب كان موسوس .. (وإنف) شوية أما العندليب ما كانش بيهمه فقد ضرب رقما قياسيا في عدد القبلات التي في أي فيلم.. في فيلم أبي فوق الشجرة تجاوز عدد القبلات التسعين قبلة وكان الجمهور في الصالة يعد القبلات.. واحد.. اثنين.. ثلاثة.. بالضبط مثل الأهداف في المباريات.. ولو كانت هذه القبلات أهدافا لوقع عبد الحليم عقدا مع نادي يوفونتوس الإيطالي أسوة بمارادونا.. مفيش حد أحسن من حد.

وتختلف عادات التقبيل من شعب إلى آخر.. في أبو ظبي مثلا لاحظت أنهم حينما يقبلون بعضهم بعضا يحكون طرف الأنف في طرف أنف من يقبلونه.. وفي الإسكيمو برضه يحكون الأنوف أثناء

العناق ولذا فمعظم أهل الإسكيمو عندهم زكام مزمن.. وقرأت أنهم يشمون فتاة الأحلام قبل الإقدام على الزواج منها فإذا شمها العريس وأعجبته.. يتكلم في المؤخر والذي منه.. وإذا لم تعجبه يتركها ولكن ريحتها تفوح بقى في القبيلة فيقول الرجل لصاحبه.. سيبك منها دى مشمومة قبل كده.. ولا أعلم هل نحن حينما نطلق على الشاب المتكالب على النساء تعبير (شمام) هل نرجع ذلك إلى عادات الإسكيمو؟؟ وفي السينما تعد القبلة السينمائية مثار اهتمام كثير من النقاد والمفكرين لدرجة أنني أقترح أن ننشئ علما متفردا بذاته نسميه مثلا.. (البوسولوجي) وقد كنا قديما حينما نلتف حول التليفزيون الأبيض والأسود ونرى قبلة في التليفزيون كان أبي الحاج يزغر لنا بعينيه فنطأطئ رؤوسنا خجلا حتى تنتهي البوسة ولكنني أعترف أنني كنت أنظر من تحت لتحت للمنظر مما أورثني قليلا من الحول ظللت أعاني منه فترة طويلة وكنا نعتقد أن هذا البوس مش حقيقي ولكنهم يركبون الصورة في الفيلم إلى أن كبرت و عملت في الفن وعرفت الحقيقة وأدركت أن هذا (البوس) فعلا مش حقيقي!!

وأطول قبلة سجلها التاريخ كانت بين رجل و امرأة في الطريق عام ١٩٦٤ وذلك حين أرادا تبادل قبلة سريعة في سيارتهما فتشابكت دعامتي أسنانهما المعدنيتين وأثناء الاشتباك انفتحت الإشارة ولكن لم يستطع أي منهما التخلص من الآخر.. كلاكسات السيارات خلفهما لا ترحم.. ويتدخل عسكري المرور وعمل لهما مخالفة.. ولكنه لم يعرف

ماذا يكتب فيها.. ولم يحتج إلى كلابش للقبض عليهما.. هما كانوا مكلبشين في بعض كلبشة سودة..

أما القبلة التي تليها في الطول فكانت من نصيب صديقي كمال حينما كاد يغرق في أحد شواطئ إيطاليا وحملوه حملا وهو بين الموت والحياة وتقدمت إحداهن.. ربنا يعمر بيتها - لعمل تنفس صناعي له ولا ينكر كمال أنه أفاق بسرعة ولكنه تركها تمارس مهمتها - زيادة الخير خيرين - فالبوسة كالمضاد الحيوي يجب أن تكمل الكورس لآخره.. ولكنه قام مفزوعا حينما حاول زوجها أن يعمل له تنفس صناعي هو الآخر ..

ويقول كمال في غيظ.. أنا لست ملطشة كل من هب ودب يعمل لي تنفس صناعي.

أعزائي بين كل الحواس التي حبانا بها الله سبحانه وتعالى.. تظل العين هي أرقى وأغلى وسائل التعبير والإحساس الإنساني.. ولو كان لي أن أتمنى.. لتمنيت أن يكون لي أنف.. وثلاث عيون ..

انتي جاية اشتغلي إيه ؟

تأخذ الألباب هذه البنت الخرافية ذات الوجه الصبوح وهي في سيارتها الصغيرة.. وتراها وهي منكبة بكل جسمها على الدركسيون فتعيد للذهن أمنية قديمة كانت عندي.. كان نفسي أطلع دركسيون.. مرت بجانبي فأفسحت لها الطريق فورا.. وأحسست أنها سيارة إسعاف.. لأنني تخيلت حالة الشاب الذي في انتظارها ومعه حق.. تجاوزتني بسيارتها وانطلقت.. وكان الفراق.. الذي لم أجبر عليه وإنما كان بمحض إرادتي.. أحيانا في الطريق يجب أن تضحي.. ولكن يا أخي تمنحنا الحياة أشياء غير متوقعة.. صدقات.. فقد كان من حظي أن تكون بجانبى هى نفسها مرة ثانية في إشارة.. ما أجمل الإشارات.. وكل لبيب بالإشارة يفهم.. وتخضر الإشارة.. يا أخي حركة المرور في المدينة أحيانا تكون بها سيولة تغيظ وأفسح لها الطريق مرة ثانية.. ما أنا كنت خلاص عودتها على كده.. وتصر الحياة أن تمنحني الأشياء إياها ولكنها هذه المرة ليست صدقات.. بل صدمات.. إذ أن سيارة أخرى مرت بجوارها وزنقت عليها وكادت تصطدم بها.. فأخرجت فتاتي الرقيقة

رأسها التحفة من شباك السيارة.. وانهالت بالشتائم على من زنق عليها.. يا كذا.. يابن الكذا.. يا حمار.. فأفسحت لها الطريق كله هذه المرة ولكن دوافعي تغيرت عملا بالمثل الشهير الشباك اللي يجيلك منه الريح سده واستريح.. دعوت الله ألا تعملها الصدف مرة أخرى فألقاها فى أى حتة.. يقولون إن السواقة تعلم البذاءة وبين سائقي السيارات لغة.. لغة خاصة.. كأن السيارات تكلم بعضها.. ولأن سيارتي خجولة فهي غالبا ما تؤثر الصمت.. تفسح الطريق لكل السيارات.. وتتنازل عن كل حقوقها ع الطريق وأتساءل.. لماذا وصفت صاحبتنا الرجل الذي زنق عليها بأنه حمار.. هذا ظلم.. لأن الحمار حينما كان هو وسيلة الانتقال الرئيسية في مصر لم تكن تحدث هذه المشاكل.. وقد قدر ناصري خسرو الرحالة الشهير عددها في مصر في القرن الحادي عشر بخمسين ألفا في القاهرة، وفي حي بولاق وحده باثنى عشر ألف حمار في القرن التاسع عشر. وقد حظيت تلك الدابة بعطف وإعجاب راكبيها ويقول عنها جوبينو إن ملامحها ذكية وخبيثة وإنها تميل إلى السير بسرعة وسيرها أقرب إلى العدو منه إلى التختار فكأنها تترفع عن الخطو.. الظاهر أيامها كانت الحمير بتعمل أمريكاني وغرز وخمسات برضه.. وأحيانا كان الحمار ينجح في التخلص من راكبه ويتابع سيره سعيدا بمغامرته وفي عينه نظرة ساخرة وأذناه قد تدليتا.. ويقال إن نابليون أول من سار في القاهرة بعربة يجرها ستة خيول.. ستة سلندر.. وكان هذا حدثا بعد ذلك صرح محمد علي باستخدام العربات

التي أحدث ظهورها جوا من الإثارة في القاهرة وقد منح بعضا منها هدية لوزرائه فصار في القاهرة منها حوالي ثلاثين تجرها الأحصنة الصغيرة السي سي.. ولذا كان الوزير يسأل زميله.. هيه عربيتك كام سي سي؟! ولم تكن الحمير كلها موديلا واحدًا.. وإنما الحمير أيضا كانت لها مقامات.. ويصف أحد الأجانب رحلته على حمار امتطاه فيقول إن البردعة كانت جيدة التبطين كأنها مقعد وثير سحري يطوف بالمرء في عالم ألف ليلة وليلة الساحر.. ولذا لا أستبعد أن أحدهم ذهب أيامها ليغير حماره من الأجانس.. فقال له صاحب المعرض استنى لشهر سبعة.. فيه حمير نازلة جديدة حكاية.. فيجيب صاحب الحمار، بس أنا عاوز أدخل حماري في الحمار الجديد، وأدفع الفرق فأجاب صاحب المعرض خدلك جحش سبور يمشيك اليومين دول.. وإعجاب الكتاب والأدباء بالحمار يثير الدهشة.. يحيي حقي كان من أشد المعجبين.. وتوفيق الحكيم ألف كتبا في الحمار.. وكلمه وحاوره.. وياله من حوار!!

دافعوا جميعا عن الحمار.. ونفوا عنه صفة الغباء التي ألصقتها الدعاية المضادة به ..

وفي مطلع القرن العشرين بدأنا نرى السيارات.. وكان عددها في مصر محدودا للغاية.. وكان هناك كلوب.. ناد لأصحاب السيارات.. يلتقون فيه باعتبار أنهم الصفوة.. كان شيئا عزيزا.. النهاردة لو عملنا نادي للطيارات مش ح نلاحق.. شيء يثير الدهشة.. التكنولوجيا والفلوس صارت تعمل أي شيء.. البطلة تغني له.. سوق على مهلك

سوق بكرة الدنيا تروق.. ودوس ع الدنيا وامشي عليها.. وكان البطل يحرك الدركسيون وهو يدندن مع الموسيقى بطريقة لو كانت حقيقية لعمل ميت حادثة.. كان أنور وجدي يلعب بالدركسيون يمينا وشمالا.. كأنه في الملاهي ولم ينتبه أحد لهذا.. ولا حتى المخرج.. هيه مصر كلها كان فيها كام عربية.. وقبل أن أشتري سيارة.. وأتعلم القيادة كنت متخيل أن السواقة كده.. وظللت فترة طويلة قبل أن أشفي من عدوي أنور وجدي في القيادة.. وظلت السيارة حلما بعيد المنال وتمثل نقلة اجتماعية كبيرة.. وكانت إحدى المواصفات التي يوصف بها العريس.. فتقول الأم لابنتها.. ده عنده عربية. اليوم صارت البنت تطلب من أبيها سيارة كأنها تطلب ساندوتش حلاوة طحينية.. ومن السواقة اشتقت العامية المصرية تعبيرا خاصا.. فتقول ده ح يسوق فيها.. ويعني هذا التجاوز.. والبجاحة.. وازدحمت البلد بالسيارات فصارت السيارة مثل البني آدم.. لها شهادة ميلاد.. وتأمين صحي.. واسم. وصفة. وبعيد عن السامعين شهادة وفاة وأطلق عليها تجارها العروسة والحلوة.. وعزيزة.. وفلة.. ثم بدأت تأخذ شكلا دراميا أيضا.. فيكتب صاحبها عليها ما تبصليش بعين رضية شوف اللي اندفع فيا.. وآخر يكتب الحلوة كايداهم واللي جيباهم واخداهم.. وآخر مرق أمامي بسيارته بسرعة.. وكدت أصطدم به.. لأجده كاتب على سيارته من الخلف أنا كده وإن كان عاجبك، حوارات وكلام وحواديت وآخر كاتب على سيارته.. أصيلة يا عزة وما تقرش يا عبيط.. الحلوة بالتقسيط.. ويتفنن

الجيل الجديد من الشباب في ترويش العربية.. والموضة دلوقت أنك تسيب العربية قذرة ولو قدرت توسخها بإيدك يبقى أروش.. قالت لي بنت روشة وهي ترى سيارتي بعد يوم عاصف أشبه بصفيحة القمامة.. سيبها كده أروش.. ستطلع أقسام جديدة في محطات البنزين لتوسيخ العربيات.. وإلقاء التراب عليها والقمامة.. سأقول لعامل المحطة.. بس القزاز لسه نظيف سيفتح علبة عصير ويلقيها على الزجاج.. آه كده معقول.. وآخرين يعلقون علم أمريكا على القزاز من ورا.. قال يعني العيال مش من هنا.. وأتذكر بعد حرب أكتوبر الجملة الشهيرة محمد أفندي رفع العلم.. علم مصر طبعا.. إنما هيثم أفندي U.S.A له رأي آخر.. وتنزل الشابة من سيارتها لأجدها ترتدي فستانا قصيرا صارخا.. فألطم على خدي وأقول لها.. ادخلي.. ادخلي خليكي في العربية وشعرت أنها لا تنزل من السيارة وإنما كأنها تقلعها!!!.. فأغلقت لها باب السيارة لأسترها.. وسألتها.. إنتي جاية اشتغلي إيه؟!!

العيال ضربت يا جدعان !!

من صباحية ربنا.. بعد الفجر علطول.. والدنيا لا هي نـور ولا هـي ضلمة.. ولا هي حر ولا هي ساقعة.. تلك الفترة التي لا يصلح فيها أي شيء غير النوم.. والنوم العميق.. نستيقظ من أحلاها نومـة ونصحـي العيال.. ولا بد بالطبع أن نمارس نوعا من الإرهاب العـائلي.. فتصـرخ الأم في ابنتها.. بنت.. قومي.. ويصرخ الأب في عبده.. عذرا ابنه.. قوم يا ولد.. تقوم أطفالنا كالفيران المسلوخة مذعوريـن.. وفي هـذه اللحظـة.. يكره الأطفال آباءهم وأنا في الحقيقة أتفق معهم في ذلك.. وتنهال على العيال المساكين الأوامر العسكرية.. افطر يا نادر قبل مـا تـنزل.. خـدي ساندوتش معاكي يا ندى.. أسامة فين الزمزمية.. ثم تلتقـط الأم ابنتـها التي تشبه البلية وتضعها على حجرها.. لا حنان ولا ست الحبـايب يـا حبيبة.. انسوا الكلام ده.. تمسـك الأم الإرهابيـة مشـطا ضيـق السـنون وتمسك البنت من شعرها.. وتظل تنحت في رأس المسـكينة.. اتعـدلي.. غلبتيني.. أوف.. أقفي بأه.. بعد هـذا الفـاصل اللطيـف مـن التعذيـب

والسادية.. ياللا انزلوا علشان تستنوا الباص.. وتتدحرج العيال على السلالم مثل كرات الشراب.. يقفون أمام البيت لا حول لهم ولا قوة تروح الشبورة ويبدأ الزمهرير يلسعهم البرد.. وتتشقق وجوههم من عصف الرياح.. ويطيرون أحيانا.. آه والله.. رأيت طفلا طائرا ذات مرة وأنا عائد إلى المنزل بعد الفجر.. ويأتي الباص.. أنظر إلى الأطفال وهم يطلعون إلى الباص.. روحهم في مناخيرهم.. ومش طايقين حد.. ولا بسمة ولا طفولة ولا أي شيء.. كأنهم يطلعون إلى البوكس وليس الباص.. اطمأنت الأم أن العيال طلعوا الباص.. تتنفس الصعداء فقد أتمت مهمتها بنجاح تدخل إلى البيت الرايق الخالي من زعيقهم وعياطهم وشقاوتهم.. ترمرم في بقايا أكل العيال.. ثم تأخذ لها تعسيلة حلوة كده لحد الظهر.. خلصنا من الأم.. نعود للعيال.. مدارسهم كلها صارت حروفا أجنبية.. B.B.C أو F.B.I أو L.GG ويتكلف الطفل الواحد خمسة آلاف دولار في السنة مما يجعل الأب والأم مستفزين منه بلا سبب ويحملونه وحده المسئولية عن هذا العبء السنوي.. وها قد وصل الباص إلى المعتقل (المدرسة يعني) يقول نادر لزميلته.. لماذا لا تقع المدرسة مثلما وقعت عمارة مصر الجديدة ونستريح.. ينزل المساجين (أولادنا) ويصطفون في صفوف وتبدأ الحصص.. ولا أدري كيف يتحمل هذا الرأس الصغير (الماث) ويعدين (الساينس) وبعده كده (جومتري) ومعلومات في غاية الصعوبة والتعقيد وأنا حينما كنت

في سنهم صفق لي أبي وحملني بين ذراعيه حينما تجرأت وقلت.. بابا.. هكذا مرة واحدة.. وأكد أبي لأصدقائه أنني مشروع نابغة عبقري.. وبخرتني أمي من أعين الحساد.. أما أطفالنا في هذه الأيام، إذا قال لك أحدهم أنه يختلف مع تي إس إليوت في نقده لرواية هاملت لشكسبير.. فكل ما ستفعله أنك ستقول له والماث عامل فيه إيه.. ويستمر الطفل طيلة اليوم.. تتلقفه ميس جانيت وتلقي به لميس ميريهان.. وفي الفسحة أو البريك يعني.. معلش على قد علامي.. لازم الكومبيوتر.. وينطقونها هكذا كومبيوتشر.. فالطفل في أوروبا واليابان.. يصمم برامج.. ويعمل الأعاجيب.. بعد بريك الكومبيوتشر.. لعبنا بقى وانبسطنا.. نخش على الساينس.. هكذا حتى تغيب الشمس.. ويركب المساجين الباص برضه.. بعد الغروب علطول. والدنيا لا هي نور ولا هي ضلمة ولا هي حر ولا هي ساقعة.. والعيال مفرهدين.. وكارهين الحياة.. تستقبلهم الأم المرتاحة طول اليوم.. قائلة: ياختي كميل ياختي لوحتي المدرسة.. ياختي طعم.. وهنا أحب أن أنبه الأمهات أن تدليلهن لأطفالهن في هذه اللحظة بالذات من الأشياء التي أدت إلى تنمية روح الانتقام داخل الطفل المصري.. ويرفع الأب عينيه من علي الجريدة.. ويلتفت لابنه ويضع يده الكبيرة على قفا ابنه في إعزاز وفخر.. ويقول بلهجة أبوية تفقع المرارة.. هه أخدت إيه يا رامي في المدرسة.. ورامي لا يستطيع أن ينطق.. رامي يقول فيما بينه

وبين نفسه أخ لو كان المسدس الذي في جيبي ليس مسدس ميه!! سيادة الأب الرايق والأم اللطيفة يريدان أن يراجعا دروس الأولاد قبل النوم.. ولكن هيهات ينام الأطفال قبل خلع ملابس المدرسة.. ينامون وقوفا.. وتصرخ الأم التي صارت لا تعرف تتكلم إلا هكذا إيه مش ح تتعشوا كمان.. وينظر لها الطفل مثل سحلية زنقتها قطة في ركن.. وعيناه البريئتان تقولان مش عاوز أكلكوا ولا شربكوا.. ارحموني بأه.. والحقيقة أن الطفل الياباني والطفل الأوروبي هما السبب.. وهما أس المشكلة ولكن يا أيها الأب العزيز الذي تريد أن يصبح ابنك طفلا أوروبيا لماذا لا تريد أن تصبح زوجتك زوجة أوروبية هي الأخرى؟! وبعدين احنا مالنا ومالهم.. دول أطفال غلسين.. ومعندهمش خفة دم عيالنا... صدقوني..حرام.. الواد يقعد بره البيت ١٢ ساعة في اليوم.. أعلم أن أبا أنيقا يقرا المقال ويقول.. ليه يا سيدي.. ما فيه الويك إند.. بناخد الأولاد.. نروح كريزي ووتر.. نعمل برجولا.. نروح عجمي!! ويك إند إيه بس؟! هل دخل أطفالنا الكلية الحربية وبنديهم تصريح ٤٨ خميس وجمعة يعني لكي يرفهوا عن أنفسهم وأنا مش عارف.. عادت يا أعزائي سياسة التعليم الإرهابي التي كانت في بداية هذا القرن.. وإن اختلف الأسلوب.. فكان أبي يحكي لي أنه كان يجلس هو وزملاؤه تحت العمود في الكتاب.. وكان الشيخ يلقنهم الدرس ويحفظهم القرآن بالفلكة.. وبالحرمان من الوجبات وكان الصبي الذي لم يبلغ

التاسعة بعد يلبس الجبة والقفطان والكاكولا.. وهـي بالمناسـبة ليسـت لها أي علاقة بالمياه الغازية إياها.. وكانت المذاكرة زمان تعتمد على هـز الرأس والتفقير.. ومع ذلك لم يطلع الأولاد صيع ولا حاجة.. بـل طلـع منهم طه حسين والعقاد.. ولم يتخلفوا عن ركب الحضارة برغم أنـهم لم يلحقوا بالكومبيوتشر!! ارحموا أولادنا أبوس ايديكوا أنا لسـت أبـا ولم أنجب بعد ولكنني لا أعلم لماذا كلما رأيت طفلا واقفـا في الصبـاح الباكر في انتظار الباص.. أود أن أقول له بمنتهي التأثر.. تحـالى لحمـو يـا حبيبي.. تحالى لحمو.

بنتك تقيلة يا هانم

في مدينة (ضحكانيا) العملة المتداولة بين الناس هي الضحـك.. لا قيمة للفلوس.. الضحك هو الفلـوس.. والنكـد في ضحكانيـا جريـمة يعاقب عليها القانون.. ويساق المتهمون إلى قاعة المحكمة حيث القـاضي بشـوش الوجـه.. وعضـوي اليمـين والشـمال منفجـران فـى ضحـك متواصل.. أما المحامي فلا يستطيع أن يمسك نفسه.. ولمـا أصـر المتـهمون على موقفهم وضربـوا بـوز في وجـه القـاضي حكـم عليـهم بـأقصى العقوبة علقوا من أقدامهم في سـاحة العـدل.. وانـهال عليـهم جنـود ضحكانيا العسل ليس بالسياط.. وإنما بالزغزغة.. ومن يضحك منـهم يخرج في نصف المدة.

وإذا شاورت لتاكسي في شوارع ضحكانيا.. يجب أن تكون مبتسما.. لأن السائق سيقف فورا وهو يضحك ويقول لك.. هأ هأ.. على فين يـا قمر.. وسترد عليه ضاحكـا هـأ هـأ.. اللـي تشـوفه وسـينفجر السـائق ضاحكا.. ويقول لك حلوة.. اركب.. وسيكسر العداد.. وهنا ستبدأ أنت

في دفع الأجرة.. ليست نقودا وإنما نكاتا.. اسمع دي.. بيقولك مرة واحد.. والسائق يضحك ويخبط على التابلوه.. الله.. قولها تـاني.. قولهـا تـاني.. وربما قاطعك السائق وهو يدخل محطة البنزين قائلا: ثانية واحدة بـس يخرب عقلك.. (ضاحكا) ح نموت.. سـقول لـه عـامل البنزينـة المبتـهج.. تأخد قد ايه يا أسطى سيرد السـائق: أنـا معايـا عشـرين نكتـة جـداد.. تسمع.. يقول العامل.. قول.. ويبدأ السائق في إلقاء نكاتـه علـى عـامل البنزينة وإذا لم يكن معه ما يكمل سيميل عليك ويقول لك.. بقول إيه يابيه.. ألاقيش معاك نكتتين ثلاثة فكة؟؟

وسيكون العريس اللقطة هو أخف العرسان دمـا.. وهـذا معنـاه في ضحكانيا إنه جاهز ومستقبله مضمون.. أما العريس ثقيل الدم بعـض الشيء فغالبا ما يشار إليه على أنه لسه بيكون نفسه، وفي ضحكانيا لا تعرض السينما إلا أفلاما كوميدية والمسارح لا تعـرض إلا مسـرحيات كوميدية ولا يوجد في ضحكانيا تليفزيون.. ولا نقاد.. ولا مسلسلات .

أمـا ممثلـو الكوميديـا في ضحكانيـا فيعـــاملون معاملـــة الزعمـاء ويحصلون على وسام البطولة من الدرجة الأولى وتنصب لهم تماثيل في الميادين الهامة.. ميدان إسماعيل يس.. ميدان عبد السلام النابلسـي.. وإذا أحببت أن تختصر المسافة بين الميدانين.. فقط ادخـل مـن شـارع وحيـد سيف ثم خد يمينك على حارة المنتصر بالله.. تكون قد وصلت.

وسيعترف الأب وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.. لابنه الوحيد أنه تــرك له ثروة طائلة من مسرحيات موليير وبرناردشــو.. وتـرك في شــكمجية تحت السرير شرائط لا حصـر لهـا مـن مسـرحيات مدرسـة المشـاغبين وشاهد ما شافش حاجة والعيال كبرت وريا وسكينة، وأكـثر مـن مائـة ألف نكتة في شتى الموضوعات.. ليبدأ حياتــه بــهذه الـثروة.. وقبـل أن يسلم الروح سيصر الأب أن يقول (الإفيه) الأخير في حياته.. يا بني أنا ما ابقاش أبوك.. أنا أمك وينفجران في الضحك وستدخل النساء ولن تفقع بالصوات وإنما بالزغاريد فقـد مـات الرجـل علـى فراشـه وهـو يضحك وقف قلبه من شدة الضحك أحلى موتة!!

والمكتئبون في ضحكانيا ليسوا متهمين وإنما مرضى .. يعالجون علـى نفقة الدولة.. يذهب إليهم متخصصون في الإضحاك ليتـابعوا الحالـة.. ويكتب الطبيب في الروشتة.. مسرحية لعـادل إمـام.. وفيلـم لإسمـاعيل ياسين، وإذا كان طفلا يكتب له توم وجيري ثلاث مـرات بعـد الأكـل أمـا الميئـوس مـن حالتـهم فيتـم نفيـهم إلى(نكدانيـا) والأغـاني في ضحكانيا ستكون كلها فرفشة وبهجة.. طالمـا أن النشـيد القومـي هـو اضحـك كركـر أوعـى تفكـر.. فـإذا أردت أن تنبسـط اسمـع أغـاني ضحكانيا.. لا لوعة ولا هجر ولا دموع.. فإذا فارقت الحبيبة.. لن تغـني.. وإن روحت مرة تزور عش الهواء المهجور سلم على قلبي.. وإنما ستغني ما معناه ربنا يوفقها كانت دمها خفيف برضه.

أما النساء في ضحكانيا.. فربنا يوعدك ويكون من حظك ومن نصيبك.. متعة!! يأتي الزوج في الثالثة عصرا من عمله.. ليس مكشرا ولا شايل طاجن سته.. مبسوط ومروق.. يعني هو كان بيعمل إيه في الشغل؟! كان بيهزر.. تستقبله الزوجة بابتسامة ساحرة وهي تضع يدها على قلبها فهو قد أتى لها بنكات من الشغل، وهي ستحكي له عن مفارقات العيال.. وتصبح مسخرة. وأطفال ضحكانيا.. أطفال مثاليون.. لا تسمع لهم زنا أو علة من التي تعرفونها.. أعرف طفلا لأحد أصدقائي.. ظل يبكي من سن الثالثة حتى التاسعة بلا انقطاع واد غتت غتاتة.. تراجيدي بطبعه.. إذا أكل بكى وإذا شرب بكى وإذا أحضرت له لعبة أمسكها بيده مثل أمينة رزق وتنزل الدموع من عينيه.. وقف أبوه ذات مرة أمام سوبر ماركت ونزلت الأم لتشتري بعض الأشياء.. وإذا بالطفل ينفجر في البكاء.. وضاق الأب وقال: بتعيط ليه ياله.. حصل إيه دلوقت.. قال الطفل التراجيدي باكيا: ماما.. راحت فين دلوقت؟؟ وثار الأب.. ما هي لسه داخلة قدامك السوبر ماركت ياله.. وينهار الطفل ماما مش حتيجي تاني.. وصرخ الأب.. إنت بتفول على أمك ياله؟؟!

أطفال ضحكانيا حاجة تانية خالص.. أذكياء .. لماحون.. وأشقياء أيضا.. مثل الولد بتاع فيلم (وحدي في المنزل) .

أما الزواج في ضحكانيا.. فلا يختلف كثيرا عن الـزواج في أي بلـد التزامات ومطالب ومواويل برضه.. ولكن تختلف النوعية.. وقد حدث إن ذهب عريـس لقطـة ليخطـب واحـدة في ضحكانيـا وأحضـر معـه شهاداته التي تثبت أنه سجل أرقاما قياسية في إضحـاك النـاس ورسـم البسمة على الشفاه.. وبمجرد أن دخل.. وقابل الأب.. أمطره بسيل مـن النكات عن الأبوة.. والأب بأه.. جيبه من الأرض من الضحك ويقـول الأب.. ما شاء الله.. ربنا يزيدك يا ابـني ودخلـت أم العروسـة مبتهجـة.. وقالت له مسـاء الضحـك يـا بـني.. ربنـا يزيـدك يـا ابـني ودخلـت أم العروسة مبتهجة.. وقالت له مسـاء الضحـك يـا بـني.. قـال لهـا مسـاء الكوميديا يا نينا.. قالت له تشرب إيه يا حبيبي.. قال العريس اللقطــة.. بمناسبة الشرب بأه.. بيقولك مرة واحد.. وحكـى نكتـة عـن الشـرب.. والأم بأه.. جيبها من تحت الكرســي وتقـول: والله يـا بـني مالـه لازمـة التعب ده.. لا شك أن الزيجة سـتتم فـأين يجـدون مثـل هـذا العريـس المسـخرة.. (ومسـخرة كلمـة ليسـت عيـب في ضحكانيـــا) ودخلــت العروس.. ولكن ما إن تكلمت.. فإذا بسماجة وغتاتة ليس لهـا مثيـل.. والغريب أنها جريئة في إلقاء النكات الرذيلـــة.. مفيـش دم يعـني والأم تعتقد أن بنتها قطعة سكر.. وبدأ العريس اللقطة يتوتر.. ولسان عقلـه يقول: آه.. ستبدأ الخنقة.. ولما لم يجد مفـرا قـام في أدب وقـال لـلأم.. أنـا آسف جدا.. بنتك تقيلة يا هانم.

كيف تتكلم مع زوجتك ؟

عندما ترى رجلا يفتح باب سيارته لزوجته فثق أن إحداهما جديدة السيارة أو الزوجة . بدايات الزواج مثل بدايات التعامل مع سيارة جديدة.. تركنها بحرص. لا تريد أن تخدشها.. تلمعها يوميا.. هذا الاهتمام المبالغ فيه الذي أحب أن أسميه (الاحتفاء) ثم بعد ذلك تبدأ مشاكلها بأه..

أنا هنا لا أتكلم عن السيارة.. وإنما عن الزوجة حيث تبدأ مشاكل الحياة اليومية والاختلافات الطبيعية بينها وبين زوجها في الظهور.. وهذا شيء طبيعي جدا فأنت تختلف مع نفسك شخصيا ولكن كلما التقى الزوج والزوجة وحدهما.. أصبح عدد الحاضرين على الفور ستة أشخاص فهي كما ترى نفسها وهو كما يرى نفسه آدي اتنين، وكل منهما كما يرى الآخر آدي أربعة.. ثم كل منهما بأه على حقيقته.. هكذا وصلنا إلى ستة.. لا أحب أن أضيف هو كما تراه أمها.. وهي كما تراها أمه.. حتى لا يزدحم المكان أكثر من ذلك.. وأكبر مشكلة تواجه الزواج هي فن الحديث.. ولو ارتفع مستواه بينهما قليلا لانخفض

معدل المواليد في البلاد بصورة مذهلة.. فلا هـو يريـد أن يتكلـم معـها ولا هي تريد أن تتكلم معه.. فماذا يفعلان؟ يسـاهمان في زيـادة تعـداد السكان.. وتعطيل مسيرة التنمية الـتي تـؤدي إلى التضخـم.. ثـم أزمـة السيولة.. هل علمتم السبب الذي وراء كل هـذا.. فـن الحديـث بـين الزوج والزوجة.. تجده متحدثا رائعا بين أصدقائه.. أما مـع زوجتـه.. يـا باي.. يا ساتر.. وما يحتاجه البيت يحرم على الجامع.. وما تحتاجه السـيارة يحرم على البيت..

اوعى تخليها عاوزة حاجة.. مساعدين.. هات.. فانوس!! ما تستناش.. وكذلك فيما يختص بالزوجة.. فالهدايا تنعش الحياة الزوجية.. كـان زوج نجمة الإغراء جينا لولو برجيدا يؤمن أنه تزوج أجمل امرأة في العالم وأن طلباتها كلها أوامر.. طلبت منه أن يشتري لها ملابـس الفيلـم الجديـد وجاءت الفاتورة ووجدها قد اشترت ٢٥ ثوبا رائعا ترتديها في الفيلـم.. ودفع الرجل بكل سخاء وعن طيب خاطر.. العجيب.. أن اسم الفيلـم كان (سيري عارية في الدنيا).. والمرأة تحب أن توحي لزوجـها دائمـا أن طلباتها ليست لها.. دائما هي مجبرة عليها.. فهذه زوجة قـالت لزوجـها.. الدكتور قال لي لازم تغيري جو.. فـهتف زوجـها صائحـا.. أنـت بنـت حلال.. لسه سامع النشرة الجوية.. والجو ح يتغير من بكرة !!

وهكذا فإن فن الحديث وروعة الحوار بين الزوج والزوجة بالإضافة إلى فوائده النفسية والعاطفية.. له فوائد اقتصادية رائعة.. فمـا أجمـل أن تجلس مع زوجتك وتقول لها.. يا سلام يـا حبيبـتي.. يـا سـلام لـو ربنـا

إداني.. أول حاجة ح أجيبلك عربية جديدة.. وهدومك كلها من باريس.. وآخدك أنت والعيال ونروح نصيف في روما.. هنا ترد الزوجة.. ده كتير يا حبيبي احنا مش عاوزين نكلفك.. فيرد الزوج عليها.. خلي العيال تنبسط.. يا شيخة ما دام ربنا فاتحها علينا.. نزنق على نفسنا ليه؟ ما أجمل هذا المشهد.. ولذا كن مليونيرا في وعودك.. وفي أحلامك.. وفي كلامك.. إن هذا يعوض كثيرا جدا من النقص الذي ليس لك يد فيه.

وقد جاء صديق من الخارج بعد عشرين سنة غربة.. واسمه فريد الشنيطي.. قال لي إنه لا يعرف أحدا من أقاربه وقد أتى ليبحث عنهم.. وأخذ يكلم كل من ينتهي اسمه بالشنيطي من دليل التليفونات.. وكان يسأل كلا منهم.. هل أنتو قرايب الشنيطي؟! من أي فرع؟! أنا فريد الشنيطي.. ونفسي.. وفي كل مرة كان المتحدث يرد بفظاظة.. لأ.. ما نعرفش حد بالاسم ده.. أكيد شنيطي تاني.. ولما يئس فريد الشنيطي من أن يجد أحدا من أقاربه.. أعاد المحاولة من جديد ولكنه قال.. أنا المليونير فريد الشنيطي.. وطبعا طلعت البلد كلها قرايبه..

إن فن الحديث والقدرة على استقطاب الآخرين.. هو المفتاح السري الذي يفتح القلوب والعقول .

فهذا زوج كان يحرص دائما على أن يقضي مع زوجته ساعة كل يوم.. ليبث لها مشاعره ويغرق أذنيها بأجمل الكلام وكان ينتفض من وسطنا فجأة وهو ينظر في ساعته.. ميعاد مراتي وكأنه عنده برنامج على

الهواء وكنت أسمي هذه الجلسة الزوجية الرائعة (مساء الخير يا مراتي).. إلى أن كان جالسا معها ذات يوم في موعد البرنامج العائلي اليومي وإذا بسيل المشاعر والعواطف ينقطع.. بأهم الأنباء.. إذ أنها فجأة طلبت منه الطلاق.. والآن هو لا يزال يأتي إلينا.. وقد تغير تماما.. صار عنيفا في أسلوب في النقاش معنا.. مما جعلنا نطلق عليه.. الاتجاه المعاكس.. وقد ظهرت عليه أعراض الكتابة مثل كل البائسين.. واختطفت منه ورقة كان يدون فيها بعض خواطره كتب فيها.. منذ أعوام طويلة لم يكن سواها يرافقني.. في بداياتي كنت أعمل في الإسماعيلية وكانت دائما معي رايحة جاية.. ترافقني فى كل لحظة وتساعدني أن أحصل على عمل حتى استطعت أن أشتري شقة.. كانت خير معين لي ليلة الزفاف.. وفي يوم الفرح.. ويوم ولدت ابنتي تحملت الكثير.. لا لم تكن مجرد صديقة أو رفيقة مشوار.. إنها أكثر من كل ذلك ثم أنهى خواطره البديعة.. بجملة رائعة.. أنا أكلمكم.. عن.. سيارتي!!!

القصاصة لا تزال في جيبي

يا جماعة.. كم قلت لكم لا تعرفوا زوجاتكم ببعضهم البعض.. كم نصحتكم أن توقعوا بينهن.. كم أكدت عليكم أن اجتماعهن واتفاقهن عليكم من شأنه أن يؤدي إلى نتائج خطيرة.. العلاقة الزوجية كالسياسة يجب أن تحكمها المصالح الكبرى.. وما أن يجتمع الأزواج والزوجات في سهرة ودية.. حتى ينقسم المجلس قسمين الزوجات يتهامسن في ركن.. والرجال يضحكون في مكان آخر.. هنا قلت لرفاقي من الأزواج.. يا إخواني بمجرد ما تنتهي الجلسة.. كل واحد منكم يأخذ زوجته ويقول لها إنها كانت أجمل من في الجلسة.. وإنهن جميعا كن يغرن منها ويحقدن عليها.. وأنه لا يحبذ الاختلاط معهن.. إن هذا مثل سكب الماء على النار المشتعلة.. إن كل منهن الآن تتفاخر على الأخرى وتقول لها إن زوجها جاب لها كذا وكذا.. حتى على سبيل الكذب والتظاهر ولكنها برغم يقينها أنها تكذب ستصدقها الأخرى التي تكذب برضه.. وستأتي بعد ذلك زوجة كل واحد منكم لتلومه وتعنفه وتحيل حياته جحيما لأنه يوفر لها الحياة التي تعيشها الأخريات..

وانتهت الجلسة وقبلت كل منهن الأخرى بحرارة مبالغ فيها وقالت.. ابأى كلميني.. هه.. وغمزت لها الأخرى وقالت طبعا ده أنا ح أدوشك.. وقال لي أحد الأزواج.. ح نشوفك بأه يا جو.. فقلت له في اقتضاب أما أشوف.. وفي المساء حدث ما توقعت بالضبط.. وكأني مكشوف عني الجواز.. كنا أربعة أزواج وأربع زوجات.. وكانت ليلتها أربع خناقات عائلية عظمى.. وقد علمنا بعد ذلك من تامر ابن أحد الأزواج وهو طفل في السادسة من عمره يرسله أبوه في مهام استطلاعية حيث زوجته وصديقاتها. ليعرف فيم يتكلمن، وكان التقرير الذي أتى به الطفل أنهن اتفقن على أن يدفعن أزواجهن. اللي هما أحنا – على أن يصرفوا عليهن ببذخ ويشتروا لهن ما خف حمله وغلا ثمنه.. هنا فقط فهمت حكاية الخاتم السوليتر الذي طالبتني به زوجتي من غير مناسبة ليلتها إلى أن جاء ذلك اليوم الذي وجدت زوجتي تصرخ فيا مهددة.. عارف لو عرفت البني آدم اللي اسمه حلمي ده تاني مش ح يحصل كويس.. نهى مراته لسه قافلة معايا.. البيه بيعرف عليها.. ماشي مع واحدة تانية!! هنا وبافتعال شديد خبطت يدي على صدري وقلت لها.. حلمي عمل كده.. أعوذ بالله.. لا يمكن.. أنا مش مصدق.. وللحق.. لا أعلم لماذا سعدت بالخبر.. ربما لأنه سيعزز موقفي كزوج مخلص بالمقارنة مع حلمي السافل.. الشيء الثاني أنني أعلم أن حلمي خجول ويغرق في شبر ميه فتملكني فضول كبير أن أعرف من حلمي كيف

استطاع أن يخون زوجته.. وقلت لزوجتي.. أنا لا يمكن أعـرف البـني آدم ده بعد كله.. أنا لو شفته في الشارع ح أتف في وشه وبعد ربـع سـاعة كنت مع حلمي.. ايه ياد يا حلمي.. ده أنت طلعت سهن.. ايـه الحكايـة ما تقول.. قال في أسى.. وديني وأيماني يا شيخ ما عرفت واحدة تانية.. أنا بريء.. إنما كل الأدلة ضدي قلت له إزاي يا حلمي.. قال.. أنـت عـارف يومين الهواء اللي فاتوا دول كانوا شـداد شـوية وأنـا قـاعدفي المكتـب الولد الفراش لقيته داخل عليه وفي ايده.. وبلع ريقه ثم قـال.. في ايـده ده.. وإذا به يخرج قطعة ملابس داخلية سوداء حريمي.. الظاهر طـار مـن على الحبل وساب الشـقق كلـها اللـي في العمـارة علشـان يجـي لحـد عندي.. أعمل ايه.. بعت الواد الفراش يسأل عند الجيران.. كل ما يخبط على حد.. يقول لهم ده بتاعكو؟! يشتموه ويقفلوا الباب في وشه محـدش عاوز يعترف بيه.. ما هي مسألة محرجة برضـه.. فكـرت أرميـه.. خفـت أصحابه ييجوا يسألوا عليه.. أقول لك الحق صعـب عليـا قلـت خليـه مفيش يومين وربنا كرمني ببيجاما كستور مقاس أطفال.. لقيتـها داخلـة عليا من الشباك وشوية ولقيتها قدامي.. قلت له.. صاحبة (الأندروير).. قال لا مراتي.. هـي.. بصـت للبيجامـا وهيـه في ايـدي وقـالت لي ايـه الليجاب البيجاما دى في المكتب أكيد بتاعة حد مـن الجـيران.. بتبـص جنبها لقت البلوة السوداء اللي عندي.. وعـاديك علـى اللـي عملتـه.. كأنها ظبطتني مع واحدة.. لمت عليا العمارة كلـها.. اللـي غـايظني إنـها

مصدقة إن البيجاما الكستور طارت من على الحبل ومش مصدقة إن البتاع ده طار راخر من على الحبل.. اعمل ايه دلوقت؟ قلت له يا حلمي أنت لن تفعل شيئا.. فأنا أعلم ان اجتماع قمة منعقد الآن عندك في البيت بين الزوجات ليقررن مصيرك.. ثم إن القانون لا يحمي المغفلين يا حلمي.. يعني لو حد اداك حتة حشيش واتمسكت بيها.. ح تقول للبوليس أنا عمري ما شربت حشيش إن ما تم ضبطه عندك يا صديقي قضية مضمونة.. ولا أرى لك أي بارقة أمل.. سوى.. فقام حلمي حينما قلت سوى.. كأنه غريق يتعلق بقشة وقال متشبثا بملابسي.. أيوه.. سوى أيه.. قلت له أن تبحث عن صاحبة الدليل وتجعلها تعترف أمام زوجتك بأنها صاحبته وأنه وصل إليك طائرا من تلقاء نفسه في عاصفة هوائية لم يكن لك يد فيها.. بعد أن كان منشورا على الحبل قال حلمي يائسا.. كيف يمكن أن أجد هذه المرأة.. وإذا وجدتها فهل ستعترف بهذا.. أشك في ذلك.. الموضوع معقد جدا.. وفجأة نظر نحوي نظرة كلها استجداء.. وحب.. وقال حبيبي جو.. أنت الذي ستنقذني من هذا الموضوع.. قلت له غاضبا.. ابعد عني.. أنا لا يمكن اعترف بأن هذا البتاع يخصني احترم نفسك. قال.. لا يا صديقي.. أنا أطلب منك أن تنشر هذا الموضوع ربما تحرك قلب صاحبة الرداء الأسود فتتدخل وتنقذ البيت من الخراب.. قلت له مفكرا.. لا أدري ربما كان ممنوعا من النشر.. وربما بعد نشره يغير مساره هو الآخر

ويدخل إلى بيتي أنا يلحلمي.. دعني أفكر.. وأخيرا كانت القرارات الـتي اتخـذت في اجتمـاع القمـة لزوجاتنـا.. ضـرورة تفتيـش كـل ملابسـنا ومكاتبنا وأوراقنا بشكل دوري وأخــيرا وجـدت هـذه القصاصـة مـن إحدى الصحف تقول: إن المحكمة حكمت لزوج بالطلاق مـن زوجتـه وأعفته من جميع المصاريف لأنه أثبت أنها كانت تفتش في جيوبه.. وقد سألني أحدهم وماذا ستفعل بهذه القصاصة؟.. فأجبته على الفور..

سأضعها في جيبي.. وحتى سـاعة كتابـة هـذا المقـال.. والقصاصـة لا تزال في جيبي.

للرجال فقط

عـــزيزتى الــمـــرأة ..

نصيبك من الكتاب.. انتهى عند هذا الحـــد.. والجـــزء البسيط المتبقى .. للرجـــال فقط.. غير مسمـــــوح للجنس اللطيف بقراءته..

أقول هذا.. وأنا أعلم أن ٩٩ ٪ من قارئاتي الأعزاء لن يفعلن ذلك.. وسيقرأن الجزء الرجالي رغم التحذير .

أما الـــ ١ ٪ من قارئاتى فلن يقرأن ..

ســوى هـــذا الجـزء فقـــط ..

يوسف معاطى

لأنني ذكر !!

الشرع يقول إن الذكر له مثل حظ الأنثيين فلو كان أبي قد ترك لي إرثا (وهو لم يترك طبعا) لورثت ضعف ما ترثه أي من شقيقاتي وللحق كنت سعيدا طول حياتي برغم علمي أن أبي لن يترك أي شيء.. ولا يرجع هذا إلى بخله لا سمح الله .

أو تبذيره أعوذ بالله .

وإنما إلى ظروفه لا حول ولا قوة إلا بالله ..

وفي اعتقادي أن حصول الذكر على حظ أنثيين منتهى العدل والله.. فلا شك أن الأنثى التي سأتزوجها ستكمل نصف إرثها الذي ورثته من أبيها معتمدة على الضعف اللي أنا فرحان بيه ده وهنا ستكون الوارثة بالحيا.. والذكر عنده مصاريف أكثر بكثير من مصاريف الأنثى ربما لأن مصاريف الذكر كلها ينفقها على الأنثى فأنت حينما تجلس في مكان أنت وأنثى رقيقة يصبح أمرا لا مفر منه أنك أنت الذي تحاسب.. يأتي الجرسون بالفاتورة ويتجه نحوك مباشرة بدون أن يسأل أو

يستفسر حتى.. يضعها أمامك أنت هكذا.. بكل رزالة.. وهي -الأنثى- في الطناش الجامد قوي.. لماذا.. لأنك ذكر..

وإذا ركبت بجوارها في السيارة وهي اللي سايقة ودخلتوا على محطة بنزين.. يلف لك عامل المحطة الشرير ويقولك أربعين جنيه.. لماذا.. إنها هي التي تمون.. أنا مالي!! أوه.. تذكرت.. لأنني ذكر..

وعليه فتظل تدفع ثمن ذكورتك المزعومة هذه طول حياتك بينما تظل هي (الأنثى يعني) تقبض منك ثمن أنوثتها.. فأنت يا عزيزي مثل الحساب الجاري فإذا لم يجر حسابك بالسرعة المناسبة ستحول صاحبتك حسابها إلى بنك آخر.. ونحن على ما يبدو أكثر من الهم على القلب..

وتعتقد الأنثى أن مصروفاتها الشخصية كلها من أجلك أنت فهي تشتري الفساتين الجميلة والبوديهات والاسترتشات عشان خاطرك.. وتذهب إلى الكوافير لتتجمل علشانك.. ادفع بقى..

أما مشوارك السخيف (الشخصي) للحلاق فهي مسألة تخصك فأنت تحلق لنفسك لا تحلق لها هي.. طالما أنها هي بتحلق لك علطول.

والأنثى تحصل على الفلوس بطريقة أسهل بكثير من الذكر فمازالت أذكر صديقي كمال حينما كان ينوي الاقتراض مني.. يبدأ بمقدمة طويلة عظيمة عن التدهور الاقتصادي الذي يهدد الوطن العربي.. ثم يكلمني عن مشكلة البطالة في مصر.. ثم تكامل السوق الأوربية المشتركة وبعدها يشير إلى أن فيه فلوس جاياله قريب من

البلد ثم يقول إنها زنقة وح تعدي.. وقبل أن يصل إلى مرحلة هنيـالك يا فاعل الخير والثواب يقول في استحياء إنه يتمنى مـن كـل قلبـه لـو حقق الله له أمنيته بأن تنتقل عشرة جنيهات عمي.. من جيـبي إلى جيبـه لو أمكن.. هذا هو صديقي الذكر الطيب..

أما صديقتي الأنثى فهي لا تعمل مقدمات.. فقط ترفع السماعة ثـم بصوت أنثوي ساحر.. ابعت لي ألف جنيه.. وتضع السماعة.

وأتساءل في غيظ.. بأي حق!! هل هي ماسكة عليا زلـة وإلا حاجـة.. طيب مش باعت ألف زفت.. ستلوي بوزهـا.. لتلويـه.. سـأذهب إليـها وأواجهها سأقول لها أنا معيش فلوس.. عاجبها عاجبها.. مش عاجبها إن شالله ما عجبها.

في البيت عندها.. جلست.. وقد جهزت الكلام خرجت لتسـتقبلني في غلالة رقيقة.. كانت تأخذ حماما.. وجهها المضيء المغسول.. أغاظني..

بشرتها الناعمة الملساء.. فرستني..

ابتسامتها الرائعة.. استفزتني..

قالت لي وهي تضع طلاء الأظافر بحرص.. جبت الفلـوس؟!!! هـذا بقى استفزني أكثر وأكثر.. فقمت من مكاني صارخا غاضبـا وتقدمـت نحوها.. و.. و.. أعطيتها الفلوس ببساطة شديدة.. لأني ذكر..

على أحد الشواطئ البديعة في إيطاليا.. جلس الملك فاروق ليضع تشكيل الوزارة الجديدة.. وبجواره رئيس الديوان الملكي ظهرت من خلفه البلطية الرائعة كاميليا.. وقالت بدلال بلاش ده يافندينا.. فشطب على اسم أحد الوزراء.. هكذا ببساطة.. تغيرت وزارة.. في لحظة.. لماذا وافقها الملك فاروق.. لأنه ذكر..

ودوق وندسور.. ترك العرش.. ضحى بالسلطة.. وبالمجد.. لأنه أحب مغنية.. أنثى رائعة.. غيرت مجرى التاريخ.. وحتشبسوت.. تلك الملكة المصرية الساحرة.. التي اعتلت عرش مصر في الدولة الحديثة.. كيف تمكنت من ذلك .. أحبها قائد الجيش (سنموت) وهام بها.. فقدم لها العرش على صينية من ذهب وبعد أن أحكمت قبضتها على البلاد.. استاءت فجأة من هذا العاشق الولهان.. فسمته.. ويبدو أن الجدع كان قلبه حاسس.. حتى شوفوا اسمه (سنموت) ح يموت ح يموت يعني.. لماذا لقى حتفه بهذه الميتة الشنيعة.. لأنه إيه!!! ذكر..

وللأنثى حقوق كثيرة لم ينلها الرجل.. مثل حق العياط.. والنواح.. فإذا هجرتك الحبيبة.. إياك أن تبكي وتأوأ.. خليك راجل. أما هي تعيط زي ما هي عاوزة.. وزمان كانت أغاني أم كلثوم تمثل سرادق عزاء وحفلة تأبين تعيشها النساء. كل واحدة تبكي على جرحها هي.. كان الرجال أيامها ظلمة.. جبارين.. يا ساتر.. اليوم لم تعد الأنثى تبكي مع هذه الأغاني.. فأين الرجل الظالم الجبار الذي يعذبها ويوريها الأمرين ؟!

وتطالب الأنثى الذكر بأن يكون بالمسطرة.. مكتمل الصفات قوي كالثور.. غني كأوناسيس.. ذكي كأينشتين.. كريم مثل حاتم الطائي.. فارع الطول مثل سوبرمان. وكان من سوء حظ صديقي (القزعة) الذي كنا نطلق عليه بليه.. أن يقع في الحب ثلاث مرات ويفشل فيها جميعا.. حيث كان دائما يسيء الاختيار.. في الثلاث مرات كان طول أي منهن ضعف طوله بالضبط.. وكان دائما ما يفسر فشل علاقته بحبيبته الفارعة بقوله.. مقدرناش نوصل لبعض..

واستطاعت الأنثى.. أن تسطو على كل حروف الهجاء العربية فتجعلها مؤنثة.. إلا الألف.. حرف الألف.. هو الحرف المذكر الوحيد.. الباء مؤنثة.. والتاء مؤنثة.. وخد عندك حتى الياء .

ولذا فنحن نتكلم بحروف كلها حريمي.. وكل الأشياء من حولنا مؤنثة. السماء مؤنثة.. الأرض مؤنثة.. الشجرة والوردة.. الطبيعة نفسها مؤنثة ولذا فأنا أستهيف جدا هذا المثل الفرنسي الذي يقول فتش عن المرأة!! إنها لا تحتاج إلى تفتيش.. إنها أمامك وخلفك وكاتمة على نفسك ربما يعود المثل إلى أيام الملك شارلمان الذي كان له تسع زوجات.. خمس أساسي وأربع احتياطي.. وعليه فمن الطبيعي للملك محاط بتسعة زوجات أن يفتش عن المرأة وتبقى عينه في وسط رأسه.. لماذا يا أعزائي.. لأنه ذكر..

ولأننا ذكور ندفع نحن ثمن الشقة والمهر ونظل نكدح طـول العمـر من أجل راحتها.. لماذا.. لأنها أنثى..

وجاءت عليا لحظة شعرت أن ذكورتي هذه عاهة مسـتديمة وعلمـت لماذا عمل الأخ سيد اللئيم عمليـة ليتحـول بعدهـا مـن سـيد شـقيان ودايق المر إلى ســالي فاضيـة وقـاعدة في البيـت لا شـغلة ولا مشـغلة.. وفهمت لماذا يتحول كثير من الرجال إلى ســيدات بنسـبة كبـيرة بينمـا تنعدم النسبة بالعكس.. فلم نسمع عن امرأة تحولت إلى رجــل.. وإنمـا سمعنا عن امرأة عملت عملية.. لتتحول إلى امرأة جــدا.. امـرأة خـالص لتحصل على أكبر كم من المكاسب من الفقير لله الذي لم يفعل شـيئا وكل تهمته في الحياة.. أنه.. أنه.. صوته تخين شوية.

اعرف صاحبتها.. واقرصها في ركبتها

ألو مساء الخير.. أنا مايسة صاحبة ديدي.. هيه بتقولك إنها مش ح تعرف تكلمك علشان مزنوقة.. باباها قاعد جنب التليفون.. باي باي.. وفهمت الموقف طبعا لابد وأن ديدى كلمت مايسة لكي تكلمني.. ولكن كيف كلمت ديدي صديقتها مايسة في وجود بابا بجوار التليفون لابد وأنها استخدمت (السيم) الشفرة يعني.. ولا شك في أنها تكلمت عني بلهجة التأنيث أمام باباها المرابط جنب التليفون.. وبالتأكيد قالت لمايسة ياريت تكلميها وتقوليلها إني مش ح أقدر أجيب لها الكشكول في الميعاد. ومايسة فهمت الرسالة وأدت المهمة. والحقيقة أن دور مايسة في الحكاية استوقفني كثيرا.. دور صاحبة حبيبتك.. أو حلقة الوصل بينك وبين الجو بتاعك في الأيام العجاف التي يتعذر فيها الاتصال بالحبيبة.. وصاحبة الحبيبة تؤدي في العلاقة العاطفية خدمات مجانية جليلة لكلا الطرفين.. فهي تقوم أحيانا بدور ساعي البريد وتوصل الجوابات من هنا لهنا وبالعكس.. وتقوم أحيانا بدور مندوب السي إن إن في توصيل الأخبار ونقل الحالة التي عليها

الحبيب في غياب الحبيبة.. ولا أنسى يوم سألت كليوباترا وصيفتها شارميان.. شفتي أنطونيو.. قوليلي شكله إيه .. مبسوط زعلان (قلقان) ولا على باله؟! قوليلي.. ثم أضافت في عبقرية أنثوية: شارميان.. لو لقيتيه مبسوط ورايق وميت فل.. قوليله إن أنا عيانة وراقدة في السرير.. وإذا لقيتيه مهموم ومتضايق وطالع عين أمه.. قوليله إن أنا بارقص.. والفرحة مش سايعانى

وإذا كنت ممن يتعذبون في الحب فأنصحك ألا تشكو لصاحبة حبيبتك.. ليه؟!

أولا: لأنها تتلذذ وهي ترى رجلا يتألم في الحب وتتمنى لو رقع بالصوت الحياني كمان.. فهذا يطمئنها على أن الدنيا ما زالت بخير وأن سوق المرأة في الحب لا يزال رائجا.. وفي نفس الوقت هي تتشفى فيك من رجل هي عذبته وطلعت عينه ولم يقل آه.

ثانيا : إياك أن تأخذك الجلالة وتبعبع في لحظة غضب عن رأيك في حبيبتك لأن كل كلمة تقولها ستنقلها صديقة الحبيبة لها بالحرف.. ويمكن ربنا يقدرها كمان وتضيف لها جملتين من اللي قلبك يحبهم.. اللي هما يخلصوا ع الموضوع خالص وتذهب صديقة الحبيبة إليها بعد أن قابلتك.. لتجدها في انتظارها ومعها جروب من ثلاث أربع صديقات في انتظار النتيجة التي جابتها الصديقة من الكونترول

ويجلسن في فضول ليسمعن تفاصيل ما حدث بينك وبينها ليقـررن في أمرك وتنهال عليها الأسئلة.. كان شكله ايه لما قابلك.. كان حـالق دقنـه آه طبعا ولا هامه حاجة ثم يوجهن الكلام لحبيبتك لابس ورايق وانـتي قاعدة هنا بتهري وبتنكتي في روحـك.. والله العظيـم مـا فيـه راجـل في الدنيا يستاهل..

وإذا قالت لهن الصديقة.. لا والله.. ده حتى عمل حادثة بالعربية ترد إحداهن.. آه.. ما هو عينه زايغة تلاقيه كـان بيبصبـص لواحـدة ومـش دريان بروحه.

وقد أثبت لنا التاريخ أن الرجل لا يستطيع بمفـرده أن يواجـه امـرأة واحدة فما بالك إذا واجهها هي وصاحبتها والشلة أيضا.. قول عليه يـا رحمن يا رحيم هل تذكرون فيلم (الزوجة ١٣) حينما اجتمعـت النسـاء على الانتقام من رشـدي أباظـة لا أحـد بـالطبع ينسـى المرمطـة الـتي تعرض لها الرجل معهن.. والغريـب أن كلـهن كـن متبرعـات فحتـى الراقصة تركت الأفراح والنقطة التي وراءهـا وذهبـت مضحيـة بكـل ذلك لكي تشارك في العمل النبيل.

وقد تلعب صاحبة الحبيبة دورا أكـثر فعاليـة في المسـألة العاطفيـة.. فأحيانا إذا كـانت حبيبتـك تشـك فيـك. (وأقـول أحيانـا علـى سـبيل التفاؤل والأصح غالبا) تزق عليك صاحبتها لتضعك في اختبـار لـترى

إذا كنت ستقاوم أم ستنهار أمام أنوثتها الطاغية والاحصائية تقــول إن نتيجة هذا الاختبار في ٩٩ ٪ من الحـالات لم ينجـح أحـد.. أمـا الرجـل الوحيد الذي قاوم إغراء الصديقة ونجـح في اختبـار الشـك هـذا فقـد تعرض بعدها لاختبار آخر وهو الشك في رجولته.

وطبيعة عمل صديقة الحبيبة في المسـألة العاطفيـة تشـبه لحـد كبـير العمل في الجاسوسية.. فهي عميلة مجندة من طرف حبيبتك تزرعــها في حياتك فتسجل عليك كل كلمة وكل انفعاله وتنقلها لحبيبتك.. وهناك صديقة تقوم بدور العميل المزدوج وهي تلعب علـى الحبلـين.. فتنقـل لك أخبار حبيبتك أيضا.. ومبدأها يا بخت من فرق رأسين في الحلال ..

ولكـن لي صديـق داهيـة أدرك خطــورة دور الصديقــة في حياتــه العاطفية.. فاستطاع أن يجندها لصالحه حينما جرجرها في الكلام إلى أن قالت على حبيبتـه (صديقتـها) أنـها تخينـة وغلاويـة وواخـدة قلـم في نفسها.. وكان صديقي المحترف يسجل لها هذه الاعترافات الخطيرة علـى الأنسر ماشين ليضمن بعدها مدى الحياة الصـورة الـتي ستنقلها عنـه صديقة حبيبته إليها بل وكان يلقنها أحيانا بعض الجمل الـتي سـتقولها للحبيبة.. مثل.. ياريت تقوليلها.. أنا ماشــفتش راجـل في طبعـه ولا في أخلاقه.. ده مش بني آدم.. ده ملاك.. تلك هــي عزيـزي القـارئ صديقـة الحبيبة أما صديقة الزوجة فلها موال آخر.. ومـن المشـاهد التقليديـة في الحياة أن يدخل الزوج بيته بعد يوم عمل شاق ليجد زوجته جالسة مـع

صديقتـها بيتوشوشـو مـع بعـض.. وبمجـرد دخولـه عليـهما تصمتـان وتنصرف الصديقة في خبث وعند الباب يسمعها الزوج وهي تـهمس لزوجته.. زي ما قلتلك هه!! كلميني بـالليل وتغلـق البـاب وراءهـا في هدوء.. ويبتسم الزوج لزوجته في وداعة قائلا: فين الغدا يا ماما ويفاجـأ بها ولأول مـرة تصـرخ فيـه قائلـة.. هـو - أنـا الشـغالة اللـي أهلـك جابوهالك!! وينتهي به الحال واقفا أمام عربات التيك أواي وهو يقـول في استسلام للجرسـون.. واحـد روزبيـف وواحـد شـاورمة.. ويمـر بـه صديقه العازب الزبون الدائم علـى محـلات التيـك أواي ويـهتف بـه قائلا.. ايه يا سيدي.. أنت رجعت عازب تاني ولا إيه.. فيقول له الزوج في استسلام أكبر.. لا.. بس المدام النهاردة كـان عندهـا صاحبتـها.. ثـم يعلق على الجرسون قائلا.. الواد ده نفسه حلو في الشاورمة ..

الوصفة العجيبة لنسيان الحبيبة

أعترف أنني متحيز لجنس الرجال برغم أنـني لا أحـب (قعدتـهم) وأعترف أن الرجال بكل المقاييس أطيب كثيرا وأرق كثيرا وأحن كثيرا من النساء برغم أنني أحب (قعدتهم).. وللحـق يعـاني الرجـل كثـيرا جدا إذا هجرته الحبيبـة ولا تنفعـه أو تغـير موقفـه نصـائح شـلة مـن أصدقائه الرجال لانتشاله من الأزمة (طيب قوم احلق ذقنك).. (يا عـم ولا يهمك بكرة تتجوز ست ستها).. (مفيش واحلة تستاهل كـل ده).. وصاحبنا لا يرد مثل فأر زنقته قطة في ركن مـن الحجـرة وهـو يبحلـق فيها وقد فقد القدرة على التركيز أو الحركة.. ثم نجـده يتشـبث بخيـوط من الوهم ليس لها أي قيمة.. فيقولك.. بس تعرف.. آخـر مكالمـة ليـها حسيت إنها متشبثة بيا شوية وبعدين لما رجعتلـي الصـور والجوابـات وهيا بتديهوملي بصت لي.. وأقول له في غيظ ما هي لازم تبـص لـك.. ويرد بسرعة.. لا بصت لي بصة كله ما فهمتش كانت عاوزة تقول ايه.. أكيد أهلها ضغطوا عليها.. الموضوع لازم فيه سر.. ولكي نساعده علـى النسيان أخذناه ليأكل آيس كريم، في عز الثلج حتى يطفئ النـار اللـي جواه وإذا به فجأة يقولك (قال يعني بالمناسبة يعني) مش مرة جينا المحـل

ده أنا وهيه وكلنا آيس كريم.. ويشرد بعيدا.. يروح حتة تانية خالص ويظل متنح بجوارك إلى أن تسيح الشيكولاتة على يديه عملا بقول الراحل صلاح جاهين الشيكولاتة ساحت راحت مطرح ما راحت كل البنات ارتاحت إلا صديقنا العاشق المهذب هذا وأحيانا تنتابه حالة عنترية ويصرخ قائلا.. هيه مين دي اللي أشغل نفسي بيها أساسا هه.. لعلمك بقه دي ولا بتيجي على بالي من أصله.. النسيان ده إرادة.. قوة شخصية.. طيب بلاش.. امبارح عارف هيه عملت ايه.. جات لي في الحلم.. قلت له وانت؟؟! قال لي أنا ما روحتش طبعا.. يا راجل احنا ح نذل نفسنا ثم يستطرد: تعرف أنا فرحت أن الموضوع ده باظ.. على الأقل كده أنا ح أعيش براحتي.. طالع نازل.. سهران مش سهران ع الأقل خلصت من قلقها وغيرتها ليل نهار يا ساتر دي كانت ثقيلة قوي.. وبعدين كان فيها حاجات كده فيها مش عاجباني يعني بقها كان كبير شوية متهيألي.. وكانت محتاجة تخس ثلاثة أربعة كيلو ع الأقل.. وأقاطعه قائلا.. بقولك ايه.. أنت ما تجيبش سيرتها خالص علشان ما تتعبش وتتعبنا معاك .

فيرد علي ساخرا ونصف ضحكة صفراء خارجة من فمه.. هه!! أنا أتعب؟!!

ده أنت غلبان قوي.. أنا.. بت زي دي تأثر فيا.. تحرك لي شعرة من رأسي أنت أول مرة تعرفني ولا ايه يا جو؟!

فأقاطعه مرة ثانية.. خلاص نغير الموضوع.

ويقول لي في ثقة.. ولا كأني قلت لك حاجة .. البنت دي ولا كأنها كانت موجودة.

ويلفنا الصمت للحظات.. وأراه في شروده.. يهم عدة مرات بالكلام ولكنه يتراجع إذ يكتشف أنه سيتكلم في نفس الموضوع.. وبعد دقائق من الصمت.. يرتفع صوته قائلا شوف أصل المسائل دي بتبقى نصيب.. محدش يعلم ح يحصل ايه بكره.. وبعدين أنا معرفش ظروفها ايه مش يمكن أكون ظالمها.. وقلت لنفسي ياه.. شوف الافترا بتاع الحب يصور للمقتول المجني عليه أنه هو القاتل الجاني.. وذكرني المشهد بعادل أدهم في أحد أفلامه.. ونور الشريف ينهال عليه ضربا وركلا.. وعادل أدهم يقول له أيدك يا أحمد يا زاهر خايف أيدك تتعور يا حبيبي.. خلي بالك على ايدك.. ذلك هو الحبيب تنهال عليه الضربات ممن يحب وكل ما يخشاه أن تتألم يد حبيبته الرقيقة وعذابات الرجل في حياته وكل الويل الذي يراه مصدره المرأة.. فلولا عبلة ما تعب عنترة بن شداد نفسه ويذهب ليحضر النوق العصافير.. ومع هذا عاد ليجدها وقد أتمت إجراءات الزفاف على غريمه.. ولقاهم خلاص طبعوا كروت الدعوة وحجزوا قاعة في دار الدفاع الجوي واتفقوا مع النمر اللي ح تحيي الحفلة ومع ذلك ماذا فعل عنترة.. ساب لها النوق هدية فرحها وحار الخبراء في كيفية نسيان الحبيبة وأم كلثوم عقدت الموضوع أكثر حينما قالت هجرتك يمكن أنسى هواك وأودع قلبك القاسي لقيت روحي في عز هواك بفكر فيك وأنا ناسي.. وينصح بعض الأصدقاء اللي مقطعين السمكة وديلها ذلك العاشق المهجور

بأن ينسى امرأة بامرأة أخرى وأنا أختلف معهم جدا في ذلك فأنت لا تنساها بالعكس أنت تتذكرها بشدة لأنك تبحث عنها في غيرها فهي حاضرة طول الوقت برغم غيابها ولكني أؤيد أن ننسى الحب بحب آخر.. إزاي؟! أقولك.. حب حاجة ثانية مش واحدة ثانية.. فإذا كنت نجارا حب المنشار والشاكوش وامسك حتة الخشب بحنان وملس عليها بإيدك.. ثم دق المسمار برقة ومزاج واجعل ورشتك مكانا شاعريا.. وإذا كنت مزارعا اضرب فأسك في الأرض كأنك ترقص باليه وإذا كنت سواق تاكسي روش العربية وروقها وكلمها وصبح عليها.. كان الشاعر حافظ إبراهيم حينما يعود إلى بيته بعد سفر طويل يقبل الكراسي والترابيزات والستاير.. وكأن بيته عشيقته..

ولكننا نحن العشاق (الرجال يعني) نتلذذ بالعذاب وهذا ما يشجع الحبيبة ويجعلها تتمادى فنسمع عن نساء يطفئن سجاير في جسم الحبيب ونساء أخريات يخلعن ضوافره وستبدأ محاولات المرأة لتعذيب الرجل بأن ترسله لكي يشتري لها الخضار من السوق ثم يسيأ لها الشقة ثم ينقي لها الأرز ويستمر مسلسل المرمطة طالما أن أغانينا مازالت كلها نواح وبكاء على الحبيبة ولهذا يا أعزائي الرجال.. أنصحكم بصدق.. حبوا حاجة ثانية مش واحدة ثانية.. ولذلك حينما ترى هذا العربجي واقف على جنب يكلم حماره في هدوء ويسبل له عينيه لا تعتقد أنه مجنون.. ولكن ادعيله.. فهو يحاول أن ينسى .

أنا كده حلو

ما الذي حدث للنساء بالله عليكم؟! الستات جرالها إيه؟! أنا لم أعد أفهم شيئا إذا قالت واحدة لزوجها.. طلقني.. تسري العدوى بينهن كالكوليرا.. كأنه منشور سري يوزعنه فيما بينهن.. طلقني.. طلقني.. طلقني.. مش طايقاك.. الجواز مشروع فاشل.. نظام اجتماعي فاشل.. مئات الحالات لا أجد لها سببا منطقيا سوى إن الست ملت أو طقت في دماغها زيي.. كنت في دبي.. وذهبت إلى مقهى هناك اسمه الفيشاوي.. قطعة من مصر داخل دبي.. جلست أدخن النارجيلة وأمارس الحنين إلى مصر.. على فكرة مصر خارج مصر ليس لها مثيل تحس نحوها بحب مرضي كالمدمنين.. ممكن تقعد تهرش في دراعك كده وتقول.. نفسي أروح مصر.. عاوز أرجع مصر.. اقتحمني شاب وسلم علي بحرارة وقال لي الجملة الشهيرة (أوعى تكون مش فاكرني) وأجبته أنا بالإجابة الأشهر (هوه الوش مش غريب بس الاسم رايح عن بالي شوية) قال لي أنا هشام.. كنا مع بعض في الجيش.. تذكرته ولكن ملامح هشام تغيرت.. صار وجهه مسلوخا من حرارة الجو.. وأبيض شعره وشاب بصورة غريبة مثل شادية في نهاية فيلم المرأة المجهولة.. قلت له

أحكيلي.. قال لي خلصت الجيش وجبت عقد عمل وجيت على دبـي.. تزوجت وجبتها معايا.. قلت لـه كويـس قـال لي هيـه السـنة الأولانيـة وبانت بقه.. طلبات ليس لها حدود.. خناقات بلا أسباب وخصوصا بعد أن أنجبنا البنت.. إنها تريد أن تكتب كل شيء باسمها بل كادت تطلـب مني أن أكتب لهـا تنـازلا عـن نفسـي لهـا ولأهلـها.. اسـتحالت الحيـاة أصبحت جحيما.. قالت طلقني.. وطلقتها بعـد أن أخـذت كـل شـيء.. اللي ورايا واللي قدامي.. وعدت كما جئت لدبي أول مرة.. على فيض الكريم.. نظرت إلى هشام وتأملته.. ماذا يعيب هـذا الشـاب.. مكـافح.. يريد أن يتستر.. عاوز يعيش.. وقلت لـه في أسـى.. يـا عيـني عليـك يـا إتش.. قال زميله الجالس معنا.. هو هشام لوحده إحنا كلنا دايقـين المـر.. قلت هل الجو في دبي.. أم الحرارة.. والا الميه فيها حاجة.. ما الذي حدث للستات؟! لماذا يتبطرن على النعمة!! لمـاذا يوجعـن قلوبـهن جريـا وراء العشـرة الذيـن علـى الشـجرة ويدسـن بأقدامـهن علـى العصفـور (المسكين) الذي في اليد (الـزوج يعـني).. وصديقـي الآخـر.. أشـرف.. أصبح حجة في الخلافات الزوجيـة ينـوي أن يعمـل نـدوة أسـبوعية في القهوة لينفس فيها عن مكبوتاته وأتوقع أن يجد زبائن بالزوفة.. بل إن أشرف تعدى مرحلة الشكوى وندب الحظ إلى مرحلـة الإبـداع كتـب شعرا.. يقول أشرف في وصفه لحالته العائلية هذه الأبيات :

بحب الولاد

وباكره مراتي

وباكره (خِلانهم)
وباكره حماتي
وباكره حياتي
اللي فات واللي آتي
وح أفضل أقولها وأعيدها يوماتي..
قسيمة جوازك.. شهادة وفاتي

وبدأت المرأة في السنوات الأخيرة تكرر الجملة الكلاسيكية (أنا مش الجارية اللي أهلك جابوها لك أنا مش وظيفتي أطبخ وأغسل وأمسح وأربي العيال).. وبدأت هذه الجملة تخلق وظائف جديدة في المجتمع.. عربات التيك أواي لم تعد تعمل ساندوتشات.. بل تعمل لك بامية وفتة وملوخية بالأرانب.. ونفسهم حلو في الأكل كمان.. و(اللوندري) يغسل لك الهدوم ويكويها لك تستلمها فلة.. والشغالة طبعا البيت كله على دماغها.. والمربية تربي الأولاد.. الكام بند اللي أنا ذكرتهم لك دول يعملو لك خمستلاف جنيه في الشهر بالميت.. والميت هنا هو الزوج طبعا.. حسنا يا زوجتي العزيزة أنت لست جارية.. ما هي وظيفتك إذن؟! تستيقظ بعد أذان العصر.. تضرب لها شفشق نسكافيه ونص علبة سجائر ثم تنادي على الشغالة.. عاملين إيه أكل يا أم عبير!! تأكل من الحلة وتنزل مسرعة لتلحق بالكوافير.. عملت شعرها!! جميل.. تجتمع الشلة ويذهبن إلى مكان سهران للصبح.. الصبح طلع بأه.. نروح!! لأ.. ما نروحش.. نفطر في أي أوتيل خمس نجوم.. طبعا

أنا أتكلم عن شريحة معينة من الستات.. وأتكلم عنـها لأنـها صـارت ظاهرة.. ولا أنسى ولن أنسى مـا حييـت تلـك السـيدة الجميلـة الـتي تعدت الأربعينات والتي التقيت بها على شاطئ الغردقة مرتدية المـايوه والنظارة.. وتشع أنوثة وجمالا.. همست لي خوفا من أن يسمعها زوجـها وقالت.. كلام بيني وبينك إحنا بنحب ننكد.. الست ما تبقاش ست لو ما نكدتش على جوزها.. ده الملح يا أستاذ.. الملـح.. تقـدر تحـس بطعـم الأكل من غير قرن فلفل.. شوية ملح.. قلت لها أتفق معك يـا عزيزتـي ولكن عفوا.. لقد صارت حياتنـا نحـن الرجـال.. شُربة!! أترحـم علـى الماضي الجميل وأعود إلى القرن العاشر الهجري.. فأجد ابن ظهيرة وقد كان من علماء عصره.. يصف ابن ظهيره نساء مصر بأنـهن أرق نسـاء الدنيا طبعا وأحلاهن صورة وأعتقد أنه كتب هـذا الكـلام لأنـه ابـن ظهيره لو انتظر للمساء لقال كلاما آخر.. ويقول ابن الحـاج وهـو عـالم معاصر له يصف النساء في مصر (ولهن في مشيهن صنعة) وهذا إن دل فيدل على شيئين أولا أن مشية المرأة المصرية لها تاريخ وليسـت وليـدة اليوم بل هي نتاج جهد تعاقبت على بذله أجيال.. والشيء الثـاني.. إن ابن الحاج بصراحة.. كان (صايع) .

ولكن ابن ظهيرة وابن الحاج وغيرهما من علماء المجتمع المصري لم تتوافر لهم الفرصة ليشاهدوا الفتاة المصرية العصرية ابنة السبعة عشر عاما وهي تدخن الشيشة في المحال العامة ربما تركوا هذا لابـن معـاطي لكي يتكلم عنه.. تجلس الفتاة الرقيقة ذات الشعر والشفايف.. ترتـدي

(البودي) الأسود والجينز (البلو) والحذاء البني الضخم وفي جنبها عند منطقة التقاء الجينز بالبودي تعلق (البيجر) . لو قررنا إعادة الأفلام الرومانسية الخالدة في السينما المصرية لأجرينا بعض التعديلات الطفيفة تجلس ليلى مراد على الصخرة في شاطئ الغرام وأمامها شيشة تفاحة.. تأخذ نفسا عميقا ويتطاير شعرها المنكوش وتغني.. الناس تيجي وتروح وأنا عاشقة حيكم يتقدم منها حسين صدقي (الشاب الروش) مرتديا الصديري وفي جنبه البيجر برضه وشعره مغسول وجايبه على وراء بالجيل ويقول لها.. هاي يا لول.. تريدون الحق أو ابن عمه.. احنا الرجالة (اتهرشنا) خلاص.. اتعرفت ديتنا.. ولكن المرأة طوال هذا التاريخ الطويل لم (تنهرش) بعد إنها تنوع في أدواتها ووسائلها وتجدد وتبتكر.. ولهذا لم يتعلم آدم من حكاية الشجرة التي أخرجتنا جميعا من الجنة.. ولا يزال آدم يلغ ويأكل من الشجرة حتى الآن..

قال لي الأستاذ الكبير رجاء النقاش.. لا تتزوج يا بني.. أنت كده حلو..

إحنا كده حلوين

طوابير الرجال في أمريكا لآخر الشارع.. بالضرب.. كلهم يسحبون الاستمارات ويملأونها.. استمارات إيه!!.. أقولك.. مادونا نجمة الإغراء الشهيرة وشارون ستون اللي ما تتخيرش عنها.. عاملين إعلان.. طالبين رجالة عشان يختاروا منهم الرجل سعيد الحظ اللي يخلفوا منه.. وهذا الرجل يجب أن يتوفر فيه شروط معينة عشان الواد يطلع حكاية.. سيتقدم للشغلانة رجال بالهبل ح يعملوا لهم امتحانات أصعب من امتحانات كلية الشرطة ومفيش وسايط والصفقة واضحة.. من سينجح ستأخذه مادونا أسبوع في ولاية وبعد كده سيأخذ المليون دولار.. عرقه.. وما شوفش وشك.. ليس من حقه حتى أن يطالب بأن يرى ابنه.. فهم في أمريكا لا يغنون مثلنا.. يا عيني الواد بيعيط.. ادي الواد لأبوه.. فالواد في أمريكا يعطونه لأمه.. استفزني الموضوع وأخذت أتأمل الخبر.. مليون دولار وأسبوع مع مادونا!! قال لي صديقي العسل.. ما تيجي نقدم وأهو لو ما كانلناش نصيب في مادونا.. يمكن لينا قسمة مع شارون ستون.. قلت له يا صديقي ولكن يجب أن تتوافر فينا

الشروط حتى يسمح لنا بسحب كراسة الشروط.. قال صديقي في بجاحة.. مالنا!! ما احنا زي الفل.. قلت له الشرط الأساسي الذي تشترطه مادونا الصحة.. ازاي الصحة؟!

قال لي وهو يشد نفس عميق من النارجيلة ويخبط على صدره.. حديد، وأخذ يسعل وشعرت أن روحه ستطلع أمامي.. ولكنه أخذ يكابر وشمر عن ساعديه ليريني عضلاته.. فوجدت رغيفين فينو خارجين من جسمه وقال لي شوف يا جو.. الست هي الست.. سواء مادونا ولا عفريت أزرق عاوزة إيه غير الستر!! ضل راجل!! قلت له.. وأنت بقه اللي حتضلل على مادونا.. قال لي يا ساتر على إحباطك.. دايما تقطمني كده) .

قلت لنفسي.. ربما استطاعت مادونا أن تنجب طفلا قويا ذكيا نابغة..

ربما استعانت بعلماء الوراثة والجينات ليطلع الطفل في قوة ثور وفي ذكاء إينشتين ولكن الشيء الذي أثق منه أنها لن تستطيع أن تجعل طفلها في خفة دم صديقي هذا.. فالعسل لا يورث .

ومارلين مونرو أسطورة السينما العالمية.. همست ذات يوم لصديقتها النجمة شيلي ونتر.. تعرفي يا شيلي.. ح أموت على الراجل اللي اسمه إينشتين ده.. قالت لها شيلي مندهشة.. ده عدا الستين سنة.. قالت لها مارلين مونرو مش مهم.. مش هو اللي عمل نظرية

النسبية.. تخيلي لما أبقى في حضن الدماغ دي.. إذن المسألة برضه عـاوزة دماغ.. مش حكاية صحة وخلاص.. وإذا قالت لك الفتاة البريئة برقتها الساحرة بلاش السجاير دي عشان صحتك ولو أخذت السـجاير مـن علبتك وقطعتها ورمتها أمامك.. لا تتصور أن هذا خوف على صحتـك لله في لله.. فهي تريدك أن تبدد صحتك برضه لكن في أشياء أخرى أكثر نفعا.. بالنسبة لها طبعا ولكن يا أعزائي احنا نحمد ربنـا إننـا نعيـش في مصر.. فمهما شم ستاتنا نفسهم فلا يقارن وضع الرجل المصـري بـأي رجل في الدنيا.. في أمريكا الجنوبية مثلا.. من الطقوس التي كان الهنـود الحمر يمارسونها.. إن المرأة لا ترقد في فراشها مدة النفاس بعـد الـولادة كما تفعل النساء عادة ولكن يرقد الباشا (زوجها) بدلا منها.. والقصد من ذلك أن يخدع الأرواح الشريرة عـن زوجتـه فـلا تصيبـها بسـوء.. تخيلوا المنظر.. أمر على صديقي بعد ولادة زوجته لأبارك له.. فتقـول لي حماته.. معلش أصله لسه (نفسة) .. مش ح يقدر يقابلك..

وفي أنجولا الشرقية إذا ماتت المـرأة عنـد الـولادة فعلـى الـزوج أن يدفع تعويضا لأهلها فإذا كانت ظروفه على قده.. أصبـح عبـدا لعائلـة زوجته مدى الحياة.. نحن نشكر الله فالزوج المصري يصبح عبدا لزوجتـه وأهلها من فترة الخطوبة.. وفي الملايو.. يظل الزوج يعيش في بيت حماته مجبرا موضوعا تحـت رقابتـها لـمدة سـنتين كـاملتين.. وبعدهـا يمكـن أن يستقل بحياته.. عندنا بأه ينتهي دور الحماة في تنغيص حياة الزوج بمجرد أن يغلق بابه على نفسه هو وزوجته ربما يبدأ بعدها دور الزوجـة.. أمـا

في الهنـد ففـي كـل عـام.. مـهرجان يقـام لضـرب الأزواج.. وفي هــذا المهرجان بالذات.. المبدعون لا يلتقون ولا يتحاورون وإنما تحمل النسـاء ما تيسر لهـن مـن العصـي والشـوم والشباشـب.. ويذهـبن إلى مكـان المهرجان حيث يلاقين أزواجـهن في انتظـارهن فتبـدأ النسـاء بضـرب الرجال على الرؤوس والظهور وكل من يشتكي أو يتذمر يعتبر جبانـا ومش راجل أما في جنوب الهند في بونديورجاس تلجأ المرأة إلى عمـل اختبار قاس للفتى الذي تريد الزواج منه فهي تصحبه للغابة وتشـعل النار وتكوي بها ظهره العاري فإذا تأوه من الألم أو توجع من كي النار رفضته وفضحته بـين البنـات في القبيلـة وعيبتـه بينـهن واعتـبروه في القبيلة فافي.. هكذا يا أعزائي.. ضرب وحرق ومرمطة.. أما هنـا.. نحمـد ربنا احنا زي الفل.. شايفين الهنا اللي احنـا فيـه؟!! ومـن أشـهر نسـاء الدنيا.. نساء سابو في ولاية مانيسور بالهند وهن أغلى زوجـات الدنيـا كلها.. إذ يجب على الزوج أن يدفع المهر لزوجته مرة كل عام يعني على السنة المالية الجديدة.. يكون مجهز المهر في جيبه.. احنا يا عم بندفعه مـرة واحدة.. صحيح بعد كده بيتنحل وبرنا.. إنما المبدأ.

وفي مدينة في الصين اسمها هانبان وبـين طائفـة معروفـة باسـم نـام لولي.. عندما تتهم المرأة بالزنا يحكم على زوجها بالسجن.. شفتوا ظلم كده في الدنيا.. لذا يعد شيئا معيبا للغاية.. في هــذه الطائفـة لـو قـالت زوجة لزوجها في لحظة غضب.. وديني لأوديك السجن.. أما في (بورما) فعندهم عادة من أغرب عادات الزواج في قبيلة تدعى الكادري.. حيـث

إن المرأة تتزوج وتطلق في نفس اليوم.. فإذا ظلت مقيمة على حب زوجها بعد خمس سنوات.. ألغى الطلاق وعادت إليه.. بصراحة كان نفسي أعيش مع الكادري دول.. ليه!! ما عندهمش نظام التدبيس.. تتجوز العروسة من دول.. ولو ما عجبتكش ترجعها وتأخذ غيرها..

عزيزي حينما أقرأ هذه العادات أتعجب واندهش.. ثم أعود وأبوس ايدي وش وضهر لأنني لم أولد في بورما أو في الصين أو كنت هندي أحمر أو أي لون.. ويطوف بخيالي المثل الشهير من شاف زوجة غيره.. تهون عليه زوجته.. وأهمس في أذنكم أعزائي الرجال.. لموا الدور شوية.. احنا كله حلوين قوي..

تصوريا أخي.. تخيل يا أخي !!

قال صاحبنا المسطول لزميله المسطول برضه.. تصور يا أخي.. تخيـل.. خروف محشي لحمه ورز وصنوبر ومكسرات كل ده بجنيـه واحـد.. قـال المسطول الثاني.. إيه ده.. فين ده؟؟ فأجاب المسـطول الأول مفيـش بـس تصور يا أخي.. تخيل.. وبرغم أنهما مسطولان إلا أن في النكتة مغـزى.. رسالة ولولا التصور ولولا الخيال لصارت الحياة ثقيلة.. دمها سم..

وقالوا إن مليونيرا إيطاليا تمنـى أن يشـاهد بعينـه جنازتـه.. فكتـب لنفسه نعيا في الجريدة وحدد فيه مكان العزاء.. وأتـى النـاس مـن كـل مكان ليشاركوا في جنازة المغفور له.. وطلعت الجنازة وفي مقدمتها رجل يضرب كفا بكف ويمسح دموعـا تنسـاب كالشـلال مـن عينيـه.. هـذا الرجل هو الميت نفسه ..

وأنا نفسي بعد أن يئست من أن أجد فتاة الأحلام ويئست مـن أن أتزوج.. فعلتها.. زوقت العربية وارتديت بذلـة ومشـيت في الشـوارع وخلفي مجموعـة الأصدقـاء الطـاقين وعملنـا فضيحـة في الشـارع وفي القاعة التي حجزتها للحفل.. هنأني الجميع.. وكانت ليلـة.. لم يفسـدها

سوى سؤال تقليدي من صديق متخلف.. أمال فين العروسة.. هنا قلت له في غيظ.. تصور يا أخي.. تخيل يا أخي.. وأجمل شيء في هذه الدنيا هو التصورات والتخيلات والسرحان.. وكثيرا ما كان المخرج حسين كمال يقول لي انت فايق كده علطول.. اسرح شوية..

والفن سرحان.. والمخرج دائما ما ينكد عيشة المنتج بسرحانه.. فهو يسرح ويتخيل نجفة ثمنها عشرون ألف جنيه تسقط متحطمة فوق رأس البطل.. والمنتج سرحان هو الآخر لكن في الإيرادات وفي ثمن النجفة والحب سرَحان.. فالصورة التي أسرح فيمن أحب من خلالها.. صورة من صنع خيالي.. غالبا ما تتحطم على صخرة الواقع مثل نجفة المخرج إياه ولكننا لا نستطيع تحمل الحياة من غير هذا الخيال.. الذي لولا وجوده في التركيبة الإنسانية لكنا لا نزال نركض خلف الديناصورات ونعبر الأنهار على قفا التماسيح.. ولكننا تخيلنا.. فتقدمنا.. وهل طلع كولومبوس طلعته الشهيرة لاكتشاف البلاد والقارات بدون (سرحانه) كله تحت شجرة مع نفسه متخيلا هذه البلاد البعيدة أرضها من ذهب وطوبها وزلطها عقيق ومرجان وأحجار كريمة.. ورجالها لا يعرفون الرذيلة وستاتها لا يعرفن النكد.

ونحن جميعا نكون صورة لفتاة الأحلام حتى وإن بعدت عن الواقع إلا أنها هي الدافع للوقوع في فخ الزواج.. فمن منا لم يحلم بفتاة لها عيون زبيلة ثروت وقوام هند رستم وخفة سعاد حسني وبراءة فاتن حمامة.. من حقي أن أحلم.. حتى لو هبطت إلى أرض الواقع فوجدت

الأفيش اختلف وأصبح نجمة إبراهيم وزوزو حمدي وجمالات زايد وماري باي باي.. ماذا أفعل حينئذ هل أعمل مثل هشام عباس وأصرخ قائلا وناونا ونا أعمل إيه!! يكفي أنني حلمت.. إنني تصورت ..

حينما أذهب للقاء خطيبتي يجب أن أسرح قبل الذهاب إلى الموعد وأتصورها.. طيبة.. خجولة.. قنوعة.. نفسها عفيفة.. يجب أن أتخيل ذلك.. لأنني لو فكرت للحظة أنها ستهبد كيلو ونصف كباب بالسلطات لن أذهب إلى الموعد.. وإنما سأذهب إلى بيتهم للحديث مع والدها في موضوع سخيف بعض الشيء ومع ذلك من حقي أن أحلم.. أن أسرح فأتصورها تكلمني في التليفون همسا وقد أغلقت الباب حتى لا يلحظ باباها ذلك.. الدادة فقط هي اللي عارفة الموضوع.. وتهتف بصوت يذوب رقة وعذوبة ألو ممدوح!! (حتى لو لم يكن اسمي ممدوح) فأجيب أنا على الطرف الآخر مين معايا ماجدة الصباحي؟! وبعد ثانية واحدة تقول لي أنا ح أقفل دلوقتي لحسن يظهر بابا وماما صحيوا.. وتضع السماعة.. جميل هذا الجو.. المكهرب.. المشحون.. شيء مختلف تماما عن الواقع.. حيث تكلمني بالساعات وأسمع صوت أبيها بجوارها.. بتكلمي مين يا بنت فترد عليه بصوت يشبه صوت علي الشريف.. يعني ح أكون بكلم مين.. واحدة صاحبتي؟! بكلم واحد صاحبي.. وبعد ساعتين من التعذيب المتواصل في التليفون.. تصرخ فجأة.. ألو.. أنت نمت.. فأجيب كمن مسته شرارة كهربية.. إيه.. لا - اللهم اجعله خير - أنا معاكي.. فتبدأ في عزف

الوصلة الجديدة.. إيه لحقت زهقت مني.. وبعد أن تفشل كل محاولات التنصل منها تنهال بكرابيج التهديد.. إيه .. عاوز تقفل.. اتثاءب في السماعة مبالغا في صوت التثاؤب.. ربما يحن قلبها وتقفل السكة.. قال لي صديقي المستسلم دائما.. قانون الأحوال الشخصية الجديد يا سيدي يعطي المرأة وحدها حق إنهاء المكالمة التليفونية وقفل السكة في وشك.

ورغم أن أشياء كثيرة وجميلة في حياتنا باظت وفسدت إلا أن الخيال لا يزال بخيره.. وعلى ضمانتي.. ولذا إذا كان الواقع سيئا والخيال رائعا.. تعالوا نلتقي في النص.. فإذا نكدت عليك زوجتك حياتك.. تخيل أنها غير موجودة بالبيت.. يا سلام.. على النعيم الذي ستشعر به وأنت تتخيل نفسك عازبا حرا طليقا.. وإذا كان زوجك غتت وسمج تخيلي أنك تزوجت شارلي شابلن.. تخيلي زوجك بعصا وطاقية ونصف شنب ويمشي بسرعة من حجرة السفرة إلى الحمام.. ستفطسين على نفسك من الضحك.. ولن تملي الحياة معه أبدا.. بل ربما عزمت صديقاتك ليشاهدنه كنوع من الترفيه.. وبعدها سيصبح البيت عندك بالحجز.

وحتى وداع الأحباء الجميل باظ ايضا يا أعزائي.. فلم تعد الظروف الأمنية تسمح بأن تدخل حبيبة حتى الطائرة لتودع حبيبها بالمناديل البيضاء والدموع.. يا لخيال وجمال اللحظة.. وتطلع الطائرة وتنطلق في الجو لتجد الحبيبة صاحبنا لسه واقف ما تعرفش نزل منين ؟!

انتهى هذا الزمن يا أعزائي.. فأحمد ومنى لن يتبادلا الهتاف من أول المطار لآخره ليلتقيا في النهاية في حضن جميل تحت جناح الطـائرة.. لا .. لن يحدث هذا.. أتصور أن منى ستنزل أحمـد مـن سيارتها عنـد محطـة الأتوبيس أمام المطار وستقول له منى سالنسيه كده مع نفسك وامشـي الحتة دي بأه يا بوحميـد.. وسـينزل أحمـد مـن سيارتها بحقائبـه ويمضـي بعيدا.. ولكنه سيتوقف.. وسـيلتفت.. نعـم.. سـيلتفت ليلقـي النظـرة الأخيرة على منى.. التي ستترك سيارتها وتجـري مندفعـة نحـوه.. أحمـاااد وسيترك حقائبه ويجري لحوهـا.. مونـاااه.. وتلتقـي الأيـدي.. والعيـون.. وستقول له منى ودموعها على خدها.. أوع يـا أحمـد.. أوع.. أوع تمشـي من هنا وتنسى.. وتنسى غسالة الأطباق اللي وعدتني بيها.



معاناة الحبيب بين الهبش والتقليب

في فيلم (أبي فوق الشجرة) تدخل الخادمة على نادية لطفي ومعها الرجل الدايب في هواها.. وتقول لها.. ستي.. صاحب العمارة باعت ياخد أجرة الشقة، علينا تلات شهور متأخرين.. فتقول نادية في دلال.. يابت مش وقته، ولكن الرجل الولهان ينبري ويقول.. مش وقته إزاي.. هيه كام الأجرة.. خدي.. إدفعي.. ولا يكون عندك فكر.. وبعد خمس دقائق تدخل الخادمة المزعجة مرة ثانية.. الجزار.. وبعد ذلك البقال.. والرجل يدفع من أجل عيون نادية لطفي.

وفي مسرحية (أنا وهو وهي) .. كلنا يحفظ عن ظهر قلب الحوار الرائع لبهجت قمر.. يقول عبد التواب النمساوي فتوة عماد الدين للمحامي فؤاد المهندس عن علاقته بزوجته الراقصة.. كنا زي عصفورين كناري وشرفك.. كانت لما تتضايق.. تتنرفز.. تزعل أصالحها بفستان نرجع زي السمن على العسل.. يومين بس وأخلاقها تضيق أصالحها بفساتين، حتى فتوة عماد الدين شخصيا الذي يقلب طوب الأرض.. امرأة تقلبه..

والغريب في الموضوع أن العلاقة بين الرجل والمـرأة طالما لم تـأخذ الشكل الرسمي بعد.. تجد المرأة مثالا في الزهد والقناعـة.. إذا أحضـرت لها هدية.. تقول لك.. ليه كده بس أنت مش أولى بالفلوس دي.. ولكن إياك أن تخدعك هذه المناظر.. التقليبة جاية جايـة.. أنـت ح تـروح منـها فين؟! اقرأ فاتحة بس.. واتفرج.. ستصدم صدمة عبد العال حينما صحـا يوم صباحيته قائلا لسكينة.. أنا اتجلبت.. أنا نايم جنب مرتي والـلا في محطة مصر..

وهناك نوع من النساء سيردد لك دائما.. أنا آخـر حاجـة أبـص لهـا هيه الفلوس.. النوع ده بالذات بقه خللي بالك منـه.. قـال لي صديقـي الواعي الذي صقلته التجـارب.. شـوف.. أي حاجـة تجيبـها لهـا تخليـها تكتب لك بيها ورقة.. تبقى معاك.. محـدش يضمـن الحـي مـن الميـت.. قلت له.. ولكن هذه مسألة محرجة.. قال لي أنت حر.. وإذا بي أجده بعد فترة مع خطيبته عند بتاع الجيلاتي..وفي يدها قمع كبير مليـان جيلاتـي بالمكسرات.. وفي يدها الأخرى قلم تكتب بـه علـى ورقـة سـندها لهـا صديقي على ركبته.. أقر أنا فلانة الفلانية أن فلان عزمني علـى واحـد جيلاتي كبير.. وابتسم صديقي قائلا.. بالمكسرات.. فقالت له ضاحكة.. لازم بالمكسرات.. قال صديقـي في خبـث.. معلـش دي مجـرد إجـراءات روتينية بس ياريت توضحي السين شوية بتاعة المكســرات.. وعلمـت بعد ذلك أنه يوهمها أن كل هذا في المزار وفي اللذاذة يعـني.. وهـي لا تعلم أنه عامل لها دوسيه عنده في البيت .

وأعرف مليونيرا ذهب ليخطب واحدة.. فأوهمها هـي وأهلـها أنـه موظف بسبعين جنيه في الشـهر وكـان ابـن اللئيمـة يحـرص علـى أن يركن سيارته المرسيدس قبل البيت بشارعين حتى لا يرونها ويخرج هو وخطيبته يتشعبطان في الأتوبيس.. وتزوجـها بعـد أن عملـوا لـه شـقة أوضة وصالة في حارة شعبية تقاسموا ثمنها جميعا لمسـاعدة هـذا الموظـف الغلبان.. ولم تعرف زوجته بحقيقة وضعـه المـالي إلا بعـد تـالت عيـل.. قلت له مندهشا بعد تالت عيل!! يا صبرك يا أخي.. طيب مش خـايف تقلبك بعد ما عرفت.. فأجاب بذكاء خلاص.. ما هي اتعودت أنـها مـا تقلبش.

وتردد الأمهات لبناتهن درر الأمثال العدائية ضد الرجـل.. الراجـل ما يعيبوش غير جيبه، يا مأمنة للرجال يا مأمنة للميه في الغربال.. اللـي ييجي منه خديه أحسن من عينيه..لازم تأمني مستقبلك.. وكأن الارتبـاط بالرجل هو عقد عمل في الرياض.

قالت لي أمها ذات يوم.. مادام زعلتها بقى يبقى لازم تصالحـها عنـد الجواهرجي اللي تحت.. قلت لها في براءة ما حبش أدخل حد غريـب في مشكلاتنا.. ولكني فهمت أنني لن أحكي سـبب الزعـل للجواهرجـي ولا حاجة.. وإنما سأشتري لها خاتما ليرفع من روحها المعنوية.. وأقسـمت بيني وبين نفسي ألا أدوس لها علـى طـرف بعـد ذلـك وإلا فسـتصبح المسألة خراب بيوت..

والآباء أحن من الأمـهات علـى العريـس المتقـدم للبنـت الحيلـة.. فعلاوة على أن الأب رجل فهو قد مر بمرحلة التقليب في مطلع شبابه، فيكن للعريس بعض التعاطف المستتر الذي لا يستطيع إعلانه فيتخذ سمة الصامت الوقور الذي لا حيلة له.

والأم نفسها المقلباتية هذه إذا عزم ابنها على الزواج تصبح حارسـا قضائيا على أمواله وربما رفعت عليـه قضيـة حجـر.. وتقـول لـه همـا حيلاقوا ضفرك.. مش كفاية قبلت تاخد بنتهم.

وهكـذا تتحـول القصـص الرومانسـية الجميلـــة بعـــد زيـــارتين للجواهرجي وبتاع الموبيليا إلى مأســاة رهيبـة مـن بتـوع يوسـف بـك وهبي.. يا للهول..

والغريب أنه لا تزال بعض العـائلات تـردد الجملـة الخـالدة احنـا بنشتري راجل. لذا ليس هنـاك مـن حـل سـوى أن أبعـث لإعلانـات الأهرام.. للبيع.. راجل عامل ٣٢ سنة ولكن بحالـــة الزيـرو.. موديـل ٦٣ لأعلى سعر.. اللون قمحي ميتاليك.. استعمال فتاة روشة واديـني قـاعد جنب التليفون.. مستني الفرج.

هو.. بغباوته !!

لا شك أن معظم متاعب العالم تجيء لأن الأغبياء مملؤون ثقة والأذكياء مملؤون شكا.. كنت في زيارة لصديق في مكتبه وتركني صديقي هذا ليذهب إلى دورة المياه وإذا برجل يقتحم مكتب صديقي منفعلا ثائرا وفي يده ورقة ويهتف بي ..

يعني انتوا مش ناويين تجيبوها البر.. شهر بحاله رايح جاي عشان سيادتك تمضيلي ورقة!! ملعون أبو اللي يشتغل معاكو يا أخي.. كفرتوني.. خلاص.. فاكرين انتوا اللي بتمشوا الكون.. و.. ظل هكذا كالترليوز يطلق دفعاته نحوي دون أن يتوقف وأنا أحاول أن أقاطعه بلا جدوى.. لأفهمه.. أنني ضيف وليس لي أي علاقة بالمكان.. وأن الليمون الذي أشربه واجب الضيافة المقدم لي.. وأنني جالس على الكرسي المواجه للمكتب الذي يجلس عليه الضيوف وبرغم كل هذه العلامات التي تؤكد أنني لست الشخص المقصود لم يعطني أي فرصة لكي أوضح الموقف.. وجن جنونه فجأة ووضع الورقة أمامي في عنف وقال لي.. ح تمضي ولا مش ح تمضي؟.. أنا قتيل النهارده!! هنا وبكل هدوء

أخرجت قلمي من جيبي ومضيت له!! ثم قلت له.. استريحت؟! بس أنا عاوز أقول لك إن أنا مش.. فقاطعني قائلا: ما هو انتوا ما بتجوش غير بكده.. وخرج بعد أن صفع الباب في وجهي صفعة محترمة وراءه.. وأنا جالس في ذهول.. خرج صديقي من الحمام متسائلا: ايه الدوشة اللي كانت هنا دي؟! فحكيت له ما حدث فقال لي ده راجل غبي.. قلنا له ميت مرة الطلب بتاعه مش عندنا مش عاوز يفهم.. فقلت له بهدوء.. ما هو اتمضى خلاص .

فأجاب صديقي.. اتمضى ازاي؟ قلت له.. أنا مضيتهوله.. وانفجر صديقي ضاحكا حتى كاد الكرسي ينقلب به.. وإذا بالباب يفتح فجأة ويدخل الرجل والشر يستطير من عينيه.. وقال لي هائجا: حضرتك بتلاعبني بتطرقني؟ مش عاوز تمضيلي باسمك الثلاثي عشان يرجعوني بالطلب تاني مش كده!! هنا لم يطق صاحبي صبرا.. وصرخ فيه.. يا جدع انت.. افهم ده راجل ضيف مالوش دعوة بحاجة.. هنا جن جنون الرجل وقال.. أيوه يلخويا لقفوني لبعض.. أنا عارف حركاتكوا كويس.. انت تقعد مكانه وتعمل نفسك المدير.. وهو يقعد يشرب ليمون ويعمل لي فيها ضيف.. إنما مش عليا أنا ح يمضيلي الطلب باسمه الثلاثي. وأمسك صديقي بالطلب وألقاه في وجهه وخرج الرجل مهددا متوعدا ليشكوني إلى وكيل الوزارة.. وبرغم أنني مجرد ضيف جاي.. يشرب ليمون.. فقد علمت أن وكيل الوزارة يعد قرارا بفصلي !!

إن ثقة الأغبياء بما يعتقدونه ثقة مدمرة.. وكان لي صديق يشيع دائما أنني لا أستطيع أن أفعل شيئا بدونه وكان يقدم نفسه أحيانا لبعض الناس فلان الفلاني.. مدير أعماله.. ولأنني ليس لي أعمال فلم أستخسر فيه لقب المدير الذي كان يحب أن يدعيه كما أنه أيضا لا يتقاضى مني أجرا على هذا فما الداعي لأن أكسفه؟! وحدث أنني بعد إلحاح منه بدأت أعتمد عليه في بعض الأشياء باعتبار أنه كما قال لي وللجميع.. مشكلته أنه يفهم في كل شيء وده اللي مضيعه.. ولما كنت أنقل أشيائي من شقة إلى شقة.. وعلم هو بهذا.. ثار جدا وقال لي.. أنت مالك.. موضوع زي ده أنا اللي أقوم بيه وكان كلما حاولت أو أوصيه على أي شيء،، يرفض ذلك تماما.. يرفض حتى أنه يسمعني ويقول بحسم قاطع.. انسى.. الحاجة اتنقلت.. أقول له.. بس خد بالك المكتبة بها زجاج ويجب على الناقل أن ينقلها بحرص.. هنا يثور جداويعتبر ذلك شكا في مقدرته وإمكاناته.. ويقول بقولك ما تفكرش في الموضوع ده.. خلاص.. انت تقعد في بيتك وبكره الساعة ثمانية.. حتكون فارش شقتك وقاعد بتاكل بطيخ وبتتفرج على التليفزيون.. وانتظرت في بيتي حتى الساعة التاسعة ولم أسمع خبرا عن شيء ولكن أخيرا جاءني أول خبر.. أن المكتبة الزجاجية وقعت من على السيارة النقل لأنها لم تكن مربوطة.. وأن الكتب كانت تتساقط طول الطريق على طول شارع فيصل.. كتب العقاد وقعت عند الكوكي بارك.. وفي أول فيصل كانت مسرحيات شكسبير.. وفي الطالبية أعمال تشيكوف

الكاملة.. وهكذا فقدت نصف مكتبتي في الرحلة.. وأنا لا أنكر أن هذه الواقعة رفعت المستوى الثقافي لشارع فيصل وسكانه الكرام.. ويبدو أن مدير أعمالي المزعوم كان مؤمنا بمبدأ القراءة للجميع.. أما التليفزيون الذي وعدني أنني سأتفرج عليه في الثامنة وأنا باكل بطيخ.. فقد وضعوه فوق كنبة أحدثت به شرخا يضمه لقائمة الأشياء التي حملها بائع الروبابيكيا بعد ذلك.

أما التماثيل التي كنت أعتز بها مثل تمثال حورس الإله المصري القديم فقد تحولت إلى قطع متناثرة تبدو وكأنها من الحفريات فعلا.. العجيب أن المرآة الكبيرة التي أضعها في حجرة الصالون لم تصب بخدش.. كيف حملوها.. وكيف نقلوها وكيف وصلت إلى البيت لا أعلم.. وكان صديقي واقفا على السلم يصدر أوامره إلى رجاله.. واحد من قدام وواحد من ورا.. على مهلك يا بني أنت وهو يادي الغباء.. ما تحملش على اللي ورا.. خش بيها يمين شويه.. أعوج إيدك شمال شوية.. أنا ماسك قدامك أهو.. ثم فجأة.. يختل توازنه ويسقط سقطة هائلة على المرآة وحامليها.. وتتحول المرآة إلى ستلاف حتة وهكذا جلست في أسى وأنا أتأمل عفش بيتي الذي تحول إلى حطام وهو بجواري بعد أن كبس راسه بن.. يقول.. شوف ما تزعلش على حاجة كله في جزمتك.. اللي بيجي في الريش بقشيش.. هذه هي ثقة الأغبياء.. أما شك الأذكياء.. فلنا معه حكاية أخرى ..

امسك لسانك

قبل أن تنطق بكلمة.. بص حواليك كويس.. تأمل المكان والجالسين فيه وتأكد من أن أثر هذه الكلمة عليهم أولا.. وفي عصور الخوف والديكتاتورية كان هذا يتم بصورة طبيعية.. فكل من يجلس بجوارك أيامها.. كان هناك احتمال قائم أنه مخبر.. وأنه سيشي بك فورا فكانت الحوارات الدائرة حوارات منضبطة.. مراقبة بدقة الكلمة تخرج بحساب ولا تحتمل معنيين. إلى أن تفشت هذه الظاهرة الغريبة.. الديمقراطية.. فانطلقت ألسنة الناس كجياد جامحة ليس لها لجام.. الكل يتكلم.. دون أن يسأل حتى من هذا الغريب الجالس بجواري؟! كنت أتكلم مع أحد أصدقائي وكان قد أتى لي كعادة أصدقاء هذه الأيام ومعه صديق آخر لم تزد معلوماتي عنه أكثر من كونه (مجدي) في ذلك التعارف السريع الذي يتم غالبا وهو يشير إلى صديقه ثم يشير نحوي.. مجدي.. يوسف.. وخلاص.. هكذا صرنا أصدقاء.. كنت أشكو لصديقي من إلحاح بعض المجلات أن أسلمها (الشغل) المقالات يعني بسرعة دون أن يعطوني فرصة كافية أو وقتا مناسبا. يا آأخي دي كتابة.. عاوزة تفكير.. وروقان.. ومزاج هوه أنا فاتح مقلة لب؟! الناس دي فاكراني

بأبيع لب وسوداني!! وإذا بصديقي يزغر لي ثم يدوس على قدمي.. وأنا لا أدري أي خطأ وقعت فيه.. إلى أن صرخ صديقي محاولا إسكاتي أو تغيير الموضوع ثم قال وكأنه يهزر.. يا أخي ما له اللب والسوداني مش أفيد من مقالتك دي ثم أشار إلى صديقه قائلا.. مجدي بيه الحمصاني صاحب مقلة التسالي.. وعلمت لماذا تجهم مجدي حينما كنت أتكلم، وللحق شعرت بإحراج شديد واعتذرت للرجل وحاولت طبعا أن أعالج الموقف بشتى الطرق .. مفهما إياه.. أنها زلة لسان وأنني - على العكس - أقدر جدا جدا اللب والسوداني.. وظللت أعدد له فوائدها وأهميتها في الحياة وكيف أنها مفيدة للضغط وأنها مهدئ للأعصاب.. وحولته بقدرة قادر من صاحب مقلة.. إلى صاحب صيدلية.. ومع ذلك تركنا مجدي الحمصاني منسحبا في هدوء وشعرت أنه شايل مني جدا.. هنا انهلت على صديقي لوما وسبابا.. أنت مغفل!! مش تقول لي صاحبك شغال ايه.. تسيبني أدوس في الحلل كده.. فقال لي.. وأنا أعرف منين أنك ح تقل أدبك.. مش تمسك لسانك!! وكان لا بد من زيارة للمقلة.. للصلح والتسوية والقزقزة برضه - لا مانع - على حساب الحمصاني ..

وفي مرة أخرى كنت أكتب مسرحية لنجمة كبيرة وأتاني صديقي ومعه أحد هؤلاء الغامضين المريبين الذين يأتون معه بلا موعد وبلا سبب. وكالعادة.. أشار نحوه ثم نحوي وقال محسن.. يوسف.. كنت وقتها في قمة الثورة والغضب من تدخل النجمة والمنتج في العمل وإصرار

الكل على أن أحبش لهم الرواية بالبهارات التجارية.. وصرخت في صديقي وأنا في شدة الانفعال.. لأ.. أنا أسيب الكتابة أحسن وأروح اشتغل.. وقبل أن أكمل الجملة تذكرت الموقف السابق.. فهمست لصديقي صاحبك ده فاتح محل كشري؟! فاندهش صديقي وهمس لي مستغربا.. كشري أيه يا بني؟! قلت له خلاص سيبني أكمل كلامي.. واستطردت موجها كلامي إلى محسن.. أسيب الكتابة وأفتح محل كشري؟! فضحك محسن وقال مش للدرجة دي يا أستاذ كل شغلانة وليها مشاكلها.. قلت له يا أخ محسن.. الدور الذي كتبته للنجمة تلك هي حدوده.. امرأة في الخامسة والأربعين.. يريدون مني أن ألوي ذراع الدراما وأجعلها تتذكر فترة شبابها المبكر حتى ترقص لها رقصتين.. هل ينفع هذا؟! ما أشتغل ترزي أحسن.. أجيب المازورة وأفصل لها الدور على مقاسها هنا زغرلي صديقي وداس على رجلي.. وتجهم محسن قليلا و.. وكان لابد من زيارة لمحل محسن الترزي.. للصلح والتسوية والتورط في تفصيل تايير للمدام !!

ألفاظ وكلمات ما لهاش لازمة - تخرج من أفواهنا.. فتورطنا في اعتذارات ومبررات ودوامات ليس لها أي داع.. فأنا بطبعي أقدر كل المهن وأحترمها.. ولكنني أقسم لو لم يكف لساني هذا عن هذه الترهات لأقطعنه بأسناني.. ومرة أخرى.. في الحديث حاولت أن أعمل نفسي واد صايع ومخربش فقلتها دون أن أدري أمام صديقي وتابعه الذي لا أعرفه دائما.. قلت لهما.. هما فاكريني أيه!! من الزمالك؟! ورد

صديقه بزعل وما لهم بـأه بتـوع الزمـالك!! وانسـحب مقموصـا مـن المكان.. وكان لا بد من زيارة صلـح وبـلا أزرق.. ومـرة أخـرى أخذتـني نعرة طبقية وقلت لصديقي أمام أحدهم.. أنا مش ساكن في حواري يـا خويا.. فقال الرجل وما لها بأه الحواري يا كابتن.. وقضينا الليـل كلـه في شبرا في حارة قطة طبعا في اعتـذارات ومـبررات.. وهكـذا بـلا سـبب وجدت نفسي بلحظ نفسي في مواقف بايخااااه والسبب لفظة عـابرة لا أعرف ما الذي أتى بها على لساني بس ؟!

ولقد قررت مبدئيا ألا أستشهد بمهن أو أمـاكن حقيقيـة قريبـة قـد يؤدي ذكرها إلى خسائر ليس هناك مـن داع لهـا.. وليكـن مثـلا.. همـا فاكريني شغال في منجم؟! ولا مبيـض نحـاس إذ ليـس مـن المعقـول أن يكـون الشـخص الجـالس معنـا عـاملا في منجـم أو مبيـض نحـاس.. وبالنسبة للأماكن يمكن أن أقول مثلا.. هما فاكريني من كوالا لامبـور؟! ولا من قندهار؟! كله ما تزعلش حد.. وعرضـت الأمـر علـى صديقـي لأتأكد أنه ليس له أصدقاء من هذه المهن أو هذه البلاد ولكنه اعترض وقال لي.. العالم كله أصبح قرية صغيرة ولا أسـتبعد ان نجـد أحـدا مـن كوالالامبور أو قندهار جالسا معنـا.. النـاس صـارت تعلـم الآن أسمـاء أصغر المدن وأبعدها.. الإعلام جعل الكل يعـرف كـل شـيء.. ومررنـا بجوار أحد الخفراء الجالسين أمام فيلا فسألته.. والله يا عـم.. مـا تعرفـش المركز الرئيسي لقاعلة طالبان فين بالضبط.. فنظر الرجل حولـه كمـن

يحاول أن يتذكر ثم قال لي هما قالوا لك فين بالضبط.. فقلت له قالولي هنا في المنطقة.. فقال الرجل طيب خش أول شارع يمين واسأل هناك !!

في المساء .. كنت جالسا مع صديقي إياه.. وحدنا هذه المـرة.. وكنـت أكلمه عن الفساد الذي أراه أمامي وحولي وفوقي وتحتي.. ودخـل علينا أحدهم وسلم على صديقي بحرارة وقام صديقي بدوره التقليدي طبعا.. أشار نحوه ثم نحوي وقال.. إيهاب.. يوسف.. وجلس إيـهاب معنـا.. وأنـا أكمل حديثـي قـائلا.. همـا فـاكريني إيـه.. نصـاب حرامـي.. مرتشـي.. ووجدت صديقـي يزغـرلي كالعـادة.. ويـدوس علـى رجلـي.. وفـهمت بالطبع أي نوع من الناس صديقه هذا !!!

ألو.. أنا طلبة عبد الفتاح

إذا سجلنا صورة حيـة للشـارع المصـرى بعـد الإفطـار وإذا كـانت الكاميرا التي تصور معلقة في طائرة تحوم فوق العمائر والشوارع.. وإذا كانت بالطائرة صندوق أسود يســجل كـل كلمـة يقولهـا النـاس.. وإذا هبطت الطائرة بعد ذلك بسلام ولم تدخل في أي حاجـة فمـاذا نسـمع وماذا سنرى؟ بالتأكيد سنرى صورة غريبة تستحق وقفة.

ما كل هؤلاء الناس ؟! مئـات الألـوف مـن البشـر ينسـكبون مـن البيوت وينزلون إلى الشارع في هجمة واحدة بلا هدف.. وبلا وجهــة.. ربما لم يستطع التليفزيون أن يحبس الناس في البيوت.. والرجـال بصفـة خاصة يطفشون من البيوت والأسباب كثيرة.. كان يتفـرج علـى الحـاج متولي وزوجاته الخمس.. وشرد قليلا ليتأمل هذا النعيـم الـذي يعيـش فيه الحاج.. إن كل شيء في حياة هذا الرجل يزيد.. فلوسه تزيـد وبيوتـه وسياراته وزوجاته.. ولا شيء يعكر عليه صفــو حياتـه.. يـا بختـه.. ربنـا يوعدنا.. هذا ما كان يقوله لنفسـه حينمـا اخـترق أذنـه صـوت زوجتـه (الوحيدة) وهي تقول: مالك!! متنح كده ليه؟ تلاقيك عاوز تعمـل زيـه

ما أنا عارفاك.. فأفاق من تلك الغيبوبة اللذينة واللقمة لسه في بطنه وقال لها في نفاق عظيم.. أنا لا يمكن ألاقي زيك يا حبيبتي.. وكان يتفرج على (بنات أفكاري) وإذا بمحمود مرسي يقع في غرام إلهام شاهين.. وسرح نفس السرحة وتمنى وأطلق لخياله العنان وامتلأ بالأمل بأنه ربما بعد العمر الطويل تنفحه الحياة تلك النفحة العطرة.. ويلتقي بها.. ونفس الصوت يخترق أذنه.. أنتو كله.. أي كلمة أو تسبيلة من واحدة ست تجيبكوا الأرض.. من هنا ورايح مش ح تروح أي حتة إلا ورجلي على رجلك وتحول صوتها إلى زعيق.. وتحول زوجها إلى (سفيان الثوري) والزعيق أصبح خناقة والخناقة تطورت إلى رزعة باب.. ونزول إلى الشارع.. وهكذا صار الكل في الشارع حتى أصبح الشارع (خنقة) أكثر من البيت.. وآخر هرب من البيت تجنبا لأي لبط من زوجته بسبب الظروف الاقتصادية.. فكما تعكنن الصحافة على الحكومة في هذه المسألة فالزوجة في البيت تقوم بدور الصحافة الحرة قوي في العكننة على الزوج.. فمن أين يدفع الزوج المسكين ثمن كل هذه الولائم الرمضانية والدروس الخصوصية وطلبات (مقاصيف الرقبة) هنا يفيض به.. ويصرخ في زهق.. وديني ما أنا قاعد في البيت.. وهيه رزعة الباب، ورغم كل الأسئلة التي تنهال على الزوج من كل جانب ولا يعرف لها جوابا.. فهناك أسئلة أخرى سهلة تنهال عليه أيضا في كل لحظة بشرط أن يتصل برقم تليفون ويترك الإجابة يمكن تيجي معاه

ويكسب.. كـان جالسـا بجواري في المقـهى والموبـايل في ايـده.. ونـزل السؤال علـى الشاشـة.. موقعـة انتصـر فيـها المماليك علـى المغـول.. وثـلاث إجابـات عـين جـالوت؟ أم عـين شـلتوت؟ أم عـين أسـيوط؟ فانتفض من مكانه مسرعا ووقف على حيله وطلـب الرقـم.. ألـو أنـا طلبة عبد الفتاح والإجابة عين جالوت ورقم تليفوني كذا.. ثـم جلـس مبتسما ابتسامة مليئة بالأمل وقد استراح ثم سحب نفسا من الشيشة ولكن السؤال الثاني ظـهر علـى الشاشـة أرخـص ليالي.. هـي قصـة ليوسف إدريس أم ليوسف شـعبان أم ليوسـف السـباعي.. فـهرش في رأسه وأصابعه على أرقام الموبايل.. ثم سألني.. هوه يوسف شعبان ألف قصص؟ قلت له والله معرفش.. فسألني باستهانة والباشـا شـغال إيـه؟ قلت له مؤلف قصص.. فسـألني بشـك اسـم الكريـم أيـه.. قلـت لـه يوسف معـاطي.. فـهرش في رأسـه ثـم سـألني..ومـا قـالوش اسمـك في السؤال؟ قلت له لأ.. فعاد يفكر مرة أخرى ثم قـال يعـني الإجابـة بـين يوسف إدريس ويوسف السباعي يبأه أجاوب مرة بيوسف إدريس ومرة بيوسف السباعي.. وأنا وبختي.. وطلب الرقم ألو.. أنا طلبة عبد الفتـاح والإجابة يوسف السباعي وتليفونـي كـذا.. وهكـذا.. ثـم نـادى علـى الجرسون وقال له شوف الباشا يشرب إيه ..

قلت للجرسون مفيش اختيارات؟ فقال لي.. تشرب شاي ولا قـهوة ولا حلبة حصا فهرشت في رأسي أفكر ثم سألت صديقـي طلبـة عبـد

الفتاح كنوع من الاستعانة بصديق قـائلا هيـه الحلبـة كويسـة قـال لي جربها. قلت له شوف.. احتيـاطي أنـا ح أطلـب الثلاثـة وأنـا وبختي.. وفجأة نزل على الشاشـة إعـلان يطلـب مـن ذوي القلـوب الرحيمـة التبرع بمكالمة تليفونية لضحايا السرطان.. فتأثر الرجل للحق ودمعـت عيناه وطلب النمرة.. ألو.. أنا طلبة عبـد الفتـاح وتليفونـي رقـم كـذا وربنا يقدرنا على فعـل الخـير.. وقبـل أن أثـني علـى كرمـه ومشـاعره الإنسانية الرفيعة كان إعلان في الجريدة عن مسـابقة غنائيـة لاكتشـاف الأصوات عبر الموبايل.. تستطيع أن تغني في الموبايل ربما تصبح مطربـا شهيرا.. ولم يكذب خبرا طبعا.. وطلب النمرة ألو . أنا طلبة عبد الفتاح معلش أنا صوتي تعبان شوية عشان عندي برد.. ثم أخذ نفسـا عميقـا وانطلق يغني.. أنـا أكـثر واااحـد.. بيحبـاااك وبعـد أن أنـهي الغنـوة جاملته بتصفيق حاد فشكرني وقال وهو يكح ده أنا كمان تعبان.. ده أنا لما صوتي يجلجل بيجيـب جـواب الجـواب.. اسـتنى لمـا أوريـك وعـاد وطلب الرقم.. ألو أنا طلبة عبد الفتاح أااالووه. تليفـون صغـير منـك يطمني عليك واحشني صوتك ياللي واحشاني عنيك.. ألوووه قلت لـه في نفاق واضح.. الله.. وليه ما تكملـش في الطريـق ده يـا طلبـة.. أنـت موهوب فعلا ولكنه قال لي (ثانية واحدة) معلش.. كان سؤال آخـر قـد نزل على الشاشة فقطع مشواره الفني في الطرب الأصيل ليتفرغ تمامـا للإجابة.. أنا طلبة عبد الفتاح وتليفوني رقم.. وهكذا ظل يجيـب علـى

كل الأسئلة ويشترك في كل المسابقات ولم يترك التليفـون لحظـة إلى أن جاءت اللحظة الوحيدة التي تركه فيها.. ورن تليفونه وكان هذا هـو مـا سمعته.. ألو.. ايوه يا ستي.. متنيـل قـاعد في القـهوة يعـني ح أروح فـين؟ بتصرخي كده ليه.. إيه اللي فرقع؟ أنبوبة البوتاجاز؟ وما طلبتنيش ليه؟ مشغول إيه بس؟ والمطبخ كله ولع.. يا ساتر يـارب.. كلمـتي المطـافئ؟.. محدش جه إزاي؟ طيب اقفلي.. وطلـب المطـافئ.. ألـو أنـا طلبـة عبـد الفتاح وتليفوني رقم.. الإجابـة نمـرة ٣ قصـدي البيـت نمـرة ٣ شـارع.. أرجوكوا بسرعة..

الكنباوي

كلنا نميل إلى الراحة والترف والرحرحة.. وإذا كنا شعبا صبورا على الأزمات والكوارث فلا صبر لنا على العمل والتحدي.. وكلنا نحب النوم أو الاسترخاء الطويل ونحب أكثر مشتقاته التي لا وجود لها إلا في بلادنا.. وأعني بها.. التقييلة.. والتعسيلة.. والتربيحة.. والتكويعة.. تلك الحالة الممتعة من ألا تفعل أي شيء.. وتقعد كده.. (مسهم) رامي جتتك على أي كنبة.. والجتة مفروشة على الكنبة كما تتيح لها عوامل الجاذبية الأرضية وبلا أي تدخل من سعادتك.. فإذا كانت قعدتك بالجنب.. سيميل الكرش قليلا في اتجاه التكويعة ولا هو نوم ولا هي يقظة.. وإنما هي الرحرحة العظمى.. وحبذا لو كانت بجلابية فهذا لا يصلح إلا بذاك.. وجنب الكنبة بأه.. ملاصقة فيها.. ترابيزة عليها لب وسوداني وفول حراتي.. وترمس وشاي.. كأنك طالع القناطر.. وخلف الترابيزة سلة مهملات ترمي فيها المناديل والقشر وأعقاب السجائر.. فأنت بالتأكيد في هذا الوضع الشاهنشاهي لن تقوم كل شوية لكي تحضر علبة السجائر.. طالما أن (أروصة) بكاملها تنام خلفك على

الكنبة، فالتكويعة لا تكون شرعية إذا قلت عن تسع ساعات.. وأمامك التليفزيون - والريموتات كلها جنبك على الترابيزة.. لا شيء يستحق أن تقوم له في هذا الزمان .

وفجأة رن جرس التليفون.. فرفع الكنباوي السماعة (اللاسلكية التي بجواره أيضا) وقال في وهن آآه لووو.. كنت أنا الذي أتصل.. وعرضت عليه أن نخرج لنتريض أو نذهب إلى أي مكان فعارض بشلة.. وطلب أن يكون لقاؤنا عنده.. بجوار الكنبة.. فما أجمل أن يضمني كصديق مسل - إلى سائر الأشياء التي تحيط به وتحت أمره.. ولكنه قال.. اسمع أنا مش ح أقدر أقوم افتح لك.. والشغالة ماشية الساعة ٧ .. ح أخليها تسيب باب الشقة مفتوح.. إوعى ما تجيش أحسن مين ح يقفل الباب ؟!.. وذهبت إليه دخلت من الباب الموارب.. وسمعت صوته وهو يسعل.. يوسف؟!! كان يطمئن أنني الذي جئت قلت له أيوه قال لي طيب خذ الباب وراك.. وخش يمين وبعدين امشي علطول حتلاقيني في أوضتي ومشيت حسب الخريطة إلى أن وجدته.. متكوما على الكنبة متهللا لرؤياي.. ولكنه لم يكلف نفسه ويقوم ليسلم عليه.. وإنما اشرأب بعنقه قليلا.. ليعطيني خده عشان أبوسه.. وشعرت بأنه يتعذب ويئن لأنه قام بهذه الحركة المرهقة من أجلي.. ازيك يا جو.. فينك يا راجل.. هكذا بدأت الجلسة.. ثم بابتسامة ودودة للغاية قال.. تشرب شاي.. ولم أعترض فقال.. انت ابن حلال.. ده أنا ح أموت على كوباية شاي - اسمع.. خش شمال وعلطول.. حتلاقي المطبخ

على يمينك أصل ترمس الشاي خلص.. اعمـل لنـا بـراد شـاي كبـير.. يونسنا..

وكان المشهد الثاني - في المطبخ - حيث أنا الـذي أعمـل الشـاي.. وهو لا أسمع إلا صوته وتعليماته - اسمع القرنفل عندك في النملية.. لو عاوز نعناع حتلاقي ناشف في بلكونة المطبخ .

وأتيت بالبراد.. ووضعته على الترابيزة.. وهو بمنتهى السعادة يحييني يا جو يا جميـل.. أحلـى شـاي في الدنيـا كلـها.. ثـم قـال.. صـب لي في الكوباية دي.. لم يكلف نفسه حتـى أن يصـب لنفسـه كـوب الشـاي.. وأخرج علبة سجائر من الأروصة لكي يشـربها مـع الشـاي و..فجـأة.. ارتبك.. أخذ يتحرك ويتمايل بكل ضيق وهو يحسس علـى كـل مكـان تصل إليه يديه.. ثم قال.. الولاعة.. راحت فين بس.. كـانت في إيـدي.. دور معايا يا جو..وأخذت أبحـث علـى الكنبـة وتحـت الطرابـيزة.. بـلا جدوى.. ليس لها أثر.. فقلتله طيب قوم يمكن تكون تحتك.. هنا قـال في ضيق.. أقوم.. مش شارب سجاير.. ثم قال لي بتوسـل.. وحيـاة أبـوك يـا جو.. الكبريت في الدرج بتاع المطبخ.. وذهبـت وأحضـرت الكـبريت.. أخذه بامتنان وقال وهو يغني.. ربنا ما يحرمـني منـك يـا حبيـبي وأشـعل سيجارته.. وقال.. تصدق بالله إنت ابن حلال.. قلت له ليه؟ قال لي.. أنا قاعد على الكنبـة هنـا بقـالي تسـع سـاعات.. وفيـه حاجـة معكننـاني بشكل.. قلت له إيه؟.. فأجاب التليفزيون.. قلت له يا راجل دي الأخبار لوحدها تجيب لك اكتئاب.. أنا خـلاص تقريبـا مـا بتفرجـش.. ولكنـه

قاطعني قائلا.. لأ أنا مش معكنني الأخبار.. ما الريموت في إيدي.. القنـاة اللي ما تعجبنيش أحول على غيرها.. قلت له أمال إيه اللي معكننك.. فأجاب.. أصل التليفزيون الظاهر الخدامة وهي بتنضفه عوجتـه شـوية.. فلو الجهاز اتحرك شوية بس يمين.. ح يبأه قصـادي علطـول.. قلـت لـه.. وإيه المشكلة.. قال.. المشكلة إني لسه ح أقوم وأمشـي لحـد التليفزيـون وأحركه.. أهوه ربنا بعتك ليا علشان تعدلهـولي.. ومشـيت خطوتـين إلى التليفزيون وبدأت أحركه وهو يلقي بتوجيهاته.. خده يمين شوية.. مـش قوي كده.. لأ.. أيوااه.. بس اثبت على كـده.. هـوه كـده تسـلم إيـدك.. ناكل لقمة بأه.. أنا محطيتش في بقي حاجة من صباحية ربنا.. تـاكل إيـه يابو حجاج؟ وفهمت الحيلة طبعا.. ولم يكن عندي اسـتعداد لأن أقـف أقشر بصل وكوسة واعمل رز.. فقلت له.. شكرا أنا واكل.. هنا أقسـم بأغلظ الأيمان أن ناكل لقمة علشان يبقى عيش وملح ثم قال هوه احنا ح نعمل حاجة احنا ح نقعـد باشـوات والأكـل ح يجيلنـا لحـد عندنـا.. وأشار نحو مكتبه وقال.. هات لي النوتة اللـي علـى المكتـب دي بـس.. وقمت وأحضرت النوتة.. وناولتها لـه فسـقطت في الأرض.. نظـر لهـا بكل ضيق وكأنها وقعت في بلاعـة.. وحـاول أن يمـد يـده فلـم تصـل إليها.. فنظر لي كغريق يطالبني بأن ألقى لـه بطـوق النجـاة.. وانحنيـت على النوتة وأعطيتها له فشكرني.. ورفع السماعة وطلب رقمـا.. أيـوه يا عم عبده.. ابعت لي فاشنكاح.. شوية محاشي على هـبر لحمـة واتنـين فتة بالموزة.. ووضع السماعة.. وابتسم في انتصار.. مـش بـاقولك انـت

ابن حلال.. لولاش انت جيت لي النهاردة.. كنت ها اطلب عم عبده إزاي.. ومد لي النوتة لكي أعيدها على المكتب.. هنا.. لم أستطع أن أسكت.. قلت له طيب إفرض حبيت تروح الحمام بتعمل إيه.. قال ما هو حسب الغرض.. لو حاجة خفيفة.. جنبي إزازة ميه فاضية.. بتقضي الحاجة.. لو التاني بأه.. ح أعمل إيه باضطر أقوم ودي عموما بالكثير مرة في اليوم.. رن جرس الباب.. كان الطعام قد أتى.. وأنا طبعا الذي سأفتح الباب.. وصوته يأتي لي كالعادة.. اسمع يا جو.. ح تخش يمين تاني أوضة على الشمال بأه حتلاقي البدلة الكحلي على السرير.. الفلوس في الجيب الجواني.. أثناء الطعام.. سألني.. أنت ليه ما كتبتش في الملحق الجمعة اللي فاتت؟! قلت له إزاي كتبت طبعا.. هنا تذكر.. أنه حينما أتت له جريدة (الأهرام) .. وهو يتصفحها وقع الملحق تحت الكنبة.. ولم يشأ أن يرهق نفسه ويمد إيده.. وينزل يجيبه ..

حكاية إسكندرية

لماذا نكـون أقويـاء بـالذاكرة حـين نـروي أدق التفـاصيل لحكايـات وأحداث وقعت لنا ولا تكون ذاكرتنا بنفس القـوة لنتذكـر كـم روينـا هذه التفاصيل لنفس الشخص عشرات المرات قبل ذلك؟ فهذا صديق يتحفني بحكاية واحدة لا تتغير منذ أكثر من عشر سنوات.. يبدأها غالبا بذلك السؤال الذي أشعر حينمـا أسمعـه بشـعور الحـامل في شـهورها الأولى.. غممان النفس والغثيان.. يـهتف بـي فجـأة.. أنـا مـا قلتلكـش حكاية إسكندرية؟.. إسمع.. ح تموت من الضحك.. ويبدأ في سرد حكايـة إسكندرية التي أسمعها للمرة الأولى.. بعد الألف.. فـلا ينسـى حرفـا أو تعليقا.. شيء واحد فقط هو الذي ينسـاه دائمـا.. أنـه حكـى لي نفـس الحكاية مئات المرات.. كان يستطيع أن يتكلم خمـس سـاعات متواصلـة وهو يحكيها دون أن يتوقف لحظة عن الكـلام ودون أن يلحظـه أحـدا!! وكانت لديه مقدرة فذة على ألا يشعر بكم الملل والزهق والخنقة الـتي يصيبينا بها وهو يحكي لنا حكاية إسكندرية.. وكانت - للحـق - أسـعد لحظات حياتي.. حينما ينهض صديقـي هـذا.. ويسـتأذن في الانصـراف وهو يقول برخامة وجعت دماغكوا.. بس أصلي مرتبط بموعد.. وأقـول

لنفسي لا بد وأنه ذاهب ليحكي حكايـة إسكندرية لضحايـا آخريـن غيرنا.. وفكرت فيما إذا كان ذلك سيصبح نذالة مـني لـو أرسلت إلى المخابرات الأمريكية باسمه لتضمه إلى قائمة الإرهابيين ثم عدلت عـن الفكرة حينما تصورت أنه سيطلع بـراءة بـالطبع وبعدهـا سيأتي لنـا ليحكي لنا (حكاية كاليفورنيا).. إن البعض ينثر السعادة أينما ذهـب.. والبعض الآخر يملأنا بالسعادة.. إذا .. ذهب.. أخـيرا.. استرحنا.. كنـت أقول ذلك لأصدقائي بعد أن غادرنا صديقي بحكايته الوحيدة. هذا بعـد أن وعدنا أن يحيكها لنـا في يـوم آخـر بمـزاج لأنـه (كروتـها) النـهاردة بسبب الموعد وانا دعوت الله - في سري - ألا يـأتي هـذا اليـوم أبـدا.. كنت أقول لهم.. لقد نبض قلبي اليوم حوالي مائـة ألـف مـرة وقطعـت دمائي في أوردتي رحلة طولها ١٦٨ مليون كيلو وتنفست ٢٤ ألـف مـرة.. تكلمت حوالي أربعـة آلاف وثمانمائـة كلمـة.. (قبـل أن يـأتي صديقـي بالطبع) واستخدمت ٧ ملايين خلية في المخ. إنه ليوم شاق مرهق حقـا.. فلا أقل من أن نكافئ أنفسـنا بحكايـة جديـدة.. هنـا دخـل علينـا أحـد الأصدقاء.. وقال: يعني فلان مشي بدري النهاردة؟! قلت له بحسم.. عنده موعد.. فقال.. ما أنا عارف أنا قابلتـه وهـوه بـيركب عربيتـه.. إيـه بـآه حكاية إسكندرية اللي قالها لكوا دي؟! هوه حكى لي خطـوط عريضـة.. وقال لي هما يحكولك!! هنا لم أطق صبرا وانفجرت في صديقي سـاخطا لاعنا تاركا المكان وهو ينظر نحوي باندهاش كمـن فقـد عقلـه..والمـؤلم والفزع إنني سمعته يقول لهم وأنا أركب سيارتي الله!! دي حكايـة كبـيرة

بـأه اللـي معصبـاه كـده لازم اسمعـها.. ايـه حكايـة إسـكندرية دي؟! في الطريق.. أخذت قرص مهدئ وقـررت أن أنسـى الأمـر برمتـه.. إلى أن جاءني هذا التليفون.. ألو.. أنت فين؟! في العربية.. طيـب لـف وتعـالى لنا.. عاوزينك.. قاعدين قعدة حلـوة قـوي.. عـارف مـين معانـا.. فـلان.. وبيحكيلنا حكاية تجنن.. قولناله يستنى ما يكملش.. لازم تكون معانـا.. حكاية إسكندرية.. هنا.. لا أدري بالضبط ما حدث لي إنما كان رد فعلـي اسكندراني بحق.. وأغلقت الموبايل في وجه المتحدث..

قالت لي زوجتي مذعورة.. مالك وشك مخطوف كده ليه؟ قلت لها في عصبية. دماغي ح تنفجر.. الناس خلاص ما بقـاش عندهـا دم.. واحـد صاحب حكالي حكاية خمستلاف مرة.. وبرضـه مصـر يحكيـها لي تـاني.. قالت بهدوء كأنها تكلم طفلا.. ولا يهمك.. ريح كـده ورجـع دمـاغك لورا.. واسترخي خالص.. أنا قلت لك أصحـابك دول ح يضيعـوك مـا سمعتش كلامي.. نـاس فاضيـة وجايـة تضيـع وقتـك.. ألقيـت بجسـدي المنهك على الكنبة.. ووضعت لي زوجتي شريطا في الكاسيت لموسـيقى خفيفة رائعة.. قلت أن زوجتي من أروع نساء العالم.. وليس هـذا رأيـي أنا فحسب.. بل رأيها هي أيضا قلـت لهـا.. لقـد قـررت أن أقلـل مـن لقاءاتي بالأصدقاء أعصابي لم تعد تتحمـل الحكايـات المكـررة المملـة.. والنكات التي أقولها أنا لهم ليلة الخميس فيضجـون بـالضحك.. أجـد نفسي أسمعها منهم صباح الجمعة كأنني اسمعها لأول مرة.. هل تذكري يا عزيزتي قصة لقاءنا الأول.. قـالت نعـم.. قلـت لهـا.. حكيتـها لبعـض الأصدقاء.. وإذا بأحدهم يأتي لي يحكيها لي على أنها حدثـت لـه.. مـع

زوجته. قالت في غيظ.. ما هو أنت ما بتمسكش لسانك ده وطبعا قاعد تسمع الكلام الفاضي ده وما كتبتش حاجة.. أومـأت برأسـي في أسـى كطفل عملها على روحه ويشعر بذلك الندم الطفولي الجميـل.. قـالت في وداعة.. نفسي تعمل زي اينشتين.. كان يجلس مع الناس وكان يمنـح كل موضوع وكل زائر اهتمامــه الكـامل ويسـمع الكـل.. لكنـه كـان ينهض فجأة في بعض الأحيان.. حتى في منتصف عبارة من الحديث مـع الجالس معه.. ويقول معتذرا.. آسف إن لدي عمــلا يجـب أن أقـوم بـه الآن.. ثم يترك الجميع معتكفا في مكتبه.. ولم يكن هذا السـلوك يزعـل منه أحدا أو يؤذي مشاعر أي من أصدقائه.. فقد كانوا يعرفوا أن (مـخ) إينشتين قد بدأ يدور.. ويشتغل.. أدي الناس الصح.. هنا نظـرت إليـها مندهشا فهذه الحكاية أيضا أنا قلتها قبل كـده!! ولكـن قلـت لنفسـي.. على الأقل فهذه الحكايـة ألطـف بكثـير مـن حكايـة إسـكندرية.. وإذا بزوجتي تبتسم وتسألني ضاحكة.. إنما ما قولتليش أيه حكاية إسـكندرية اللي خانقاك قوي دي؟!! أعزائي القراء.. أنا سبت البيت وقاعد دلوقت عنـد مامـا.. وأرجوكـم.. أتوسـل إليكـم.. إذا قـابلني أحدكـم بطريـــق الصدفـة.. في أي مكـان.. في أي مصيبـــة.. ألا يسـألني.. عـــن حكايـــة إسكندرية .

حكاية إسكندرية.. كمان وكمان

إن إثارة الضحك عمل كئيب.. وكتابة الكوميديا عملية ثقيلة بشعة.. ولذا فأنا أحب أن أؤجل عملي كلما استطعت.. إن الذهاب إلى الورق والقلم أشبه بالذهاب إلى المقصلة، فإذا اقترح عليا أحدهم أن يمر علي لزيارتي.. كنت أقول تعال لي الصبح من ١١ إلى اثنين ظهرا فذلك هو الوقت الذي أكتب فيه.. أو أقول له تعالى دلوقت حالا.. أنا باكتب.. ولقد شكوت كثيرا من هؤلاء الذين يعطلونني عن الكتابة ويطبون علي فجأة ولكنني اعترف الآن بأنني كنت دائما الذي أدعوهم للمجيء، بل وكم ألححت عليهم أن يأتوا لكي ينقذوني من هذه الورطة السخيفة.

ومشكلة الكتابة الكوميدية أنه لا بد لك من الصعود عاليا جدا، بخيالك لكي تصل إلى فكرة عميقة جدا في القاع.. ولذا كم أسعد وكم أستفيد من لقاء الجهلاء الذين يمكن أن يقال عنهم شيء واحد.. إن جهلهم يثير الكثير من المناقشات الممتعة حقا. ثم إنك مطالب دائما بأن تضحك الناس برغم أنك غير مسموح لك بالكتابة في كل شيء

أو الولـوج إلى أي موضـوع - حتـى (الولـوج) دي ممكـن أن تحذفــها الرقابة - وأنت محدد بعدد من الكلمـات ومسـاحة معينـة لا تزيـد ولا تنقص.. ورغم هذا الحصار الحديدي حـول النكتـة.. فالقـارئ لا يهمـه سوى أن يضحك.. والمؤسف أن القارئ غالبا ما يضحك على كل ما لم تتوقع أنه سيضحكه، بينما يصدمك بشعور ورد فعل بارد إلى أقصــى حد تجاه تلك الأشياء التي توقعـت أنـه سـينفجر في ضحـك متواصـل حينما يقرأها.. والقارئ شخص محظوظ.. تتهافت الأقلام عليه لتكسب رضاءه وهو يمسك بالجريدة في عظمة.. وألاطة.. وهـو يتنـاول إفطـاره في الصباح وأمامه طبق فول محبش وبيضتين غرقـانين في السـمن.. وقطـع محترمة من الجبنة تحيط بها في رقة اتناشر.. خمستاشر (زاتونايه).. جالســا هكذا كأحد السلاطين القدامى وآثار النعمة بادية عليه.. يـأكل قطعـة.. ويقرأ سطرا.. وكأي حاكم ديكتاتور، يبتسم أحيانا إذا أعجبتــه (قفشـة) ويسخط كثيرا إذا لم تعجبه.

لا أريد أن أخوض هنا في مسألة أن أصابعه التي غرقت في السمن.. تركت آثارا واضحة على مقــالي.. أو أنـه حتـى يقـرأ العمـود بشـكل أسهل.. كرمش الجريدة بطريقة غـير لائقـة وحينمـا مـرت ذبابـة فـوق وجهه. هشها بي.. أعني بمقالي.. ويمكن بمنتهى البسـاطة إذا نـادت عليـه زوجته من جوه: متولي.. تليفون علشانك.. فيلقي بالجريدة فورا قبــل أن يكمل مقالي ودون أن يعتذر ويهرول إلى التليفون وينسى الأمر برمتـه..

وبعد ذلك إذا سأله أحد زملائه في العمل قريت اللـي كاتبـه يوسـف معاطي؟ يرد بزهق أيوه.. بس مش عارف عاوز يقول إيه ؟!!

ولقد نقلت لحضراتكـم هـذه الصـورة لكـي أصـف لكـم بدايـة الشعور العدائي المتبادل بيني وبين القراء، وقد حدث إنني في الأسـبوع قبل الماضي كتبت مقالا هنا.. بعنوان (حكاية إسكندرية)، وكنت أتكلم فيه عن صديق ليس عنده سوى حكاية واحدة يتحفني بها كلما التقيت به وهي (حكاية إسكندرية).. مما جعلني اقترب جدا من انـهيار عصـبي حاد ومبادئ شلل رعاش وقـد رجـوت القـراء الأعـزاء إلا يسـألني أي منهم عن حكاية إسكندرية، رفقـا بأعصـابي وكـان رجـائي أقـرب إلى التهديد منه إلى التوسل.. وما أن نشر المقال حتى شـعرت بمـدى رغبـة القراء الأعـزاء في الانتقـام مـني.. مئـات التليفونـات كلـها تسـألني في رزالة.. أيه بأه (حكاية إسكندرية)؟!! إذا ركبت تاكسيا يقسم السائق أن أقول له (حكايـة إسـكندرية).. وفي البنـك أوقفـوا صـرف شـيك لي.. وحلفوا بأغلظ الإيمان بألا يصرفوه إلا إذا حكيـت حكايـة إسـكندرية.. وهكذا وجدت نفسي مثل صديقي إياه الذي كرهته مـن أعمـاق قلـبي أكـرر نفـس الحكايـة في اليـوم حـوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ مـرة إلى أن جـاءني صديقي معاتبا وقال لي في لوم.. مع ابتسـامة وفرحـة طاغيـة تنـط مـن عينيه كده برضه يا جو!! فضحتني.. مصـر كلـها تكلمـني علـى حكايـة اسكندرية.. فقلت له: يا أخي أنا لم أذكر اسمك في المقال ولا أحد يعرف

أنك المقصود؟! فأجاب في دهشة: إزاي بس مصر كلها عارفة أن حكاية إسكندرية بتاعتي!! هنا أدركت أن توزيعه لحكاية إسكندرية لا يقل عن توزيع (الأهرام).. ولكنه بكل جرأة ووقاحة.. قال لي أنا مش عارف الحكاية مش عاجباك ليه.. أصل أنت ماركزتش معايا وأنا بحكيها لك.. الحكاية يا جو (أن أنا مرة).. وقبل أن يحكيها.. صرخت فيه أن يسكت.. ولكنه عاد وقال.. دي الناس كلها طايرة بيها.. دي ساعات بتتطلب مني.. في القعدات.. امبارح كنت في فرح.. المعازيم.. والعريس والعروسة حلفوا لأقول لهم منها شوية وهربت منهم بالعافية.. عموما أنا مش جاي لك عشان كده.. ثم نظر لي نظرة مليئة بالحب العميق ومد لي يده وقال لي قول لي مبروك.. قلت ألف مبروك يا سيدي.. قال بسعادة غامرة: أنا مضيت فيلم امبارح وعاوزك تكتب لي السيناريو والحوار.. قلت له جميل.. هل اتجهت إلى الكتابة.. لا أعلم أنك صرت مؤلفا.. أجاب بتواضع.. أهوه.. بنحاول. ما كله بيكتب ويألف دلوقت يابو حجاج.. خلينا نجرب حظنا.. يمكن تمشي معايا.. قلت له وما هي القصة التي اشتراها منك المنتج.. قال لي اسمع يا سيدي.. (مرة.. و..) لا يمكن.. لا أستطيع أن أتحمل.. إنه يحكي حكاية إسكندرية ..

لا داعي لأن أصف لكم طبعا رد فعلي لأنكم تعرفونه جيدا.. ولكي أكون أكثر إيجازا وأكثر عملية فأنا الآن أرتب أوراق الهجرة إلى أفغانستان هو المكان الوحيد الذي أثق تمام الثقة أنني لن أسمع فيه

(حكاية إسكندرية).. أما بالنسبة لهؤلاء اللطاف الذين لا يتوقفون لحظة واحدة عن مطالبتي بأن أحكيها لهم.. فقد قررت تحويل أوراقهم إلى صديقي.. صاحب الحكاية.. الذي يقيم الآن ندوة أسبوعية كل خميس في الأنفوشي ليحكي - بعد أن صار نجما - لمريديه ومعجبيه.. ولجمهوره.. (حكاية إسكندرية) !!!

قريني التايواني

لا شك أننا نضحك حينما يقلدنا أطفالنا ويأتون بنفس الحركات والتعبيرات.. نحن نضحك لعجزهم أن يتفردوا بشخصياتهم كما نضحك من فرط تأثرهم بنا. فنشعر أننا مع ببغاوات إنسانية جميلة.. فإذا لبست ابنتي الصغيرة حذائي الضخم وأخذت تجرجر به في الشقة.. نضحك جدا لأنها تقلد أباها.. وإذا شخطت في أمها شخطة محترمة.. نضحك جدا.. لأنها - المرة دي - تقلد أمها.. فلم تسجل مراصد الزلازل الزوجية أي شخطة لزوج في هذه الأيام.. الشيء الذي لا يضحك أن تجد شخصا يقلدك دون أن يكون طفلا.. أو يكون ابنك ، هنا يصبح التقليد مسألة مزعجة حقا.. جاكيت بيج على بنطلون كحلي وقميص أبيض وكرافاته لبني.. أخترت الألوان بعناية لأعمل هذه التركيبة وذهبت إلى الحفل.. وبينما كنت أتجول في المكان بين المدعوين الرائعين في ثيابهم المختلفة. أتبادل معهم التحيات والابتسامات.. وجدته أمامي.. يسري عبد العاطي.. صديقي القديم والجديد والذي لن يحل عن سمايا أبدا.. ظل طوال سنين الدراسة رقم جلوسه قبل رقم جلوسي.. فظل ملاصقا لي في لجان الامتحان.. وها هو

الآن يرتدي نفس الطقم كالعادة ويضحك في غلاسة ويقول لي وهو ينظر إلى ملابسي وملابسه مفتعلا الاندهاش.. أيه ده؟! بيج على كحلي.. بصرة.. القلوب عند بعضها يابو حجاج.. انت جايبه من المحل اللي في المهندسين صح.. اللي على أول شارع سوريا.. ما أنا رحت أشتري من عنده وعرفت إنك زبونه وجرجرت صاحب المحل في الكلام وعرفت أنت واخد من عنده ايه.. ما أنا عارف ذوقك.. ثم عاد وقال.. مش أنا جبت عربية جديدة كحلي أخت عربيتك.. ثم ضحك ضحكة رذلة وقال.. ده فيه ناس بتسلم علي وأنا ماشي بالعربية فاكريني أنت.. وتركته في غيظ لأبعد عنه قدر المستطاع حتى لا يلاحظ المدعوون هذا التشابه الثقيل.. وفجأة خبطني أحدهم على ظهري خبطة فظيعة وقال.. يسري.. أنت هنا يا بن الأيه.. والتفت له مغتاظا.. فقال عذرا.. أصله كان لسه واقف معايا ولابس نفس الطقم.. كان يسري واقفا مع فتاة حسناء يبدو أنها خبطته على ظهره هو الآخر معتقدة أنه أنا واستغل هو الموقف طبعا وقال لها إني صاحبه الروح بالروح.. ويا ليت المسألة تقتصر على الهدوم.. فقد أتى لي يوما ليأخذ رأيي في خطوة مهمة في حياته.. سيقدم برنامج.. قلت له ما هو موضوع البرنامج.. قال.. اسمه (بحبك يا أمي).. وقبل أن أفقد أعصابي أشرت له وأنا أجز على أسناني.. إن لي برنامج أقدمه من أربع سنوات يتعرض لنفس الفكرة.. فقال آه صحيح شوف توارد الخواطر.. القلوب عند بعضها.. وذات صباح، وأنا جالس في أحد الأوتيلات لأكتب.. طب عليا ع الصبح كده وحياني.. وجلس أمامي في ترابيزة أخرى وأخرج الأوراق

والقلم.. وطلب شيشة أخذ يسحب دخانها ويسرح بعيدا.. ثـم يكتـب سطرا ويعود لشروده محملقا فيا.. كأنه بيشـفني.. ولما كـانت هـذه المـرة الأولى التي أراه يكتـب فيـها سألته.. مـاذا تكتـب.. فأجـاب ببجاحـة.. باكتب مسرحية.. ورغم أنني كنت وقتها أنا برضه باكتب مسرحية فلـم يزعجني هذا التشابه.. فـالصدف تحتمـل أن يكتـب اثنـان مسـرحية في نفس الوقـت وفي نفـس المكـان ويدخنـان الشيشـة ويشـربان الشـاي بالنعناع. وفي محاولة يائسة للبحث عن أي وجه للاختلاف بيني وبينه.. قلت له.. ولمن تكتبها قال ببساطة.. لعادل إمام.. ولمـا كـانت المسـرحية التي كنت أكتبها أنا أيضا لعادل إمـام.. صرخـت فيـه.. والأسـتاذ عـادل وافق.. قال لأ.. أنا لسه ح أعرضها عليه بس بعد ما تخلص.. وقررت أن أنساه حتى لا يضيع اليوم وانشغل بما اكتبه ولكي أركز، فقد اكتسـبت عادات سيئة أثناء الكتابة لم أستطع أن أتخلص منها.. فأحيانا أشد شـعر شاربي وفي أحيان أخرى أنظر للسقف لفـترة طويلـة بـلا مـبرر .. ثـم أتمطى وأتثاءب وأغمض عيني.. أشياء من هـذا القبيـل.. وبينمـا كنـت أبحلق في السقف وجدته هو أيضا يبحلق في السقف مثلـي.. متقمصـا حالة الشرود التي أنا فيها يادي الاصطباحة.. أشد شعر شـاربي.. فيشـد شعر شاربه.. أتثاءب.. يتثاءب وفقدت تركيزي تمامـا.. وألقيـت بـالورق والقلم جانبا وقلت لنفسي.. مش كاتب.. اليوم باين من أوله.. فإذا بـه يضع القلم جانبا هو الآخر !!!

طيب أعمل إيه أقـوم أضربـه؟! حيقـوم يضربـني.. أروح أكتـب في مكان تاني؟! ح ألاقيه هناك.. عموما هذا ليس وقت كتابة المسـرحيات..

لأكتب مقالة الأسبوع.. أهو ابـأه طلعـت بحاجـة.. وأمسـكت القلـم وبدأت في كتابة المقال.. وهرشت في جبهتي كتمهيد تقليدي للدخول في موضوع المقال فهرش في جبهته هو الآخر.. فأعطيته ظهري لكـي أركـز بعض الشيء فأعطاني ظهره هو الآخر.. أحسن.. يا ساتر.. وشـه يقطـع الكتابة من المخ.. وفجأة.. وبينما أنا منـهمك في المقـال.. أتـى لي ومعـه ورقا وقال لي اسمع ده.. قلت له أيه ده قال.. مقال محصلش.. قلـت لـه ألم تقل لي أنك تكتب مسرحية لعادل إمام.. قال لأ.. ده مقال للأهرام.. هنـا بأه لم أتحمل بصراحة وقمت من مكاني ذهبت إلى الكاشير وقلـت لـه الحساب بسرعة عشان عاوز أهج من هنـا!! وسمعـت جملة مـن خلفـي لأخينا يقول للكاشير.. الحساب بسرعة عشـان عـاوز أهـج مـن هنـا!!! وكما كان حسابي أربعين جنيها كان حسابه أيضـا أربعـين جنيـها فقـد شرب نفس مشاريبي.. وهكذا ظـل صديقـي يتكلـم مثلـي ويسـتخدم نفـس تعبـيراتي.. ويرتـدي نفـس ملابسـي وكأنـه قريـني اللـي فـوق الأرض.. وأخيرا.. حينما عملت حادثة مروعة في الطريـق الصحـراوي كدت أموت فيها.. كلمني لكي يشد من أزري.. وقال شد حيلك.. قلـت له شد حيلك أنت واعمل لنا حادثة زيها..

ملحوظة ..

إذا وجدت مقالا يشبه هذا المقال في أي جريدة فتأكد أنه من تـأليف قريني التايواني يسري عبد العاطي .

رجل الأمس

هو رجل طيب وإنسان وتخين.. ومربسرب وبه كل الصفات التي تجعلك تغفر له أي شيء إلا أنه به خصلة جعلتني أضحي بطيبته وربربته وإنسانيته وبه هو شخصيا.

إنه يؤخر.. تماما مثل الساعة القديمة.. ولقد أطلقت عليه (رجل الأمس) ويبدو أنه من فرط طيبته لا يصدق أنه عاش لليوم أو ربما يستكثر على نفسه ذلك ..

كان جالسا معي.. ثم أخذ يقوم تدريجيا كدبابة تبدأ في الإقلاع.. كان قميصه قد خرج من البنطلون وانفكت أزراره.. ليتدلى كرشه الحبيب حينما قال لي.. أقوم بأه !!

وكانت هذه تاسع (أقوم بأه) أسمعها في تلك الجلسة.. ولم يكن يثنيه عن أن يقوم بأه.. سوى كلمة عابرة دائما ما تقال في هذه الأحوال.. كنت أقولها له.. (ما تقعد) فيقعد على الفور.. وفي المرة العاشرة اضطررت أن أقول له أنا (قوم بأه).. يا ساتر.. ده لو كان قطر كان قام.. الذي استفزني بحق إنه نظر في الساعة وقال ياااه.. دي الساعة بقت

أربعة.. الوقت سرقنا.. والجملة ليس فيها ما يستفز سوى أن الساعة كانت سبعة وليست أربعة.. ثم أمسك بملحق الأهرام وقال.. جميل قوي (أيامنا الحلوة) بس انتو بتطلعوا بدري ولا ايه؟ قلت له وأنا أكز على أسناني: الملحق بيطلع الجمعة فصرخ قائلا: هوه احنا بقينا الجمعة.. وديني أنا قاعد معاك كل ده وفاكر النهارده الأربع.. ياه.. شوف الأيام بتجري إزاي؟!

وهذا التأخير المرضي في شخصيته لا يقتصر فقط على الزمن وإنما على كل شيء.. فهو يشعر بالأحداث بعد أن يقتلها الناس بحثا.. قال لنا مرة.. اسمعوا بأه انتو مذيعين آه على رأسي.. بس أنا ما بيعجبنيش فيكوا غير عبد الرحمن علي.. هايل هايل.. قلت له طبعا كان مذيع عظيم كان صاحبي على فكرة.. الله يرحمه بأه.. فقال لي مشدوها لا حول ولا قوة إلا بالله.. امتى؟! وأغلقت المناقشة احتراما لتخنه وربربته.. وجاء لي ذات مرة ليأخذ رأيي في موضوع خطير.. وقال لي.. شوف.. أنا اكتشفت امبارح إن أنا اتأخرت قوي.. أنا داخل ع الخمسين يا جو.. مشاغل الحياة ما خلتنيش أفكر في مستقبلي.. ثم همس لي.. أنا دخلت المعهد.. ح اتعلم إنجليزي.. وامبارح ادولنا فيرب تو بي.. أصل أنا نويت خلاص يبأه معايا لغة.. تصور طلعت اللغة مهمة وأنا ولا دريان.. وهكذا اكتشف صديقي أهمية اللغات في عام ٢٠٠٢ وهو على مشارف الخمسين.. بس الحمد لله.. لحق نفسه!!!

وصديقي هذا إذا اقترض مني نقــودا.. لا انتظرهــا.. ولا أفقــد فيــها الأمل فأنا واثق أنها ستأتي ولكن متى؟! هذا هو أصعب سؤال يمكــن الإجابة عليه مع شخص مثله.. وقد سدد لي هذه الأيام (٢٢٠) جنيه كان قد اقترضها مــني سنة ١٩٨١ في القــرن المـاضي.. حينمـا كـان الــدولار يساوي اتنين جنيه ونص.. ولذا فحينما أعاد لي المبلغ قلت له ما تخلي.. مستعجل ليه وكنت أتمنى أن يخليهم بالفعل ولكنني خشيت أن يتــأخر عشر سنوات أخرى مع ارتفــاع الــدولار فـاصبح أنـا اللـي مديـن لـه بفلوس.. ثم قلت له إن أي فلوس استلفها مني في السبعينيات أرجــوه أن يعتبرها منحة لا ترد.. ما هو مش ح نقضيها شلنات وبرايز بأه!!

وفيما يختص بالأمور السياسية فقد ســألني الأسـبوع المـاضي ذلـك السؤال الجبار إلا هية أمريكا بتضرب في أفغانستان صحيح؟! قلت له.. لا يا راجل مين قال لك الكلام ده؟! دي كلها إشاعات ثم صرخت فيــه بحلة.. أمريكا ضربت أفغانستان خلاص وداخلة ع العراق.. ما تصحــى بأه.. هنا تعجب وقال.. وبعدين بأه.. انتوح تلخبطوني ليــه هيـه مـش أمريكا ضربت العراق.. قلت له محاولا التشـبث قـدر الإمكـان بـالحلم والأدب.. ضربتها.. بس العــراق مـا سمعتـش الكـلام فضربتــها تـاني.. فهمت!! هكذا دائما فيه شــهرين ثلاثـة واقعـين منـه وأحيانـا سـنتين ثلاثة.. ولقد هنأني على زواجي بعد ثلاثة أشـهر مـن الـزواج وكأنـه حدث بالأمس.. وهنأني على أنني أنجبت بنتـا بعـد أن أكملـت عامـها الأول.. وطلب مني ألا أنساه في الســبوع.. وعزانـي في أبـي بعـد عـام

ونصف من رحيله وسألني ح تعمل العزاء فين إن شــاء الله.. وبعـد أن خرج كلينتون من الرئاسة بعدة أشهر قال لي.. أحسـن اللـي خـرج أنـا سمعت امبارح إنه كان على علاقة بواحدة مشيها بطـال.. صحيـح ده يـا جو ؟!

وقد أتى لي منذ يومين لكي يستشـيرني في أمـر هـام قـال لي أنـت عارف دلوقت الاتصالات بأت مهمــة قـوي.. معـدش تليفـون البيـت كفاية.. قدر أن فيه حد عازني وأنا مش في البيت.. الواحـد لازم يسـاير التطور.. فأيه رأيك أنا.. بافكر.. اشتري.. بيجر!!!

هو رجل طيب وإنسان وتخين ومربرب ولكنـني قـررت أن أضحـي بكل هذه الصفات الجميلة وأقطع علاقتي به تماما.. ولقد أدركـت أنـني أيضا - تأخرت - كثيرا في اتخاذ هذا القرار.. ولقد كتبت عنه هذا المقال لكي يعلم أنني رغم حبي له إلا أنني لا أطيقه.. ولا أستبعد إذا أعطانـا ربنا العمر.. أن يأتي لي في يوليو عام ٢٠٠٣ ويعـاتبني قـائلا.. إيـه اللـي أنت كاتبه عني ده؟!!

عالي.. قوي قوي!

لا أراه إلا مسطولا.. صبح.. ظهر.. ليل.. عيناه نصف مغلقتين دائما ورموشه منسدلة على عينيه في حالة من الدغششة أو الدخمسة فلا تعرف.. هل هو صحا لتوه من نومه أم إنه لم ينم يومين؟! ولا تعرف.. هل هو عاوز ينام أم عاوز يصحى؟!

وكان يبدو من أثر الحشيش وكأنه موارب الشيش دائما.. يلقاني دائما بابتسامة واسعة ليس لها أي مبرر سوى أن دماغه حلوة.. ثم يمد يده مصافحا وهو مسخسخ من الضحك ويقول..هيء هيء.. إزيااااك.. هاها.. شفت اللي حصل لي إمبارح؟! هيء هيء.. إضحك.. ما بتضحكش ليه؟! أرد عليه بجفاء أضحك على إيه؟! أنا ما شفتش اللي حصل لك امبارح عشان أضحك ، فيرد بسرعة لكن أنا شفت هيء هيء طيب اضحك الأول وبعدين أنا ح أقولك.. أنت مش مآمنني هيء هيء.. مش أنا عربيتي اتسرقت!! وينفجر في ضحكة طويلة لا يستطيع أن يكتمها وتنزل دموعه من فرط الضحك.. ولأنني أفهم نوعا ما في النكت.. فلا أذكر أن هناك نكتة تقول مرة واحد عربيته اتسرقت وبالتالي لم

أضحك.. وقلت له بجدية متعمدة.. ولقيتها؟! فقال وهو يغالب ضحكه بصعوبة.. تلات ساعات بألف البلد كلها عشان أدور عليها.. وفي الآخر لقيتها.. فسألته فين.. فقال ضاحكا.. وما أنا كنت راكبها بس مش واخد بالي.. هيء هيء.. عالي قوي ده.. عالي.. كفك وينهال على كفي ضاحكا بكل قوة.. ثم فجأة يقول احناح نقعد كده للصبح.. يا عم تعالى تعالى نلف شوية نغير مناظر.. قلت له بضيق أنا عندي شغل.. عندي كتابة.. فقال يعني مش عاوز تلف.. خلاص.. نلف سجاير.. واهو كله سيلحة هيء هيء.. ها.. عالي قوي كفك.. وينهال بيده المرزبة على كفي الذي تكسرت عظامه..

تركت أوراقي وأقلامي.. وأخذت أتأمله وهو يكاد يموت من الضحك ولا أدري حتى الآن علام يضحك.. قلت له أنت ما بتفوقش أبدا؟ قال مدافعا عن نفسه ولكن بروقان شديد أنا مش مسطول يا جو أنا دماغي جميلة.. أنت اللي فايق علطول.. تعرف أنا طول ما دماغي عالية.. أحب الناس كلها.. أحب كل حاجة امبارح شفت كلب جربان.. قعدت اتغزل فيه.. عارف بأه لو فقت.. ابأه مش طايق روحي ولا طايق أبص في وش حد.. زي حالاتك كده.. أهو أنت مش طايقني دلوقت.. ونفسك تجيني مصيبة تاخدني من قدامك.. إنما أنا بالعكس وأضاف بورمانسية.. باموت في التراب اللي بتمشي عليه.. يا قمر أنت.. هاها..

وانفجر في ضحكة عالية وهو يصفق في سعادة.. عالي قوي عـالي.. هـوه ده هيء هيء الحياة مش كتب بس عيش يا معلم.. عيش .

في اليوم الثاني.. كان هو عندي كما كان بالأمس.. في حالة الفرفشة الأوفر المزيفة هذه.. وكأن يوما لم يمر.. كـانت الدنيـا كلـها قـد انقلبـت رأسا على عقب.. الطائرات دخلت في مركز التجـارة العـالمي وأمريكـا تتهم بن لادن.. والعالم كلـه يعيـش لحظـة مرعبـة.. وهـو.. ولا كأنـه في الدنيا قلت له.. يا أخي.. ألا تعلم ما حدث.. فأجاب.. هوه حصـل إيـه.. قلت له طيارة دخلت في البرج وقعته.. فانفجر ضاحكا.. وأخذ يضـرب بيديه على ركبتيه كأنني أقول له نكتة.. وقال.. هيء هيء عالي عالي قـوي.. يخرب عقلك عالي قوي ده.. عاليـة.. حلـوة.. شـفت أمـا سمعـت كلامـي دماغك قالت إزاي.. أنت ضارب أيه ده صنف حكاية.. قلت لـه غاضبـا ما تفوق بأه اسمعني.. وتمالكت أعصـابي وسـألته بـهدوء أنـت تشـرب الحشيش يوميا أليس كذلك.. قال بجلة لا هما خمس أيام في الأسبوع.. ده حتى يبأه حرام عليا قلت له واليومين الآخرين أجاب.. باشـرب بـالجو.. باشرب بالجو هيء هيء فصرخت فيـه أنـا بكلمـك بجـد يـا بـني آدم لمـا اسألك ترد عليا.. فقال في افتعال الخوف.. حاضر يا باشا وكتم ضحكـة هيء.. هيء.. سألته كم تتكلف في كل مرة.. فأجاب أنا بـاصرف لي ميّايـة كده في اليوم عشر برايز أنا مـا استخسـرش في دمـاغي فلـوس الدنيـا كلها.. انت مش بتدفع دم قلبك في الكتب اللي بتشتريها؟ عشان إيه؟!

مش عشان دماغك.. اشمعنى أنا يعني اللي عاوز تحرم دماغي من السلطنة قلت له.. تعالى نحسبها.. ميت جنيه حشيش في اليوم يعني تلاتلاف جنيه في الشهر.. في السنة يعملوا ٣٦ ألف جنيه.. بقالك كام سنة ع الحال ده.

فأجاب.. أنا ما فتكرش ابتديت اشرب حشيش أمتى.. أنا أصلي هئ هئ.. نزلت من بطن أمي ماسك جوزة.. وخايف م البوليس.. ها ها عالي ده.. الله حلوة.. تعرف أول ما نزلت من بطن أمي ما قلتش واء.. واء.. زى العيال ما بتقول.. قلت.. كبسة.. كبسة وصفق بيديه في مرح ها ها.قوي قوي.. قلت له بجدة موقفا هذه المهزلة.. لو بقالك عشرين سنة بتشرب الزفت ده.. تبأه صرفت مليون جنيه عليه.. ثم أشرت نحو سيارة عيون رائعة واقفة أمامنا.. وقلت له يعني لو ما كنتش بتحشش كان زمانك راكب حتة زي دي فهمت قصدي يا بني آدم.. فنظر إلى السيارة.. وسألني.. وأنت يعني ما شربتش حشيش خالص قلت لأ طبعا فسألني والعربية العيون دي بتاعتك؟ قلت له.. لأ طبعا.. فقال وهو يكتم ضحكة عالية: طيب إيه رأيك بأه.. إن العربية دي بتاعتي أنا ها ها عالي ده.. قوي قوي.. في النهاية.. أعطيته كتابي الأخير.. وقلت له حاول أن تبتسم بجد وأن تضحك بسبب.. لقد اكتشف أحد العلماء (جوزيف برستلي) الغاز المضحك عام ١٧٧٦ وقد سارع البعض لاستنشاقه في حفلات ترويحية جماعية يكون استنشاق الغاز واستثارة

موجات الضحك بين جموع الحاضرين هو الأساس فيها.. وكانوا يذهبون إلى الحفل.. ويضحكون.. ولكنه ضحك مغشوش.. اقرأ للمازني ومحمد عفيفي.. والسعدني.. وأحمد رجب.. وستضحك حتى تستلقي على قفاك وكتبهم كلها أقل من ثمن قرش حشيش.. وح تعمل دماغ برضه إنما دماغ رباني في المساء كلمني وهتف في سعادة.. كتابك معايا أهو.. ما بيفارقنيش لحظة.. ها ها.. قلت له ماذا أضحكك فيه.. قال.. أنا لسه مفتحتوش.. قلت له أمال ما بيفارقكش لحظة إزاي؟ قال ضاحكا.. أصل أنا بهوي بيه على الفحم هئ هئ.. عالي ده.. قوي.. قوي ها ها.

عن العشاق .. سألوني

وصلني خطاب رقيق من الصديقة (س) تعاتبني فيه على أنني لا أتكلم عن الحب ولا أتعرض له في مقالاتي.. وتتهمني بأنني كاتب بلا قلب وتسألني في تحد.. أراهنك إن كنت قد أحببت قبل ذلك؟! والحقيقة يا آنسة (س) أنت على حق فأنا لم أتكلم عن الحب متعمدا طوال الشهور الماضية كافيا خيري شري وكافي ع الخبر ماجور.. وساكت.. ليه؟! ح أقولك أولا من منا لم يحب؟! كلنا جربناه.. وكلنا تعاملنا معه من هذه الزاوية الضيقة وكلنا رأى في محبوبته أهوالا وأساطير وحكايات خرافية غريبة ورأى فيها خفة الفراش ورشاقة الغزلان وقوة السلاحف.. والذي ينكر ذلك ويدعي أنه أحب برزانة وتعقل ورأى محبوبته بصورة واقعية ولم يعطها أكثر من حقها فهذا يعني باختصار.. أنه لم يحبها وهذه الهالة الضخمة من الوهم اللذيذ التي تحيط بالمحبوبة.. تحيط بالمحبوب أيضا.. فأذكر أنني حينما كنت أحب.. كنت نحيفا للغاية وكان نفسي مقطوعا وعندي سوء تغذية إنما على أي حال كنت في حالة أفضل بكثير من التي عليها إخواني في الصومال..

ولكن حبيبتي.. كانت تنظر باعجاب إلى عضلاتي وتقـول لي (يوهـاف مسلز) يعني عندك عضلات أهوه.. هل كانت تراها حقيقة؟! هل كانت تتخيلها؟! في الحالتين كان يجب أن أنصحها بالذهاب إلى طبيب عيـون أو إلى طبيب أمراض نفسية وكان يجب أن أنصح نفسي بالذهـاب إلى طبيب لعلاج الأنيميا التي كانت عندي.. وبالتالي فإن الأطبـاء.. (بـدون قر) هم أكثر المهن استفادة وهبرا من موضوع الحب هذا.

ولكن وهم الحب جعل حبيبتي تراني ذا عضلات وجعلني أسـتمتع بكذبها عليّ.. وأصدقه أحيانا.. وفي لحظـات التجلـي كـانت تقـول لي.. حسين فهمي مين ده.. ده إنت القمر!! شفتوا كدب أكثر من كده.. لكنـه كذب جميل.. تستريح له الأذن والقلب والأحاسيس.. وعلـى كـل حـال فهذه أفضل من الأخرى التي تقول لك.. مالك هفتان كده وح تقع مـن طولك.. ما تروح تتغذى يا بني.. أو التي تقول لك: إنـت إيش تكـون جنب القمر اللي اسمه حسـين فـهمي مـا كـل واحـد يبـص في المرايـة كويس ويعيش عيشة أهله..

هذه امرأة.. وهذه امرأة أخرى.. دي صابونة.. ودي صابونة.

ولكن هل الحب كله وهم.. لا طبعا.. في الحب لحظات حقيقية أجمل ما يكون.. الغيرة مثلا من أجمل وأصدق لحظـات الحـب.. فـإذا ذهبت أنت وحبيبتك إلى حفل ما وإذا بامرأة هائلـة الأنوثـة تسـطع في المكان.. فتأكد من أن الليلة لن تمر على خير.. برغم أنك لم تفعل شـيئا ولست أنت الذي دعوتها.. ولكـن وجـود هـذه المـرأة في الحفـل.. بـل

وجودها في الدنيا غير مرغوب فيه.. خصوصا وأنك بحلقت فيها كثيرا حينما دخلت.. عاجباك قوي؟!.. وأرد عليها في غلب.. والله ما بصيت لها.. ولا تعطيني فرصة للإجابة.. تحب إنت النوع ده.. ما أنا عارفاك بس اسمع لعلمك بقه إنت ذوقك وحش.. دي رجليها مقوسة وإلا أنت خلاص ما بقتيش تشوف.. وبعدين الحول اللي في عينها ده كمان مش شايفه.. وبعدين تخينة.. وأنا لا أعلق وهذا يغيظها أكثر.. تخينة والا مش تخينة!! وانظر إلى حبيبتي وأقول في استسلام: تخينة وهنا تنفجر في وشي.. أنا تخينة؟! يا ستي مش بقولك.. وترد قائلة أمال بصيت لي قوي وأنت بتقول تخينة.. أنا فاهمة البصات الخبيثة دي.. أنا حافظاك صم..).

ربما كانت اللحظة نفسها ليست جميلة.. ولكنها تحفر في الذاكرة مكانا جميلا كالنسيم يجعلك تجلس وحيدا وتبتسم حينما ترد على خاطرك.. وتلك هي عبقرية الحب..

وطقوس الحب أيضا عبقرية فالحب يرتبط بالزهور والتليفونات حتى الصباح والمواعيد.. فالحب يحول حياتك إلى الساعة تسعة قدام السينما والساعة أربعة في الريستوران والساعة اتناشر ح أديلك رنتين تليفون وح أقفل.. إنه يملأ الحياة.. وبرغم ارتباطه باللوعة والشجن في كل أعمالنا السينمائية وبرغم مأساة روميو وجولييت الله يرحمهم ويحسن إليهم.. وغيرهم من العشاق الذين ذاقوا المر إلا أنه مرتبط عندي بالضحك والبهجة إلى حد كبير.. فأنت الكوميديان الأول في حياة محبوبتك.. فلي صديق يعد نموذجا في التلامة والرخامة والغتاتة بل

يعد مثالا يحتذى في هذا المضمار.. كان جالسا يحكي حكايـات سـخيفة.. بدرجة تجعلك تتمنى له كل شر وتجعلك تدعي عليه من كـل قلبـك.. وكان يحكي هذه السخافات أمام حبيبته وهي منفجرة في الضحك هـي الأخرى وتقول.. لا .. كفاية.. آه مش قادرة.. مـش ممكـن.. دمـه خفيـف بشكل.. يموت من الضحك.. ودعيت عليها هي أيضا ولكنها تحبه.. لذا هي تراه كذلك.. وربنا يسامحهم هما الاثنين.. تزوجا وأنجبا نصف دستة من الأولاد أخذوا حقهم من الجينـات الوراثيـة وزيـادة شـوية كمـان.. والحب يرتبط بالمكان.. وأنت تستمتع بالمرور مـن أمـام بيـت الحبيـب فربما ظفرت لك بنظرة ولا حاجة.. ما هو أصل دي بتبقى أرزاق والمكان بعدها يتحول إلى كائن حي تسري في عروقه دمـاء وينكسـي بـاللحم.. فالمقهى الذي أمام بيت الحبيبة يصبح بني آدم يكلمـك ويرحـب بـك.. والبوستة التي تحت البيت تتحول إلى صديقة في وقت الشدة تواسـيك وتصبرك.. والحب يرتبـط بالشـعر ويرتبـط بالأغـاني.. فلـم تدخـل أم كلثوم قلبي إلا حينما أحببت.. فأصبحت أسمعها.. وأبحلق في السما طول الليل كالمعتوه.. ولا أعلم لماذا لا نحب سوى في الليل.. لمـاذا لا نحـب في النهار.. لماذا نسهر طول الليـل لنفكـر في الحبيبـة.. لمـاذا لا ننـام جيـدا لنلقاها في عبق الصباح الجميل؟! ولماذا نعبر عن الحب بلفظة (بـأموت فيكي)؟! لماذا لا نقول مثلا (بأعيش فيكي) صدقوني الحـب هـو الحيـاة وأنا مؤمن جدا ببهجة الحب أكثر من لوعته.. برغم أنـي حرمـت مـن الإنسانة التي أحببتها.



٢٥ شارع وادى النيل ـ المهندسين ـ القاهرة
تليفون : ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٠٢٧٩٦٥ ف : ٣٠٢٨٣٢٨
E-mail: atlas@innovations-co.com

صدر للكاتب

الفهرس

من الأدب الساخر

طقت فى دماغى

كثيراً هذه الأيام ما يفاجئنا
أحد الأشخاص بتصرف ما يدهشنا ويضحكنا
وعندما نسأله ليه عملت كده ؟
تكون الإجابة..... طقت فى دماغى.
والكاتب الساخر..... يوسف معاطى
رصد هذه التصرفات سواء على
المستوى الإجتماعى أو السياسى... إلخ
وبخفة دمه المعهودة طقت فى دماغه
وكتب هذا الكتاب وقرأته ثم
طقت فى دماغى أن أنشره
لنضحك جميعاً من القلب فكان هذا
العمل بين يديك الآن.

الناشر





